جامعة الجزائر
معهد اللغة والادب العربي

توظيف التراث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة

رسالة لنيل درجة الماجستير

إعداد : الطالب عبد الحميد بوسماحة

تحت إشراف : مصطفى سواق

1992 / 1991

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توظيف التراث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة

1992 / 1991

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى كل من علمني كلمة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة :

يمثل التراث الشعبي بمختلف اشكاله و اطواره الركن الاساسي في تاريخ الامة . ويشمل جميع العناصر الروحية و المادية التي تشكل شخصيتها ، و تمكنها من مقاومة كل أنواع الغزو الخارجي من أجل البقاء و الاستمرار .

كان الاهتمام بالتراث الشعبي في القرن الماضي محصورا في حاجات المثقفين الى استغلال عناصره لتأصيل ابداعاتهم . و تغير الموقف من التراث الشعبي ، عندما سعت الطبقات الشعبية الى تحسين ظروفها ، و مارست تأثيرا قويا على الفنانين الذين تبنوا انشغالاتها وقيمها و رموزها في انتاجهم .

و كان الأدب أكثر أنواع الفنون ارتباطا بالتراث الشعبي لتوفره على أجناس كثيرة ، و من بينها الرواية التي تعد النمط الأقرب الى التعبير عن حركة المجتمع برؤية نقدية متميزة .

و يبدو تأثر عبد الحميد بن هدوقة كذلك بالتراث الشعبي قويا ، و يرمي من خلال توظيفه في رواياته الى تصوير الجوانب الانسانية و الفنية في البيئة الشعبية .

أسباب اختيار الموضوع :

لم اختر روايات عبد الحميد بن هدوقة على اساس انه المؤلف الوحيد الذي وظف التراث الشعبي ، و لكن لتوفر عدد كبير و متنوع من العناصر الشعبية في انتاجه ، و لأنه استطاع ان يربطها بقضايا شديدة الاهمية تتمثل في الارض و المرأة و الدين و الثورة و الفن ، في فترات حافلة بالتحولات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية في الجزائر .

و يعود السبب الثاني في اختيار الموضوع ، الى النقص الفادح الذي يعالج توظيف التراث الشعبي في الرواية ، و اذا حظي توظيف التراث الشعبي في الرواية ببعض الدراسات ذات القيمة التاريخية ، فان أغلبها صدر في شكل ابحاث و مقالات في الجرائد والمجلات ، و تناولته

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أساس الموقف الفكري أو السياسي دون أن يكون تعبيرا عن خصائصه الاجتماعية و الجمالية . و يرتبط السبب الثالث بوضع التراث الشعبي أو جزء كبير من عناصره التي تعرضت للتهميش و التجاهل و التهديد بالاندثار بسبب التطور السريع الذي عرفته بلادنا .

و قد واجهنا في اعداد هذا البحث صعوبات كثيرة منها :

1.- قلة المراجع المتخصصة في ميدان التراث الشعبي و علاقته بالعمل الفني.

2.- تداخل العناصر الشعبية تداخلا قويا يصعب تضيفها و كذلك التنسيق غير السهل بين الفصول و ربطها ببعضها البعض.

المنهج في البحث :

يهتم هذا البحث بالعلاقة بين التراث الشعبي و الرواية. و تقوم هذه الدراسة على تحليل العناصر الشعبية و التعبير عن خصائصها الاجتماعية و الفكرية و الجمالية . و للوصول الى تحقيق هذه الاهداف،اعتمدنا على مناهج متعددة،منها المنهج التاريخي لكشف أصول العناصر الشعبية و تطورها في نطاق الظروف الموضوعية التي انتجتها، و المنهج الاجتماعي لتحديد علاقاتها بالجماعة و تفاعلها مع قواها،و المنهج النفسي لابراز انماط السلوك الشعبي و دوافعه و مواقفه،و المنهج الفني لتناول انعكاس العناصر الشعبية في شكل الرواية و مضمونها .

و يتكون البحث من تمهيد و خمسة فصول،يطول كل واحد منها و يقصر حسب ما توفر له من مادة .

و هكذا يقوم التمهيد على تحديد مفهوم التراث الشعبي و علاقته بالثقافة الرسمية و تطورهما بتأثير العوامل التاريخية و الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية التي كان دورها حاسما في ايجاد هذا التمايز الشديد بينهما و استمراره .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و يتناول الفصل الاول التعرف على مدى استفادة الرواية العربية الجزائرية من التراث الشعبي و تحديد أنواع عناصره الشعبية التي اعتمدت عليها ثم الكشف عن طبيعة الاساليب التي ارتبط بها الادباء عند تعاملهم مع عناصر التراث الشعبي.

و تشمل الفصول الباقية، بسبب تعدد العناصر الشعبية و تشعبها، كل ميادين التراث الشعبي، فتعرض الفصل الثاني للعادات و التقاليد و منها مراسيم الميلاد و الختان و الزواج و علاقاته العائلية و مراسيم الوفاة. و تضمن الفصل الثالث المعتقدات الشعبية و منها الشعوذة و الطرق الصوفية و الأولياء و التداوى الشعبي. و عالج الفصل الرابع الأدب الشعبي و منه المثل الشعبي و الشعر الشعبي و الاسطورة و الاذكار. و اختص الفصل الاخير بالفنون الشعبية و منها العمارة الشعبية و اللباس الشعبي و الاثاث الشعبي وأدوات الزينة والموسيقي الشعبية

و حللنا خصائص جميع هذه الفصول السابقة و تتبعنا العلاقات القائمة بينها و بين شكل الروايات و مضامينها و حددنا الاساليب التي قام عليها تعامل المؤلف معها.

أما الدراسات التي تناولت ظاهرة التراث الشعبي في الرواية الجزائرية فانها رغم اعتمادنا على بعضها في هذا البحث،لا تشكل في مجموعها مادة كافية،سواء أكان ذلك من حيث استفادتها من التراث الشعبي أم من ناحية تصورها لدوره و طريقة تناوله في الرواية.

<u>و من هذه الدراسات</u> :

1.- استغلال الادب الشعبي في الرواية العربية الجزائرية من 1970 الى 1985،و هي رسالة ماجستير لعبد القادر كروش نوقشت في باريس. اقتصر الباحث فيها على دراسة ميدان واحد من التراث الشعبي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2.- تحليل الرواية الجزائرية (الجازية و الدراويش) لعبد الحميد بن هدوقة . و هي رسالة ماجستير ناقشها السيد عمر أوهادي في جامعة السربون بباريس. و رغم الجهود التي بذلها الباحث في التحليل الا أنها اقتصرت على رواية واحدة من بين روايات المؤلف السابق و لم تغط هذه الدراسة كثيرا من جوانب الموضوع لتركيزها على البنية اللغوية .

3.- اثر التراث الشعبي في بناء الرواية الجزائرية،و هي رسالة قدمها السيد محمد بن مرزوقة لنيل درجة الماجستير في جامعة عين الشمس بالقاهرة سنة 1990. لم اتمكن من الاطلاع على الرسالة كاملة،و قرأنا ملخصا لها و فهرستها،و تناقشنا مع كاتبها و ظهر أنها تعالج توظيف التراث الشعبي بشكل عام في الرواية الجزائرية بينما اقتصر بحثنا على روايات كاتب واحد. و اذا تمكن الباحث من الوقوف عند كثير من الظواهر سواءأكانت ايجابية أم سلبية التي ترتبت عن أساليب التوظيف للتراث الشعبي عند عدد من الادباء الجزائريين،فان استفادته من عناصر التراث الشعبي كانت محدودة .

و أخيرا اتقدم بالشكر الجزيل و العرفان الى الاستاذ مصطفى سواق الذي تفضل بقبول الاشراف على هذا الموضوع،و على جميع نصائحه و توجيهاته الجدية من أجل الوصول بالبحث الى غايته .

كما اتقدم بالشكر الكبير الى المؤلف عبد الحميد بن هدوقة الذي منح لنا يد المساعدة .

و أتقدم كذلك بالشكر و الامتنان الى كل الذين أسهموا من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

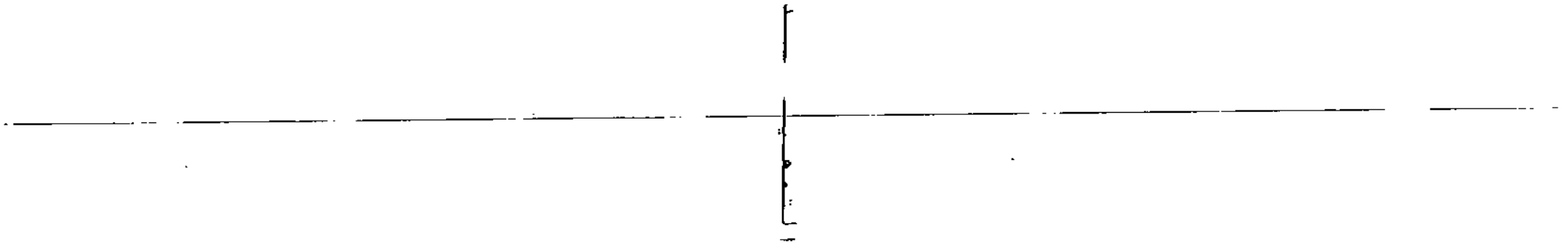

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- محاولة تحديد التراث الشعبي -

تمهيد :

تواجه الحضارة الانسانية مجموعة من القضايا المادية و الفكرية غير متساوية من حيث التطور، و ترتبت عن هذا الاختلال فوارق في المعيشة و الثقافة، اذ تبدو البشرية و كانها لا تعيش في عالم واحد. و لعل هذا السبب هو الذي يفسر التمايز القائم بين الثقافة الرسمية و الثقافة الشعبية باشكالها المتعددة، و المكانة التي تحتلها ضمن مجتمع معين، مهما كانت ايديولوجيته و قد اسهمت الظروف التاريخية، و الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية في تحديد هذه المكانة و استمرارها.

السياق التاريخي :

يعتبر ازدواج الثقافتين الشعبية و الرسمية، ظاهرة عادية في كل مجتمع بشري، غير ان الاشكالية التاريخية تتمثل بالضرورة في طبيعة و درجة الاتصال او الانفصال المعقد او البسيط بينهما، و هذا الازدواج الطبيعي ((يرتبط بوجود مجتمعات طبقية . قد يكون صحيحا انه في اي مجتمع او شعب او امة توجد بها طبقات، لابد ان يكون هناك اختلاف في ثقافة كل طبقة من الطبقات التي يتكون منها المجتمع او ان يكون لكل طبقة لونها الثقافي الخاص بها ... و لكن هذا لا يؤدي بالضرورة الى احداث الغصام الثقافي)).(1)

---

(1) - ابراهيم منصور، الازدواج الثقافي و ازمة المعارضة المصرية (بيروت : دار الطليعة، 1987) ص : 100 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اختلف تطور نموذج الثقافة في فترات التاريخ من قارة لاخرى في الغرب، على غرار الشعوب البدائية و التقليدية التي تميزت بتشكيلة اجتماعية و اقتصادية ذات طابع جماعي، لعبت دورا هاما في التقليل من الفوارق في مستويات المعيشة فيما بين الافراد و احداث التماثل بين كل نمط من الثقافة . و عندما انتقلت المجتمعات البشرية الى المرحلة التي سيطرت فيها طبقة على مؤسسات السلطة ، و فرضت القواعد و الشروط التي بلغت في اغلب الاحيان حدا اقصى من التعقيد، تقلصت مشاركة الجماهير في الثقافة الرسمية التي اصبحت في خدمة احتياجات الفئات الراقية و انعزلت الثقافة الشعبية التي كونتها تجارب العامة من الناس.

٤٢٠٤٣٤

و اذا كانت الثقافة الشعبية في العصر الوسيط الاوروبي متفوقة على الثقافة الرسمية التي انحصرت في قراءة النصوص المقدسة و معرفتها وراء الطبيعة ،((ان هذه الثقافة مع ذلك كانت في مواجهة تنافس شديد اكثر فأكثر مع الثقافة الكتبية (Livresque) و فيما بعد كان لابد من انتظار القرن الثامن عشر في اوروبا لتظهر و تنمو حركة قوية الاهتمام ، و تكشف من جديد التظاهرات المتعددة القائمة اساسا على الحكايات و الاغاني و عناصر اخرى من الماثور الشفوي للابداع الشعبي، مع التذكير ان تمجيد الاقليميات و الخصوصيات الثقافية تتماشى من منظور تاريخي مع تاكيد و صعود الوطنيات في اوروبا ...)).(1)

و قد ظل الادب الشعبي من بين عناصر التراث الشعبي مقيدا الى حد بعيد بالظروف التاريخية التي تاثر بها ، و قد مر الغرب بتطور اجتماعي و سياسي هام ، اذ ناضلت البورجوازية الاوروبية من اجل تحقيق قوميتها ، و لعب الادب الشعبي دورا بارزا في التعاطف مع مصالح الطبقات الشعبية و تاكيد النزعة الوطنية .

---

(1) - Mourad Yelles-Chaouche Défense et illustration des cultures Populaires (ORAN : U.R.A.S.C. BP,1524,1985)Pages:1 -2 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و فضل على سبيل المثال مونتان و موليير في فرنسا، و اديسون ووالتر سكوت في انجلترا التعبير الشعبي، و صار العمل الادبي و الفني عندهم يقوم على رؤية جديدة. اما بالنسبة لالمانيا، فالملاحظ ان معظم الدراسات في الادب الشعبي كانت محورا اساسيا للتمييز العنصري، و ابراز الاصل الجرماني، و تمجيد الماضي البعيد.

و كان اهتمام الحركة الرومانسية في الغرب بالادب الشعبي حافزا على التعبير عن اهتمامات الانسان البسيط في الميدان الاجتماعي، و السياسي، و تاقت الى حياة افضل تسودها مبادىء العدل و المساواة و الحرية، و دعت بذلك الى تحطيم القيود و القواعد الكلاسيكية، غير انها اظهرت قصورها النظري في تصورها للادب الشعبي بسبب غياب الرؤية العلمية، و لم يعكس الادب الشعبي ارادة الضعفاء الذين كانوا ضحية الظلم و الاستغلال، و كرست قيم البرجوازية.

اما في العالم العربي الاسلامي في عصريه الاموي و العباسي، تحولت المعرفة العلمية الى نوع من الصنعة، و اكتسبت طابعا وراثيا و اعتمدت على التلقين المباشر، و التوظيف، و ارتبط الادب بادوات التعبير الفني القديمة. و بعد ان تعرضت الحضارة العربية الاسلامية الى الغزو الخارجي و انهزمت بعد حروب طويلة، سيطرت مظاهر البداوة في الارياف و حتى في بعض المدن (1)

---

(1) ـ مصطفى شاكر، الابعاد التاريخية لازمة التطور الحضاري العربي الاصالة (الجزائر: مطبعة البحث/العدد 23/1975)
ص : 223،227،226 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واذا كان العرب قد احتفظوا في التاريخ بتراث شعبي زاخر، دان عنايتهم به مرت اساسا بمرحلتين ((يجوز لنا ان نسمي المرحلة الاولى بمرحلة الريادة و التدوين، و المرحلة الثانية التي بدات منذ فترة لا يزيد عمرها على اربعين سنة بمرحلة الابحاث و الدراسات التي عالجها و لا يزال يعالجها الكثيرون))(1)

و لعل ما ميز تاريخ التراث الشعبي عند العرب هو محاولة عبد الرحمان ابن خلدون في العصر الوسيط التي اراد بها ان نتعرف على ((الادب اللهجات الدارجة من الموشحات و الازجال التي كثرت في زمانه في الاندلس، و كان ابن خلدون في ذلك يخالف في معاصريه الذين كانوا يتحمسون للدعوة العلمية اكثر منهم لهذه الدراسة الادبية الشعبية، و كذلك جمع ابن خلدون مقتطفات من اشعار السير الشعبية و خاصة السيرة الهلالية))(2)

و اقتصرت دعوة العرب في مرحلة النهضة على استرجاع عناصر هويتهم و مقومات حضارتهم و احراز مرتبة في التطور العلمي، الا ان هذا التعلق الشديد بالاصول التي طالما تعرضت للتهديد عبر العصور، ارتبطت باعتبارات فكرية و سياسية حالت دون دراسة التراث الشعبي، و من ثم فقد الادب الشعبي قيمته و دوره في التعبير عن حياة الجماعة.

و مهما كانت اسباب هذا الاهمال للتراث الشعبي، فقد اقتضت مرحلة الاستعمار في الجزائر ان يكون الادب الشعبي مضمونا يدعو الى ايقاظ الوعي الوطني و التمرد على الادارة الاجنبية و الدفاع عن خصوصية الامة.

---

(1) ـ روزلين قريش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الاصل العربي (الجزائر : المطبوعات الجامعية، 1980) ص : 30 .

(2) ، م، ن ص : 31 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويجب كذلك أن نشير الى الاعمال التي قام بها مجموعة من الادباء و العلماء منهم عبدالمجيد يونس و احمد رشدي صالح و سهير القلماوي.

اما الوضع العام الذي يتعلق بالثقافة في اقطار المغرب العربي، و لا سيما الجزائر، فقد ظل متميزا بالتراجع و التدهور طيلة فترة الاستعمار الذي حاول تعميم النموذج الغربي بالقوة على الاغلبية الشعبية التي ارتبطت بموروثها لحماية شخصيتها الوطنية و مقاومة سياسة الاندماج.

و قد احتفظت الجزائر بثقافتها المكتوبة بفضل الزوايا و الكتاتيب في الارياف و بعض المدارس في المدن، غير أن وجود هذه الثقافة تحت سيطرة الاستعمار ادى بالضرورة الى تراجعها اجتماعيا و سياسيا، فاقتصر تعلمها على المبادىء الاساسية، و قد اسهمت العقلية الاقطاعية في ظهور ثقافة متميزة ذات طابع طبقي و وظيفي، فتقلصت الثقافة الاهلية التي اعتمدت على الدين، بعد ان اعتبر الشعب الفرنسية لغة الواقع و ارتبطت العربية، بما وراء الطبيعة، و رغم ذلك فان اغلبية الجزائريين لم تكف ابدا عن استعمال ثقافتها الشفوية التي تضمنت رصيدا كبيرا من القيم الانسانية المتوارثة من خلال السماع (1)

و اذا لعبت الثقافة الشعبية دورا هاما في تحقيق هوية الشعب الجزائري فقد غلب عليها هاجس الاحتياج اليومي و الطابع الرمزي و الشعوري.

---

(1) ـ مصطفى الاشرف، الجزائر، الامة و المجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983)
ص : 416 ، 417، 418 ، 421 ، 422 ، 430 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السيـــــــاق الاجتمـاعـي و الاقتصـادي :

الثـقافـة مـن المفـاهـيـم التـي يصعـب تحديدها مـع ذلـك نستطـيـع ان نتحـدث عنهـا مـن الناحيتيـن الاجتمـاعيـة و الاقتصـاديـة و اثـرهمـا فـي تكـوينهـا . و مـن هـذا المنظـور نقـول انهـا تتمثـل{{في ذلـــك المجمـوع مـن الممارسـات التـي يصنعهـا المجتمـع مـن اجـل ان يعيـــــش و يتطـور و يتحـقـق. و هـذا يتضـمـن جدليـة بيـن العنـاصـر البشـــريـــة و المـاديـة و الايديولوجيـة داخـل المجتمـع المعنـي بذلـك}}.(1)

ان الثـقافـة بهـذا المعنـى لا تقتصـر علـى الجوانـب الجماليـة و الادبيـة، بقـدر ما ترتبـط أسـاسا بالنشـاط الاجتماعـي والاقتصادي الـذي يحـدده شـروط اشبـاع حاجيـات الانسـان التـي غالبـا ما تكـون غيـــر متســاويـة مـع الفئـات أو الطبقـات الاخـرى التـي تسيطـر فـي المجتمـع. و لا يعنـي هـذا ان ليـس للعامـل الفكـري قيمـة فـي التأثيـر علـى الواقـــــع البشـري، بقـدر مـا يـدل علـى أن الثقـافـة لا يمـكن دراستهـا خـارج السيـــاق الاجتمـاعـــي و الاقتصـادي. انهمـا جانبـان متميـزان و مستقـلان و لكنهمـا مرتبطان بتفـاعـل متبـــادل مستمـــر.

---

(1) - Mostéfa BOUTEFNOUCHET, La Culture en Algérie Mythe et réalité, (Alger - SNED - 1982) Pages: 98.99 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و الظـروف العامـة التي تعيـش فيهـا اصنـاف متعددة مـن افـراد البيئـة الواحـدة، تجعلهـم فـي وضعيـات غيـر متسـاويـة تجاه الثقافة الرسميـة القـائمـة عـلى سيطـرة طبقـة متميـزة . و مـن هنـا تطـرح بالضرورة ثقافة أخـرى ذات طـابـع شعبـي. و تتفاوت الحـالات المـاديـة حسـب المكانـة التـي يشغلهـا الافـراد فـي المجتمـع، و لذلك تختلـف فيمـا بينهـم القـدرة علـى تعلـم التجـارب الضـروريـة لممارسـة الثـقافـة، فهـم يكوّنـون حسـب اوضاعهم الاجتماعيـة و الاقتصـاديـة اسـالـيب معيشتهـم التـي تمـارس بـدورهـا ضغطـا عـلى كـل واحـد منهـم، و يصبـح العمـل التربـوي الهـدف الوحيـد الـذي يمكـن الاعتمـاد عليـه فـي المستقبـل. (1)

ان الخبـرة و التجـربـة مـن أهـم مصـادر الثقافـة التـي تتشكـل أسـاسـا من خـلال نمـط محـدد من المعيشـة، و هـي تنظـم حيـاة الافـراد فـي نطـاق الحـد الاقصـى أو الادنـى مـن هـذه الشـروط المـادية التـي يقـوم عليهـا النفـوذ الـى الثـقافـة الرسميـة .

و يلعـب السيـاق الاجتماعي و الاقتصـادي دورا هـامـا فـي ازديـاد أو تقليـص الامكـانـات الضـروريـة لمشـاركـة الافـراد فـي الثـقافـة الرسميـة السـائـدة فـي المجتمـع .

---

(1) – G.POUJOL et R.LABOURIE, les cultures populaires, (TOULOUSE I.N.E.P., EDOUARD PRIVAT, 1979) Pages: 42 - 47 - 49.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شروط المشاركة في الثقافة الرسمية : اللغة ـ الزمن ـ العلاقات .

وهناك مجموعة من الشروط لابد من توفرها للمشاركة في الثقافة الرسمية من حيث هي نشاطات، كالسينما و المسرح رو المطالعة و المتاحف، تتميز بها بعض الفئات التي تمارس المهن الحرة، و تحتل مناصب عليا. و لذلك يختلف توزيع عناصر الثقافة الرسمية عن ميدان الحاجات المادية، اذ نجد نسبة كبيرة منها عند الاطارات العليا، و نسبة ضئيلة عند العمال.

و تشبه الثقافة الرسمية الاملاك الاجتماعية من حيث انه يتوارثها الافراد عن طريق المدرسة . فهي تجعل احتمالات الوصول الى مرتبة معينة من التعليم في جميع اطواره مرتبطة بنوع العمل المهني و الاجتماعي الذي يمارسه الانسان في حياته، و من هنا تتوقف نسبة النجاح و الفشل و نوعية الدراسات ذات المدى الطويل أو القصير، و الاكتفاء أو الحاجة الى الامكانيات الضرورية على طبيعة الوسط الاجتماعي و الاقتصادي، و لذلك فالمشاركة في النشاطات الثقافية ليست عملية آلية بقدر ما تعتمد أساسا على المستوى الدراسي و الرصيد من المعلومات و العلاقات البشرية، الى جانب التكوين الادبي و الجمالي (1)

و تعتمد الحياة الثقافية على الممارسات الجماعية التي تتمثل في اللغة و الزمن و العلاقات الاجتماعية . و اذا كانت هذه العناصر السابقة تساعد بعض الفئات المحدودة على المشاركة في الثقافة الرسمية بسبب الوضع الاجتماعي و الاقتصادي المتميز، فان أغلب الجماعات البسيطة تظل عاجزة عن الاندماج فيها، و يؤدي هذا التفاوت الشاسع في شروط الحياة العملية الى توسيع الفرق القائم بين الثقافتين الرسمية و الشعبية .

---

(1) - POUJOL et LABOURIE, Pages 42 - 43 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و فيما يتعلق باللغة ، تقوم الثقافة بدور حاسم في الحياة اليومية ، من خلال عدد كبير من الاحاديث سواء أكانت مكتوبة أم شفوية . و تتميز لغة الموظفين الساميين و المهن الفكرية ، باستعمالها الكثيف في الاجتماعات و العروض الشفوية و المكتوبة . كما تتضمن هذه اللغة عادة مجموعة من المعلومات التي تقوم بوظيفة اخبارية و رمزية و تجريدية ، و تعتمد كذلك على المفاهيم العقلية ، بينما نجد دور اللغة عند الفئات الشعبية في الاتصال الشفوي و المكتوب محدودا ، و هي تعبر أكثر عن العواطف و الاشياء المحسوسة ، و لذلك تتقلص مشاركة هذه الفئات في اعداد المشاريع و تنفيذها . (1)

كذلك يؤدي الزمن دورا فاعلا في تشكيل تجارب الانسان باعتباره انعكاسا مباشرا لوضعه الاجتماعي و الاقتصادي. و يبدو التناقض واضحا بين الزمن الذي يستعمل في نطاق البحث عن الاحتياجات الاساسية في الحياة المادية و بين توظيفه في النشاطات العقلية و العلمية و الروحية . و بقدر ما يوفر الزمن للاطارات العليا امكانات المشاركة في الثقافة الرسمية ، تمنع ظروف العيش الانسان الشعبي من استثمار الزمن في مجالات الافكار و المفاهيم العقلية و القيم الجمالية و الادبية .

تتوقف المشاركة في الثقافة الرسمية على التحكم في الزمن الاجتماعي. و تتطلب الثقافة الرسمية تجمعات و لقاءات و برامج و العمل على استغلال هذه النشاطات ضمن جدول زمن معيّن . غير أن الاعمال اليدوية و الاشغال الاضافية التي يمارسها الانسان البسيط، و المسافات التي يقطعها عن طريق النقل العمومي، تجعل من القيام بتنظيم زمنه اليومي والشهري و السنوي أمرا صعبا (2)

---

(1) - POUJOL et LABOURIE, Page: 49.

(2) - POUJOL et LABOURIE , Page: 47.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترتبط العلاقات البشرية داخل المؤسسة التي يمارس فيها الانسان نشاطه المهني بالوضع الاجتماعي و الاقتصادي الذي تتوقف عليه المشاركة في الثقافة الرسمية .

و يتطلب العمل الوظيفي بدوره شبكة من العلاقات تتمثل بالنسبة للاطارات في الجوار و الحديث و الاجتماع مع الزملاء و المرؤوسين. يقوم الموظفون السامون باختيار علاقاتهم و تقويتها و نشرها خارج مجالات نشاطاتهم المعتادة . بينما يبقى العمال الذين يزاولون الاعمال اليدوية في نطاق العلاقات المحسوسة ، يخلو من التفاعل المتبادل و يتضمن نسبة ضعيفة من حركة التنقل في المكان كالزيارات و الرحلات (1)

ان الموظف السامي لا يرى في العامل البسيط سوى وسيلة لممارسة العمل و تنفيذ المشاريع و تراكم الثروة . و قد أدى استعمال السلطة من أعلى الى أسفل، الى تدهور العلاقات الانسانية بينهما داخل المؤسسة و تحولت النشاطات الثقافية المتنوعة الى مظاهر شكلية .

و يشكل التقليص من الفوارق الاجتماعية و الاقتصادية أحد الشروط الضرورية لتدارك التأخر التاريخي الذي تعاني منه الثقافة الشعبية في المجتمع.

---

(1) - POUJOL et LABOURIE, Pages 45 - 48 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التطـــور الـتاريخي للمتعارضـــات :

١ ـ الكـــلام/الكـتـابـــة :

يقـوم التـراث الشعبـي عـلى تطـور تـاريخـــي غيـر متـوازن لمجمـوعـة مـن المتعارضـات، تتمثـل فـي الكـلام و الكتابـة الريـف و المـدينـة، الشعـب و النخبـة، وهـو يـدل عـلى أنهـا تـؤدي ادوارا ضمـن شـروط اجتماعيـة و اقتصـاديـة متباينـة فـي حـركـة التبادل القـائـم فيمـا بينهـا بـدرجـات متفاوتـة.

كثيـرا مـا نفهـم مصطلـح الثقافـة الرسميـة علـى أسـاس أنهـا تعنـي (المكتـوب) بينمـا تتمثـل الثقافـة الشعبيـة فـي (الشفـوي) ذلـك لان الكـلام مثـل الكتابـة تمـامـا يشكـل موضـوعـا للتدريب و التمـرن، غيـر أن الاول تتكفـل بـه الاسـرة و الجماعـة و الثانيـة تتكفـل بهـا المدرسـة. الاول محتـوم و الثانيـة اختياريـة، اذ يمكـن أن نكـون أميين و فـي متناولنـا وسائـل التعبيـر .و مـع ذلـك ليست وظائـف الكـلام و الكتابـة واحـدة. يقيـد الكـلام فـي الزمـان و تسجـل الكتابـة فـي المكـان. و هـذا يعنـي أن الاول زائـل و الثانية تقـاوم الـزمـن (1)

و اذا كـانت امكانات تسجيـل الكـلام اليـوم متوفرة فان طبيعة الادوات المادية التي تؤدي هـذا الغـرض ليست أكثـر قـدرة مـن الناحيـة الزمنيـة على الثبات و الدوام منالتـدوين بالرمـوزاللغويـة، ثـم ان الكـلام يحمـل قابليـة للتطـور لا تكمـن في النظام الصوتي و النحـوي و الدلالـي فقط و انمـا ايضـا فـي وضعهـا الايديولوجي و السياسـي.

---

(1) ـ POUJOL et LABOURIE, Page: 135

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصاب الانحطاط كلا من اللغة العامية و اللغة الفصحى. و قد قامت اللغتان في الجزائر بتنمية حس الابداع الفني، و تربية الميول لتوظيف الاقوال المأثورة القائمة على تجربة الحياة. غير أن اهتمام الناس باللغة الدارجة ضعيف. لذلك لم تنهض بقدر ما ساءت بدون قصد منهم، من خلال استعمال الاذاعة و التلفزة و الخطاب السياسي و المسرح الشعبي. و أعتبر تعلم الفصحى غاية لذاتها، فاقتصرت بذلك على الشكل أكثر من المضمون، و اختلف أسلوب التخاطب اليومي عن أسلوب الكتابة (1)

الريف/المدينة :

يرتبط الريف بالمدينة ارتباطا عضويا بدرجات متفاوتة حسب الاوضاع الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الثقافية، و أن كل تغير في العلاقات بينهما، سواء أكان ايجابيا أم سلبيا، يؤثر بالضرورة على تشكيل ثقافتيهما و دورهما داخل المجتمع الواحد، و لذلك لا يمكن دراسة أحدهما دون صلته بالاخر.

و هناك فرق كبير بين الريف و المدينة، حيث توجد في كل حضارة نخبة مفكرة كالفلاسفة و علماء الدين و الادب الذين يعكسون تقاليد ثقافة مدرسية في المدينة جاهزة و متداولة، ذات قيمة عظيمة بينما يمثل الريف الثقافة ذات المرتبة الدنيا التي ترتبط فيه الجماهير الواسعة، التي لا تمارس التفكير و النقد، بتقاليد بسيطة، تتطور وتبقى ضمن حياة افراد الجماعات الامية (2)

يقوم الريف على ثقافة شعبية متوارثة قائمة أساسا على النشاط الزراعي الذي تمارسه الجماعة و تستمد منه تجاربها و قيمها لضمان استمرارها.

---

(1) ـ الاشرف، 435 ، 436 .

(2)- Fanny Colonna Savants Paysans Eléments d'Histoire sociale sur l'Algérie Rurale, (Alger : O.P.U. 1987) Page:29.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

« ذلك لان الريف يعتبر مركزا حضاريا و ليس مركزا مهنيا فحسب، أي أن الفلاح هو حامل للثقافة الريفية و ليس مجرد شخص يمتهن الزراعة، لان الزراعة ليست مهنة و انما هي كل ثقافي متكامل »(1)

أما المدينة فتقوم على ثقافة ذات قواعد و شروط دقيقة تنظم كافة النشاطات و أنواعها التي يتوقف عليها وجود الجماعة و تطورها.

و بقدر ما يزداد ارتباط الريف بالمدينة، تنتشر الثقافه بين الجماهير و بقدر ما ينفصلان عن بعضهما تنحاز الثقافه الى طبقة اجتماعية التي تتولى لنفسها انشاء العناصر الشعبية و انتشارها في نطاق اهدافها الاجتماعية و الاقتصادية.

ويمثل العامل الاجتماعي أهمية كبيرة في تحديد الفرق بين المثقف الريفي و المثقف الحضري.

فاذا كان الوعي النظري أكثر وضوحا عند مثقف المدينة الذي يتحصل على قدر من الدراسة و يرتبط بالتخصص الوظيفي، فان مثقف الريف متميز برصيد من المعرفة العامة و الخبرة العملية في الحياة.

---

(1) ـ مبارك العمراني، دور الثقافة في التنمية الاقتصادية مجلة الفكر، (تونس : الشركة التونسية لفنون الرسم، العدد 7، 1986.) ص : 75.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويميز ابن خلدون بين الريف و المدينة في نطاق دراسته للمجتمع المغربي الوسيط على أساس أن الأول يقوم على الشفوي و الآخر على المكتوب، و لهذا يعتبر أن {{اكثر البدو أميين لا يكتبون و لا يقرأون }}.(1)

فهو يعتبر الكتابة، و هي جزء من اللغة ، من أهم الوسائل التي يتميز بها الانسان عن غيره من الكائنات الاخرى تؤهله للتعبير عن الذات و الواقع و لذلك لا تظهر من دون وجود البيئة الحضرية . بينما يقتصر البدوي على اشباع الاحتياجات الاساسية التي تتمثل في الغذاء و الكساء و المسكن الضرورية لبقائه ، {{فكان اختصاص هؤلاء البدو أمرا ضروريا لهم، و كان حينئذ اجتماعهم و تعاونهم في حاجاتهم و معاشهم و عمرانهم من القوت و السكن و الدفء انما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة و يحصّل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك }}(2)

أما الحضري فانه يتميز بالتنظيم الاجتماعي و الاقتصادي القائم على اكتساب المهارات و الوظائف الفنية و المتطلبات الثانوية {{ ثم اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش و حصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى و الرفه دعاهم ذلك الى السكون و الدعة و تعاونوا في الزائد على الضرورة و استكثروا من الاقوات و الملابس و التأنق فيها و توسعة البيوت و اختلاط المدن و الامصار للتحضر }}.(3)

---

(1)- عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة، (بيروت : دار احياء التراث العربي/ ط 4) ص : 417، 418) .

(2)- م،ن ، ص : 120 .

(3)- م،ن ، ص : 120 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واذا تتبعنا من الناحية التاريخية حظ الريف و المدينة من الثقافة الشفوية عند ابن خلدون فانه يمكن القول أن((العمران البدوي) و (العمران الحضري) يمتلك كل واحد منهما هويته الخاصة، على اعتبار أن المدينة و الريف في القرن الرابع عشر قد اختلفا كثيرا. ان التباين الثقافي السابق بين العالمين ليس له بالتأكيد المعنى نفسه في يومنا هذا.. و مع ذلك تمّت نهاية القرن الوسيط انغماسا معتبرا بين الريفي و الحضري))(1)

كانت الجماعات الفلاحية في اقطار المغرب العربي قليلة الاندماج في التنظيم الاجتماعي و الاقتصادي الحضري بسبب الاستعمار الذي لعب دورا هاما في تحديد التمايز الكبير بين الريف و المدينة و تطور ثقافتهما الشفوية و المكتوبة، و اذا احتفظت تونس و المغرب طيلة الحماية الفرنسية بمؤسستهما، و هياكلهما العلمية، و الادارية القديمة في المدن، فان الثقافة المكتوبة في الجزائر تقلصت مكانتها و مجالاتها. و اذا حافظت ثقافة الريف ذات النمط الشعبي على خصائصها و علاماتها من النفوذ الاجنبي، فانها عزلت عن احتياجات المدينة على امتداد فترة تاريخية طويلة.

ان تدهورا ملحوظا أصاب الريف الجزائري من جراء اضرار الحروب و ظاهرة التهجير، أدى الى ضياع بعض القيم الجمالية و الادبية ذات التعبير الشفوي، غير أن هذا الاستلاب الخطير لم يحظ باهتمام السلطة السياسية لانها اعتبرته بعيدا عن الثقافة الرسمية، بينما اندمجت المدينة قبل الثورة و بعد الاستقلال مباشرة ضمن الاقتصاد الحديث و الثقافة المكتوبة و التقنية (2)

---

(1) - Youcef Nacib éléments sur la tradition orale, (Alger, SNED, 1981) Page: 44 .

(2) - Mostéfa LACHRAF, écrits Didactiques sur la Culture l'histoire et la Société (Alger Entreprise Algérienne de presse 1988) Pages: 21 - 111.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النخبـــة /الشعـــب

يعتبر التعارض القائم بين النخبة و الشعب عاملا حاسما في تفسير دور الثقافة المحصورة في المؤسسة التي تتبناها الفئة المحدودة في المجتمع من أجل ترويج نماذج من القيم و الرموز و المعايير و التقاليد عن طريق نظام معيّن، ثم تتمايز هذه الثقافة عن الاغلبية الساحقة من الناس التي تعتمد على التجارب و الخبرات التي انتقلت اليها عبر الاجيال.

تتمثل العلاقة العضوية بين الثقافة و السياسة في مستويين، أولهما نظري من حيث هو نشاط علمي يعتمد على التحليل و الاستنباط، يصوغ المثقف تصوراتها و يحدد مواقفها و اتجاهاتها ، أمّا المستوى الآخر فهو علمي يسعى من أجل تحقيقها في الواقع. و من هنا تعتبر السياسة مكونا أساسا من مكونات الثقافة البشرية، لا تعني بالضرورة الدولة وحدها لكن هذا لا يدل أيضا على انقطاع المثقف عن السلطة التي تخدم المصالح العامة.

و اذا حاولنا معرفة دور النخبة المثقفة في المجتمعات العربية الاسلامية من الناحية السياسية نجد أنه((لا يعدو أن يكون تابعا بدل أن يكون مبدعا كما كان منتظرا منها، و مرد ذلك في نظرنا أن النخبة المثقفة تاريخيا كرست عملها من أجل اضفاء الشرعية على أفعال السلطة القائمة مهما تكن طبيعة هذه السلطة يستثنى من ذلك بعض المفكرين الافذاذ الذين كانت لهم رؤية ثابتة للامور أو مواقف راسخة.))(1)

---

(1) ـ علي الادريسي، من عوائق بناء اتحاد المغرب العربي، جريدة الشعب،(العدد 8111، 1989/11/28) ص : 9 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما في نطاق العمل الاجتماعي فان دور النخبة داخل كل مجتمع متطور، قائم ((على ايجاد الحد الادنى من المبادىء و القناعات و المفاهيم المشتركة لدى الجماهير حتى لا تتفكك قاعدتها لابسط صدمة داخلية أو غزو خارجي، أن هذا الدور غائب عندنا لأن الحدث السياسي هو الذي يوحي للمفكر بموضوع الفكر و وظيفته و حدوده)) (1)

و يشكل التركيز على الاشراف و النبلاء في الشرق و الغرب على السواء، طيلة العصور القديمة، محور الأدب الكلاسيكي و البرجوازي على غرار أعمال شكسبير و قصص الاغريق و شعرهم و تماثيلهم، و أغاني العرب و قصصهم و شعرائهم المداحين، و يعتبر كتاب ألف ليلة و ليلة محاولة هامة تميزت بطابع شعبي، و ذلك من خلال تحليل أوضاع القصر و حاشيته البرجوازية، و اطلاع الشرائح البسيطة على حقائقها الاجتماعية و السياسية غير أن هذا العمل الفني ظل تجربة محدودة .

كما استولت السلطة السياسية على الفكر الذي يخدم الجماعة الشعبية، و فرضت عليه مجموعة من القواعد و الضوابط و المعايير الجاهزة، و اعتبرت رجاله الذين خرجوا عنها عصاة، و اتهمتهم بالزندقة، و اجبرتهم على الهجرة . و استخدمت التصفية الجسدية، و جردت أعمالهم من من كل مضمون يدعو الى الحرية و الحقيقة و العدل.

---

(1)- الادريسي ، ص : 9 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و قدنجد في عصر المماليك على سبيل المثال ابن خلدون، و ابن حجر، و المقريزي، و ثغري بردي و ابن اياس التركيين و غيرهم الذين ينتجون أعمالا فكرية تنتمي الى الثقافة الرسمية . بينما كان الشعب متميزا بحياة خاصة ينتج فيها آثارا شعبية مثل (ألف ليلة و ليلة) و (السيرة الهلالية) و (حمزة البهلوان) تختلف نظرتها الى الحياة عن (سلوك) المقريزي و (مقدمة) ابن خلدون و (نجوم) ثغري بردي و (بدائع) ابن اياس . (1)

و تعرضت المجتمعات العربية الاسلامية في القرن التاسع عشر و القرن العشرين الى النفوذ الاجنبي الذي قام بنشر ثقافته فيها من موقع حضاري قوي أدى الى تكوين تخلف خطير في الشخصية . و ظهرت في المغرب العربي في نطاق ظروف المقاومة الوطنية ضد الاستعمار، نخبتان ثقافيتان مختلفتان، احدهما عربية ، ارتبطت بالتراث التقليدي و اعتبرته وسيلة للاصلاح و الأخرى فرنسية اعتمدت على النموذج الغربي الذي كان دوره ضعيفا في هذه المناطق.

أدى الصراع مع الاستعمار القائم على سيطرة الثقافة الغربية الى تشكيل وعي المثقف في الجزائر على حقائق الطبقة الشعبية و الانضمام اليها في العمل الوطني للتعبير عن أفكارها و قيمها و أهدافها .

غير أن هذه الثقافة ذات الجد الشعبي التي اعتمد الشعب الجزائري على قدراته لا يجادها ، انطوت على نفسها و انحصرت في الاقليم و اقتصرت على تكرار القديم و تحولت الى ثقافة محافظة قائمة على المقاومة من أجل البقاء. (2)

---

(1) ، منصور، ص: 11 ، 12، 39 ؛ 40 .

(2) ، على الكنز، حول الأزمة 5 دراسات حول الجزائر و العالم العربي (الجزائر : دار يوشان للنشر، 1990) ص : 27 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السلوك الشعبي و مستوياته :

اذا كانت الجماعة تمثل مجموعا من الافراد الذين تربطهم مصالح مشتركة فانه لم يعد يعني ((مفهوم (الشعب) جماعة اجتماعية معينة ، و انما يدل الآن على شكل من أشكال السلوك الذي نشترك فيه بدرجات متفاوتة))(1).

غير أن هناك في السلوك مستويين اجتماعيين، أحدهما عام تندرج ضمنه اللغة و الدين و العادات و المعتقدات و الفنون و الرموز و التصورات التي تعبر عن جميع قطاعات الحياة اليومية و بذلك تتحدد الثقافة على أنها مجموعة من النشاطات ذات الطابع المادي و الروحي التي تكون موقف الجماعة من الحياة (1)

أما المستوى الثاني من السلوك، فانه يتمثل في الافكار الخاصة الناتجة عن التخصص المهني و التي على أساسها تكون التفرقة بين مختلف الطبقات الاجتماعية (2)

و معنى ذلك أنه ينبغي التمييز بين المستوى العام من السلوك الاجتماعي الذي يقوم بدور أساسي في صياغة العناصر المشتركة بين سائر أفراد الجماعة الشعبية ، و بين المستوى الخاص من هذا السلوك الذي يتطلب تكوينا معينا لاكتساب مهارات و خبرات عقلية و فنية يمكن توظيفها في مختلف النشاطات الانسانية .

---

(1) ـ محمد الجوهري، علم الفولكلور (القاهرة : دار المعارف،ط3،ج 1، 1978) ص : 44 .

(2)، مالك بن نبي، مشكلة الثقافة ، ترجمة الصبور شاهين(بيروت: دار الفكر، 1969) ص : 8د.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و هذا لا يعني أن المستويين من السلوك الاجتماعي منفصلان أحدهما عن الآخر، بقدر ما يدل على أن التبادل قائم بينهما لأن ((جمهور الناس دائما بحاجة الى تجديد معارفهم و تطوير مهاراتهم بأدوارهم الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و غيرها، و ذلك من أجل تحقيق رسالتهم في الحياة، و هذا التجد يد و التطوير لا يتمان في فراغ و انما في اطار ثقافة عامة ينشأ فيها و يتفاعل معها هذا الجمهور))(1)

و يستمد السلوك الشعبي وجوده في البيئة الحضرية و الريفية، من مشاركة أغلب أعضاء الجماعة في انشاء عناصره التعبيرية المتنوعة، التي ترتبط أساسا باشباع حاجاتهم المادية و الروحية.

ان الوعي الفردي ضروري و قائم على رفع الكفاءة العلمية لتوظيفها في مجالات الانتاج و الابداع في نطاق تخصص معين، و يتميز كذلك بالتأثر أكثر من غيره، في حركة الصراع الاجتماعي بالمفاهيم و القيم الحديثة. و مع ذلك لا يمكن تصور سلوك بشري مقصور على أصول المعرفة العلمية أو التربوية أو الفنية، و مجرد من العقائد و العادات التاريخية. و بقدر ما تمثل فئة اجتماعية تكوينا راقيا ترمي من ورائه الى تدعيم وضعها الاجتماعي و الاقتصادي، فان عددا كبيرا من أفرادها تعود جذورهم الى الاوساط الشعبية التي تنعكس أثارها قليلا أو كثيرا على أساليب تفكيرهم و عملهم و معيشتهم و انتاجهم. ثمّ ان التفكير العلمي يؤدي دورا محدودا في تنظيم حياة الفرد و الجماعة. و لذلك يمكن القول ان للسلوك الشعبي مستويات عديدة.

---

(1) ، محمود أحمد موسى،دور نظام التعليم في تنشئة الطفل العربي، المستقبل العربي،(لبنان : مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 100، 1987) ص : 153.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— عوامل تطور اشكال التعبير الشفوي —

يتوقف استخدام الجماعة الشعبية لأشكال التعبير الشفوي على التجربة المشتركة التي تكونت على امتداد الاجيال المتعاقبة و تخضع هذه التجربة التي رسخت مع الزمن ، لقانون التطور الذي يقوم بدور حاسم في نشر بعض الافكار و المفاهيم و القيم و الرموز . ويمارس هذا النشاط الفكري تأثيرا قويا على أشكال التعبير التي تفقد الصلة مع مصادرها التي انشأتها ، و ترتبط هذه الحالة بوضع ثقافي جديد ، و من ثم تكتسب من خلال تحركها و استيعابها لمكوناتها ، ملامح و صورا أخرى و لذلك ((نستطيع ان نفهم أن (شيئا) ما قد يموت بصورة ما اذا قطع عن وسطه الثقافي المعتاد ، اذ ان لغته خارج هذا الاطار تفقد معناها)) . (1)

و اذا كان للجماعة الشعبية دور هام في استمرار التراث الشعبي الذي يعبر عن استقرارها الذي أقامت عليه سلطتها في فترات متعددة من تاريخها ، يدل على تضامن افرادها و تعاونهم فان هذه الجماعة تطرأ عليها أيضا تحولات عميقة في حياتها . و ((اذا استجابت الجماعة الشعبية لهذا التغير ووعته سواء أكان هذا التغيير اجتماعيا أم اخلاقيا . فانها لابد أن تعبر عنه تلقائيا في اشكال تعبيرها)) . (2)

و يقوم تطور أشكال التعبير على عوامل اجتماعية و سياسية .

---

(1) — بن نبي ص : 77 .

(2) — نبيلة ابراهيم ، قصصنا الشعبي ـ من الرومانسية الى الواقعية ، (بيروت : دار العودة ، 1974) ص : 171 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التغـــيـر الاجتمـــــاعـــي :

ارتبطت الجماعـة الشعبيـة فـي طـور من حياتهـــا بالنظـام الاجتمـاعي القـائم على الوعي العفوي، الـذي تضـامـن مع العـلاقات التقـليـدية السـائـدة فـي البيئـة المحليـة . و عنـدمـا ظهـرت التناقضـات الداخليـة بسبب تـراكم الثـروة عنـد بعـض الأفـراد، و بـرز التفـاوت الطبـقي الـى الوجـــود، اضطـرت الجماعـة الشعبيـة، بتـأثـير هـذه الظـروف القـائمـة على التنافس الشديد بين القـوى، الى فهـم المرحلـة التـي مـرت عليهـا . و تطلـب هـذا التغيـر الاجتماعـي من الجماعـة الشعبيـة الخـروج عـن اشكـال تعبيـرهـا القديمـة التـي فقدت قيمتهـــا، و البحـث عـن نمـاذج فنية جـديدة قـادرة على استيعاب مـواقـف افـرادهـا الايديولوجية و احتياجاتهـم، لتجسيدهـا فـي الواقـع.

و يتحـدد تغيـر عناصر التعبير الشعبـي، شكـلا و مضمـونـا داخـل المجتمـع، بحـركـة تمتـد على مستـويين، أحـدهمـا مـن أعلـى الـى أسفـــل و الآخـر مـن أسفـل الـى أعلـى (1)

و يتجه المستـوى الأول مـن أعلـى الـى أسفـل، ذلـك أن ((بعـض العناصر التـي تخلى عنها الكبـار فـي مجتمـع معيـن منـذ فتـرة طويلـــــة قـد اصبحـت مقصـورة علـى الاطفـال وحـدهـم . و مـن الامثلـة البـارزة على ذلـــك و التـي تصـادفهـا فـي شتـى أنـواع المجتمعـات، مـا طـرأ علـى الحكايـة الخـرافيـة مـن تطـورات)).(2)

---

(1) ـ الجوهـــري ، ص : 314 ، 317 ، 318 ، 319 .

(2) م.ن ، ص : 313 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتشكل المستوى الثاني من حركة عناصر التعبير الشعبي في الانتقال من أسفل الى أعلى، الذي تمارسه بعض الطبقات السائدة في المدن لأغراض الاستهلاك. و من الشواهد التي يمكن أن نسوقها في هذا الصدد// عمليات (تطوير) أو (استعارة) أو (استلهام) بعض الاغاني الشعبية او الانغام الشعبية في مصر و في دول عربية أخرى كثيرة كي تكون سلعة تستهلكها الطبقات العليا و الوسطى ... فالمهم هنا أن تراثا كان متداولا بين الطبقات الدنيا يؤخذ و يصاغ في قالب معين ... للتداول بين الطبقات العليا //(1)

ويؤدي الأفراد على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية و الفكرية دورا هاما في تطوير أشكال التعبير، الذي يتم في نطاق ظروف بيئتهم و قيمها المشتركة، و يعتبر هذا التغير حدثا مجهولا، و عملا خاضعا للجماعة التي تسعى الى نشره و الحفاظ عليه باستمرار.

و من الحالات التي يتناولها هذا التطوير من الناحية اللغوية التي يفرضها التكيف مع العصر// ان حكايات ألف ليلة و ليلة أعيدت كتابتها حديثا بأسلوب عامي أكثر ملاءمة لذوق العصر بعد أن حذف منها العبارات و الالفاظ الجنسية الصريحة و هذا ما يؤكد شعبيتها من جديد.//(2)

---

(1) - م.ن ص : 318 .

(2) - أحمد سيّد محمد، البحث عن الشخصية من خلال الامثال الشعبية مجلة الثقافة/(الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، العدد 65 ، 1981) ص : 56.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التغيير السياسي :

كذلك توجد علاقة جدلية ، بين سياسة الجماعة الشعبية و ثقافتها . و تشهد هذه الجماعة انتصارات أو هزائم تترك في نفوس أفرادها و عقولهم أثارا عميقة تكون بمثابة القاعدة لتدمير كل ما تميز في أشكال تعبيرها بالثبات و التقديس فترة طويلة ذلك ((أن كل نمط ثقافي يتحدد بطبيعة الخيار السياسي الذي يلجأ اليه المجتمع في تنظيم وجوده.))(1)

وعرفت بعض الجماعات الشعبية تغيرا سياسيا عنيفا في تركيب مجتمعاتها ، اما بسبب أسلوب الحكم القائم على احتكار السلطة ، و التوزيع غير العادل للثروة أو بسبب ارتباط مصير هذه الجماعات بالغزو الخارجي الذي هدد وحدتها و هويتها . و في هذه الظروف التي ساعدت على ظهور الشعور بالظلم ، جندت الجماعات طاقات أشكال تعبيرها تلقائيا في النضال السياسي و المقاومة الشعبية .

و في الجزائر ، تعرضت أشكال التعبير الشفوي الى تحول جذري ، و لا سيما مجال الادب الشعبي كالحكايات و الملاحم و الاغاني ، و تجسد في تبني قضايا الجماهير ، و استعمال أسماء الابطال و أنماط الاسلحة و أساليب المقاومة الجديدة . و لذلك بالنسبة لأنواع الفنون الاخرى . (2)

---

(1) ـ علي حرب ، نحو اعادة قراءة الاشكالية ، التوحش ، التمدن ، دراسات عربية ، (بيروت : دار الطليعة ، العدد 4/1983) ص : 09 .

(2) ـ فانون ، ص : 209 ـ 211 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و هكذا تتحدد العلاقة بين الثقافة الرسمية و الثقافة الشعبية في سياق التطور التاريخي و الاجتماعي و الاقتصادي. و قد خضعت الثقافتان في تطورهما الى تناقضات موضوعية أدت الى التمايز الشديد و ضعف التبادل بينهما .

كما أن السلوك الشعبي معيار مشترك بين مختلف أفراد الجماعة و يتأسس على التجربة الفردية و الاجتماعية التي تقوم فيها المعرفة العلمية و المنطقية بدور محدود جدّا، تستمد أشكال التعبير عناصرها الجديدة من التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية السائدة في البيئة الشعبية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

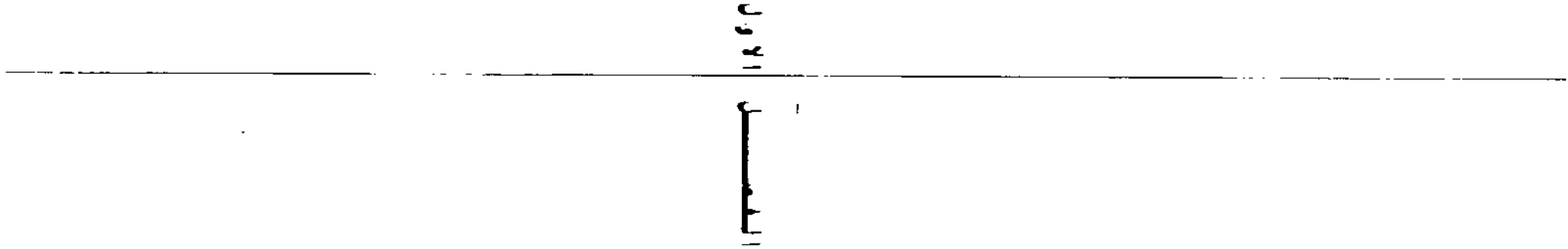

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— توظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائرية —

مقدمة :

يعتبر التراث الشعبي من مكونات الشعوب و ثقافاتها ، سواء أكانت مختلفة أم متطورة .

و قد شهدت المجتمعات العربية الاسلامية في فترات تاريخها فئات تجعل من الدعوة الى احياء التراث الشعبي موقفا استعماريا ، و حاولت ان تقاوم النشاطات الأدبية و الفنية الشعبية في الاجهزة الرسمية . و اقتصرت نظرتها على الثقافة العربية الرسمية و تركيزها على أصولها القديمة ، و لذلك ((و اكثر ما نفهم نحن العرب من هذا التراث هو الشعر الجاهلي و ما وصل الينا من نثر الجاهلية و اخبارها و مختلف فروع المعرفة فيها و ان كانت قليلة)) . (1)

كما اعتبر بعضها الآخر التراث الشعبي مجرد فولكلور محصور في نطاق الميدان التجاري ، و لذلك بقي التراث الشعبي خارج دائرة المعرفة العلمية .

غير انه ظهر وعي بضرورة دراسة هذا التراث الشعبي ، وان كان يفتقر في بعض الاحيان الى المنهج السليم ، واعتبر أن التراث الشعبي قاعدة تقيم الجماعة البشرية عليها وجودها و استمرارها . و لذلك ((زاد الاهتمام في كثير من الاقطار العربية بالتراث الشعبي في مجالاته الشعرية و القصصية ، و الموسيقية و الغنائية و التشكيلية ، و بحكم قوة ارتباط هذه المجالات بالثقافات التراثية المحلية المنتشرة في الارياف و القرى و البوادي العربية ، اضافة للأحياء الشعبية في المدن .)) . (2)

— توظيف التراث الشعبي و انواع عناصره في الرواية الجزائرية :

و في هذه الدراسة نحاول التعرف على دور التراث الشعبي في بناء الرواية العربية في الجزائر و كشف العلاقة المتبادلة بينهما .

اذا كان ظهور الرواية مرتبطا بالاتصال القائم بين الشرق العربي الاسلامي و الغرب ، فانها ليست مجرد نوع فني مستورد ، بقدر ما هو نتاج تفاعل مع الظروف الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية التي ورثتها أغلب

---

(1) — محمد أديب العامري " الادب المعاصر و التراث " مجلة الادب (بيروت : العدد10)ص: 37، 38 . (2) — قيس النوري " واقع البعث الثقافي العربي افاقه " دراسات عربية(بيروت)عدد 3 ، 1990)ص: 28، 29 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعوب العربية من عهد الاستعمار ، و تميزت بها كذلك من خلال حركة النمو بعد الاستقلال .

و يعد هذا النوع الأدبي حديثا في المغرب العربي ، و لا سيما في الجزائر ، اذ لا يزال في طور التكوين باعتباره من نتائج انفتاحنا على الادب العالمي سواء الغربي منه عن طريق النفوذ الاجنبي أو الشرقي عن طريق الثقافة الادبية . و من الطبيعي ان هذا الواقع الثقافي المعقد يمارس تأثيره على الرواية ذلك ان ((الأدب المغربي الحديث حاصل صراع حاد بين ثقافتين وطنية و استعمارية الاولى تقليدية ارتبطت بالماضي ، و حافظت على التراث ، و لم تتطور الا بعد الاستقلال ، و الثانية مرنة متقدمة امتازت بقابليتها المتعددة و تكييفها مع متطلبات العلم و العقل و لذلك استطاعت أن تفرض وصيتها على الثقافة الوطنية)) . (1)

طرح تاريخ القصة في الادب العربي الاسلامي مضمونا ضعيف الاهتمام بالانسان الشعبي و انشغالاته و طموحاته . و اذا كانت هذه القصة في بدايتها تناولت موضوعات ذات طابع شعبي على غرار قصة عنترة ، فقد ظلت هذه المحاولات معزولة لأنها قامت أساسا على اعادة انتاج مفاهيم و قيم و افكار البيئة التقليدية . و لعل هذا السبب نفسه الذي دفع الكثير من الادباء الى التحرر من بعض قواعد الثقافة الموروثة في القصة القديمة التي حرمتهم من دورهم في الابداع الفني و العودة الى التراث الشعبي الذي ما زال حتى اليوم مصدر التفاعل مع الواقع لايجاد الحلول الملائمة له .

يعتمد الفنان على التراث الشعبي لأنه يمثل جزءا هاما من ثقافته ، فيسهم في تحديد أدواته الفنية التي تنمو قدراتها ، و تتطور اساليب توظيفها من ناحية الكم و النوع بممارسة الكتابة .

و تتوقف حظوظ تأثر الفنان بالتراث الشعبي على طبيعة العلاقة القائمة بينهما ، فقد يكون هذا التأثر تلقائيا في التعبير عن نفسه في العمل الفني ، و يمارس التراث الشعبي نفوذا قويا على الفنان ، و ذلك لان هذا التراث

---

(1) — ادريس الناقوري ، " مشكلة المضمون في الرواية المغربية " مجلة الآداب ، (لبنان ، العدد 10 / 1977) ص : 103 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مندرج في نطاق تكوين شخصيته ، سواء من الجانب النفسي الذي يرتبط بعواطفه و ميوله و اهتماماته ، أو من الجانب الاجتماعي الذي يتعلق بعلاقاته الوثيقة مع الجماعة التي يعيش معها . و قد يكون كذلك هذا التأثر مقصودا قائما على البحث و الدراسة لأشكال التعبير الشعبي .

و في الحالتين من نوعية التأثر و درجته ، يتخذ الفنان موقفا من التراث الشعبي من خلال دراسة تناقضاته الداخلية للكشف عن الجوانب الانسانية التي تشارك بدورها في تطور حركة الواقع .

بدأ الادباء في الجزائر يتعرفون على قيمة التراث الشعبي منذ زمن قريب ، و ساعدهم ذلك على ترسيخ تجربتهم في الرواية ، و نشوء وعي بالتميز تجاه الأعمال الادبية الاخرى في العالم العربي . و قد كان ذلك ((بالاستفادة من القاموس التراثي الشعبي و تعبيراته اللغوية الثرية بدلالاتها و ايماءاتها و ارتباطاتها بالحس الشعبي العام)) . (1)

و نلمس في كتابات الادباء الجزائريين و لاسيما الرواية ، التخلي عن تضخيم الذات الفردية و تمجيد البطولة الشعبية التي تلعب دورا هاما في الصراع الاجتماعي من أجل تغيير ظروف الجماعة .

و اذا حاولنا معرفة مصادر التراث الشعبي في الرواية الجزائرية العربية ، وجدنا أن اغلب كتابها لم يركزوا على عناصر معينة ، بقدر ما وظفوا رصيدا شعبيا متنوعا و متعددا ، و يتمثل في العادات و التقاليد و المعتقدات و الادب الشعبي و الفنون الشعبية . و اذا اختلفت عناصر هذه المصادر في الرواية العربية في الجزائر ، من حيث النوع و العدد فان تأثير بعض العناصر فيها ظاهر أكثر من غيرها بدرجات متفاوتة .

اختلفت أساليب تعامل كتاب الرواية الجزائرية مع التراث الشعبي تبعا لطبيعة المرحلة التاريخية التي وجدوا فيها ، وهي تنقسم الى طورين اساسيين ، أحدهما يتمثل في عهد الاستعمار الذي ارتبطت الرواية الجزائرية

---

(1) — محمد بوشحيط ، الكتابة لحظة وعي ، مقالات نقدية ، (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984) ص : 84 ، 85 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيه ، من خلال محاولتها الاولى ، بتصور الكاتب لأوضاع شعبه التي آلت الى التدهور بسبب الاستعمار ، فدعا بذلك الى تصفية وجوده من الوطن .

ان تأثر الرواية الجزائرية العربية بالتراث الشعبي في هذه الفترة من ظهورها ، يتميز من حيث التعامل مع عناصره بالضعف في أغلب حالاته ، على اعتبار ان هذه الرواية نوع جديد لم يستوعبه الفنان و القارئ معا . فالمحاولتان اللتان كتبهما كل من عبد المجيد الشافعي بعنوان ((الطالب المنكوب)) سنة 1951 و نور الدين بوجدرة بعنوان الحريق ، قد حققتا مراحل من التطور في هذا الميدان.

و يتمثل الطور الاخر في عهد الاستقلال الذي عرف فيه المجتمع الجزائري على امتداد ربع قرن ، تحولات اجتماعية و اقتصادية و سياسية و فكرية جذرية .

و دفع هذا الواقع الجديد رجال الفكر و المعرفة الى اعادة النظر في ثقافتهم و أوضاعهم السائدة ، و الدفاع عن حركة التغيير ، و كان منهم الادباء الذين اعتمدوا على الرواية و لا سيما في السبعينات ، حيث وظفوا التراث الشعبي الذي صار قاسما مشتركا فيما بينهم ، يعبر عن مواقفهم الاجتماعية و الفنية . و تمثل اسلوب هؤلاء الادباء مع التراث الشعبي و لا سيما الطاهر والطار و عبد الحميد بن هدوقة و واسيني الاعرج ، في التمييز بين الثابت منه و المتحول و اعادة تفسير عناصره بدلالات جديدة .

كما اختلفت أساليب تعامل الادباء في الجزائر مع التراث الشعبي تبعا لمواقفهم و آرائهم الايديولوجية المتعددة التي فرضت عليه مفاهيم و قيما و افكارا و تصورات معينة في سبيل تحقيق الحداثة .

— توظيف التراث الشعبي و شروطه في الرواية :

و يندرج التراث الشعبي في النشاط الأدبي و الفني في نظرنا من خلال الشروط الاساسية التالية :

1 — نقد التراث الشعبي في سياقه التاريخي :

من الواضح أن التراث الشعبي ليس ذلك المعروض في المؤسسات التجارية التي تتغلب عليها النظرة من الخارج بقدر ما هو وعي و سلوك نمارسهما في حياتنا . غير أن ((هذا الوعي ليس ماضيا و لا بدائيا . انما هو

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نظام معرفي لا يعنينا منه التفاصيل و لكن يعنينا دوره المؤكد في صياغة الهوية)) . (1)

و اذا كان التراث الشعبي نتاجا تاريخيا لجماعة بشرية خضعت حياتها الى معيار طبقي ، فان في التراث الشعبي نوعين من العناصر . أحدهما ايجابي و الآخر سلبي ، يكشفان عن صراع اجتماعي قائم على امتداد زمن طويل . و عملت بعض الطبقات العليا على تحطيم كثير من عناصر التراث الشعبي التي لم تتلاءم مع اهدافها في الحياة ، و استبدلتها بقيم و مفاهيم اخرى ، و لذلك لابد أن تقوم علاقة الكاتب بالتراث الشعبي على اعادة النظر فيه في نطاق ضرورته التاريخية . غير أنه ((لا يجوز أن نفهم السلبي و الايجابي بمقاييس أحد العصور فقط هو عصرنا الحديث ، فقد كان لكل عصر مقاييسه)) . (2)

2 — ترقية التراث الشعبي الى مستوى العصر :

يوجد فرق كبير بين عناصر التراث الشعبي التي أنشأتها الجماعة و مارستها في حدود البيئة ، و بين صور هذه العناصر في الرواية التي طرح المؤلف عن زمنها التاريخي قليلا أو كثيرا بعد ان استوعبها بوعيه الفني . و لذلك فالتطابق بينهما غير جائز ، و من ثم فالاديب ((يقوم و يطور شخصيات ذات دافعية خاصة و يصور مواقف وانفعالات معينة قد تختلف و قد تتفق مع واقع الممارسة الشعبية و لكنها تستهدف في كل الاحوال خدمة البناء الدرامي ، او الموقف الفكري الذي يحاول تقديمه لقارئه)) . (3)

و اذا كان التراث الشعبي يحمل مجموعة قوية من العناصر ، فان دور الفنان قائم على حسن اختيار تلك التي تستوعب دلالات العصر اكثر من غيرها ، حتى لا تظهر الرواية في حالة تكديس لا تقتضيها الضرورة الفنية . و من ثم يتطلب ذلك من الفنان القدرة على توظيف هذه العناصر في نطاق احتياجات المرحلة التي يعيش فيها ، فالتراث الشعبي ليس مجرد اعادة تشكيل الواقع في قالبه بقدر ما هو وسيلة للتعبير عن قيمته الفكرية و الفنية .

---

(1) — غالي شكري " الشخصية الثقافية في عالم متغير " ، نموذج تطبيقي في البيئة التونسية ، المستقبل العربي (لبنان)مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 94 ، 1980) ص: 82 . (2) — نفس المرجع ص 86 .

(3) — الجوهري : ص : 459 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3 — تحقيق العلاقة الجدلية بين التراث الشعبي وبين شكل الرواية ومضمونها :

شهدت الرواية الجزائرية باللّغة العربية في مرحلة قصيرة ، تجارب متنوعة في توظيف التراث الشعبي ، غير أن هذه المحاولات ظلت في نطاق غير متكافىء بين التراث الشعبي ، و بين شكل الرواية و مضمونها .

و قد حاول بعض الادباء استعارة عناصر شكلية من التراث الشعبي للتعبير عن الواقع الاجتماعي و السياسي الجديد ، و وظف بعضهم الآخر موضوعات شعبية ، و حافظ على اساليب فنية مستقلة عنه . كما كشفت بعض الروايات على عمليات اقحام التراث الشعبي بالأفكار و المواقف الاجتماعية و السياسية ، و الاستغراق في الاجواء الخرافية و الاسطورية و العناية بالتنميق .

و لعل سبب العجز عن الربط بين التراث و الرواية يعود أساسا الى غياب المعرفة العلمية الموضوعية التي تساعد الكاتب على تطويس أبعادهما .

— توظيف التراث الشعبي و أساليبه في الرواية الجزائرية :

و هكذا يمكننا ان نتناول مجموعة من الاعمال الروائية ، من أجل التعرف على مدى نجاح أو فشل الأديب الجزائري في توظيف التراث الشعبي و محاولة تحديد علاقته به في نطاق المرحلة التاريخية التي عاشها بكل ابعادها الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الفكرية .

كتب عبد المجيد الشافعي روايته ((الطالب المنكوب)) . و اعتبر الفن القصصي نموذجا مستوردا من الغرب و ((لذلك يحاول مقابل ذلك كله أن يجد بدائل عربية في فن المقامات و الحكايات الشعبية و غيرها)) . (1)

و حاول محمد منيع تقديم موضوع روايته ((صوت الغرام)) بتصور اصلاحي ، فاختار لاحداثها رصيدا شعبيا متكونا من الادب الشعبي و العادات و التقاليد و المعتقدات ، غير أن توظيف عنصر التراث الشعبي الذي كان يهدف الى رسم البيئة الشعبية تحول الى التركيز على النظرة الاخلاقية التي شكلت مظهرا من موقفه الفكري و مارست تأثيرا سلبيا على العلاقة بين الموروث الشعبي

---

(1) — واسيني الاعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986) ص : 151 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و الروايـة ((مع العلـم ان التراث الشعبي مـادة خـام جيـدة يمكنهـا أن تساهم في الكشف عـن أبعـاد الروايـة و اعطائهـا طابعـا شعبيـا أصيـلا يقـربهـا أكثـر مـن الـذوق الجماهيـري)) . (1) و لا نعتقـد أن هـذا التعامـل السلبي مع التراث الشعبي يعود الى طغيـان عناصـره في الروايـة فقـط بقـدر ما يتمثـل في عـدم الارتقاء بهـا الى أفكـار العصـر و مشكلاتـه و في النزعـة الى المحافظـة على القـديـم .

وظفت روايـة ((نار و نـور)) لعبـد المالك مرتاض بعض عنـاصـر الفـن الشعبي الشائـع كثيـرا في الريـف ، كالأوانـي الفخاريـة التي أعطت لهـا شخصية العجـوز حلـومـة أبعـادا تعبـر عـن قيـم الجماعـة و تطلعاتهـا ، و كـذلك استخـدام الادب الشعبي و لا سيمـا الامثال ، غيـر ان استلهام المؤلـف من الرصيـد الشعبي لـم يقـم كثيـرا على اعادة النظـر في رمـوزه ضمـن ما يتطلبـه الحـس العميق بالتاريـخ .

لعب الادب الشعبي دورا هامـا في الروايـة الجزائريـة ذات الاتجـاه الرومانسي تعبيرا عـن المقاومـة الشعبيـة للغـزو الاجنبي . و من أجـل ذلـك تناولت روايـة ((دمـاء و دمـوع)) لعبـد المالـك مرتاض قضيـة حـرب التحريـر ، من خـلال تضميـن مجمـوعـة مـن الامثـال و الاساطيـر التي كانت مصـدرا للقيـم الاجتماعيـة و السياسية في مرحلـة النضـال الوطني ضـد الاستعمـار ، غيـر أن الـوعي الرومانسي الذي انعكس على الروايـة حـال دون الاستغـلال السليـم للتراث الشعبي .

كذلك وظف عرعـار محمـد العالي في روايتـه ((ما لا تذروه الرياح)) مجمـوعـة مـن عنـاصـر الادب الشعبي كالامثـال و الحكايات و الاساطيـر الشعبيـة ، فمارس حضـورهـا تأثيرا سلبيـا على بنـاء الروايـة بسبب الوعي الرومانسي الذي عجـز عـن تفسيـر المشاكـل الاجتماعيـة الموروثـة من عهـد الاستعمـار في الجزائـر .

ارتبطت الروايـة الجزائريـة في مرحلـة الواقعيـة بظهـور القوى الاجتماعيـة التي لعبت دورا هـامـا في تمثيـل التراث الشعبي و تطويـر الروايـة شكـلا و مضمونـا . و مـع ذلك لمس ضعف عنـد أصحـاب هـذا الاتجـاه الواقعي ، فـي موقفهـم من التراث الشعبي . و قـد ظهـر حـاجي محمـد الصادق في روايتـه ((على الـدرب)) عاجـزا عـن الاستفـادة من الادب الشعبي في نطاق الضرورة الفنيـة . كـذلـك حاول عـرعـار محمـد العالي في روايتـه ((الطمـوح)) أن يستمـد مـن

(1) — م ، ن ، ص : 162.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التراث الشعبي الرموز للتعبير عن ابعاد الجماعة الشعبية ، غير ان الموروث الشعبي فقد علاقته بالواقع الذي يتشكل و يتطور فيه باستمرار .

تميزت رواية (قبل الزلزال) للكاتب بوجادي علاوة عن أغلب اعماله السابقة ، في تناوله للتراث الشعبي . و قد استفاد منه دون ان يظهر عبئا ثقيلا عليها ، و كان عاملا حاسما في تشكيل لغة الرواية و دلالاتها و قيمها .

حاولت الرواية الجزائرية ذات الاتجاه الرومانسي و الواقعي النقدي تفسير الظواهر الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و لكنها عجزت عن ذلك بسبب غياب منظور علمي ، و لذلك ظهرت الواقعية الاشتراكية التي استوعبت التراث الشعبي من خلال رؤية فكرية و فنية جديدة للواقع .

و ارتبط رواد الواقعية الاشتراكية بالتراث الشعبي ارتباطا واعيا حيث اعتبروه مجموعا حضاريا انسانيا قائما على الاختيار بين النواحي الايجابية كالعدل و الحق و النواحي السلبية كالاستبداد و الاضطهاد ، و أكدوا ((أن القطع مع التراث الشعبي يعني عمليا حرمان الشعب من التمتع بنتاج آداب و فنون تعود على أساليبها طوال عشرات السنين ، و عاشت في ضميره ، و حرمانه من هذه الآداب و الفنون يعني حرمانه من الثقافة و من القدرة على التطور)) . (1)

و يعتبر الطاهر وطار من الرواد الذين وظفوا التراث الشعبي في رواياته ، فاستطاع أن ((يفتح مرحلة جديدة لتطور الواقعية الاشتراكية في الرواية الجزائرية ذات التعبير العربي مستفيدا من ثقافته التراثية و الحديثة)) . (2)

طرحت رواية ((اللاز)) التناقضات التاريخية في الثورة الجزائرية ، و ارتبط تأثر المؤلف بالتراث الشعبي بالتعبير عن افكاره و رسم شخصياته و موقفها من القضية الايديولوجية في الرواية و لاسيما اللاز الذي يعد امتدادا للجماهير الشعبية في صراعها الاجتماعي و السياسي و الفكري من اجل تغيير الواقع .

---

(1) ـ محمد دكروب ، الادب الجديد ... و الثورة ، (بيروت: دار الفرابي ، ط 2 ، 1984) ص : 33 .

(2) ـ الاعرج ، ص : 492 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المثل الشعبي من اهم عناصر الادب الشعبي الموظف في رواية "اللاز".
ان تكرار المثل (ما يبقي في الواد غير حجاره) من بداية الرواية الى نهايتها من بين عدد من الامثال الأخرى التي وردت فيها كذلك ، يدل على موقف الكاتب الثابت من الصراع الاجتماعي و السياسي حول المشروع الوطني . انه يدعو من خلال هذا المثل الى التمييز بين الخطأ و الصواب في ممارسة العمل الثوري و ان اغتيال الشخصية الثورية لا يشكل مقياسا صحيحا لاصدار الحكم بالفشل على القضية الانسانية لأن هذا الموقف متناقض مع حركة التاريخ التي تلعب فيها الجماهير دورا اساسيا في صنع مصيرها .

كما استفاد الطاهر وطار في روايته ((اللاز)) من طاقات الأغنية الشعبية الأوراسية التي حملت عنوان (الهوى ناروس) . و تضمنت ايضا مجموعة من المعتقدات الشعبية كالسحر ، غير ((ان هذه المعتقدات تحتل مكانا ثانويا في حياة شخصيات الرواية ، و كثيرا ما تأتي في معرض التنكيت و السخرية ، لأن الشاغل الاول لشخصيات الطاهر وطار هو الحياة اليومية ، و ما تعانيه الجماهير من بؤس و حرمان مادي و الذي يدفعها الى الالتحاق بالثورة المسلحة و الحكم بمستقبل أفضل)) . (1)

و تمثل المعتقدات الشعبية في رواية ((الزلزال)) للطاهر وطار كذلك حديثا ساخرا كشفت عن طريقها طبقة بو الألواح التي انطلقت من أصول ثقافة تقليدية قائمة اساسا على رفض التغيير ، و استخدام العقيدة الدينية من اجل حماية مصالح اجتماعية و اقتصادية و سياسية متميزة .

و تناول الطاهر وطار في روايته ((الحوات و القصر)) قضية العلاقة بين الشعب و السلطة السياسية القائمة على التعسف و الاستغلال ، ووظف لهذا الغرض الاسطورة ، فخلق الصراع الاجتماعي بين الجماعة الشعبية التي مارست المقاومة العفوية ، و ساعدتها في ذلك الفئة البورجوازية الصغيرة التي سعت الى تنظيم العمل الثوري و قيادته ، وبين الفئة التي استولت على السلطة و امتيازاتها .

---

(1) — عبد الحميد بورايو، "توظيف التراث الشعبي في بناء الرواية الجزائرية" مجلة آمال (الجزائر) العدد 51 ، 52 ، 1980) ص : 13 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعالج رواية ((نوار اللوز)) للكاتب واسيني الأعرج غياب الديمقراطية في المجتمع العربي الاسلامي و تعتمد في نطاق علاقتها بالتراث الشعبي على السيرة الهلالية التي تعبر عن مظاهر الشقاء البشري في الحياة .

و تجري احداث الرواية في مدينة بلعباس و الحدود الجزائرية المغربية ، و تتميز العلاقة بين هذه الاماكن الجغرافية الشعبية الواقعة في غرب الوطن بالتكامل بين مختلف عناصر تكوينها البشري و الاجتماعي التي تتباين بدورها من حيث القلة و الكثافة ، و الضيق و الاتساع ، و البساطة و التعقيد ، في ممارسة الحرية و الجنس و التجارة . (1)

و هدفت هذه النشاطات الاجتماعية و الاقتصادية الى تحسين ظروف المعيشة من خلال مواجهة السلطة التي لم ترتبط باحتياجات الفرد و انشغالاته و طموحاته .

كما جرت احداث الرواية في وحدات زمانية متعددة ، منها ما أتصل أيضا بالزمن الخرافي الذي ارتبط بوقائع سيرة بني هلال . (2)

و ظهرت في الرواية شخصيات شعبية انتسبت الى جماعة متميزة من الناحية التاريخية ، و الاجتماعية و السياسية و الثقافية .

و عاشت هذه الجماعة ، ضمن حركة التطور التاريخي ، وضع التناقض الواضح بين القديم و الجديد ، بين جذور البداوة التي ارتبطت بها ، و بين شروط التمدن ، مثل تحسين ظروف المعيشة التي يتأسس عليها تحقيق الاندماج . كما عاشت صراعا آخر بين النظام الفكري القبلي القائم على الانغلاق و التهميش و الاستبداد ، و بين المشروع الثقافي الذي يتحمل امكانيات اشباع حاجاتها و اهتماماتها في المستقبل .

---

(1) — بورايو " المكان و الزمان في الرواية الجزائرية " - رواية نوار اللّوز- مجلة المجاهد (الجزائر) العدد 1394 ، 1987) ص : 66،

(2) — بورايو " المكان و الزمان في الرواية الجزائرية " مجلة المجاهد ، (الجزائر: العدد 1396 ، " 1987) ص : 59 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و طرحت رواية ((ماتبقى من سيرة لخضر حمروش)) للمؤلف نفسه صراعا اجتماعيا و سياسيا قائما بين الأقطاعية و البيروقراطية و بين الثورة الزراعية التي اعتبرت حدثا حاسما في تاريخ البناء الوطن الجزائري . و قدم لنا مجموعة من الشخصيات الشعبية ذات السلوك الاجتماعي المتنوع حسب مواقفها الثورية أو الرجعية من الاحداث .

ارتبطت رواية ((حمائم الشفق)) للكاتب خلاص جيلالي ، بالاحداث التاريخية التي مرت بها مدينة على امتداد خمسة قرون . ووظف المؤلف الامثال و الحكم الشعبية للتعبير عن وعي الانسان الشعبي و ظروفه و مواقفه . و نتعرف في خضم هذه الوقائع على الشخصيات الشعبية التي قامت بالبطولات و التضحيات من اجل الدفاع عن هذه المدينة العريقة و المحافظة على استقلالها و هويتها المتميزة .

و من هذا كله يبدو لنا أن تعامل الادباء مع التراث الشعبي في المجتمع العربي الاسلامي ظل قائما على العداء و التركيز على أصول الثقافة الجاهلية القديمة . كما اقترن تاريخ ظهور القصة في البيئة بالتأكيد على امتيازات الاقلية و اهمال متطلبات الانسان الشعبي البسيط .

و اختلف الادباء الجزائريون في طبيعة توظيف التراث الشعبي من حيث الكم و النوع و الطريقة حسب تصوراتهم الفكرية و مواقفهم من التعبير الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي في المجتمع . كما ارتبطت محاولات استخدام هؤلاء الادباء للتراث الشعبي أساسا بشروط تمثلت في الصيرورة التاريخية و الدلالة المعاصرة و التوفيق بين التراث و الوعي الفني .

كما ترتبت عن هذا التوظيف الفني أخطاء كثيرة ، تفاوتت فيما بينهم ، و هي التي اتصلت بضعف اختيار العناصر الشعبية ، و قصور دلالتها العصرية و افتقارها للخصوصية الجزائرية ، و عدم التمييز بين الايجابية و السلبية باستثناء القليل منهم مثل عبد الحميد بن هدوقة و الطاهر وطار و واسيني الاعرج الذين حققوا نسبيا العلاقة الجدلية بين التراث الشعبي و الرواية ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

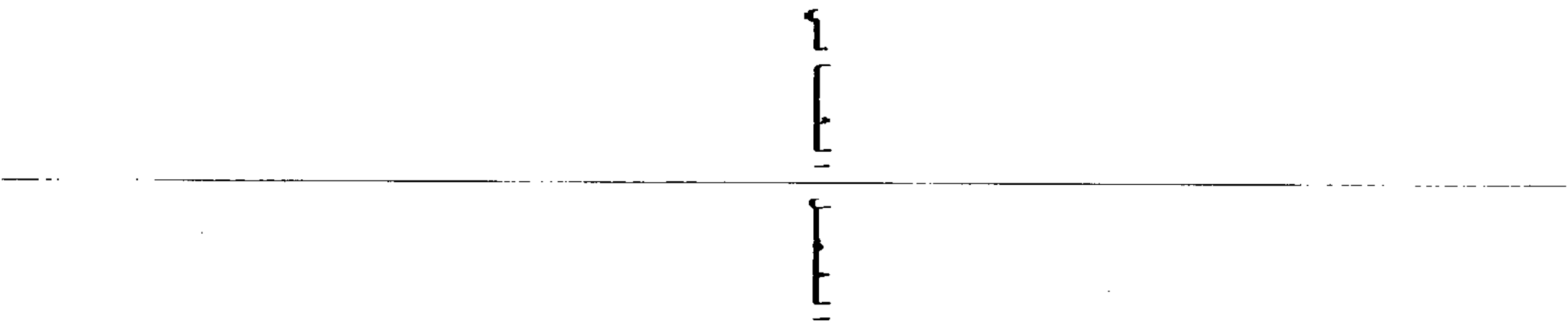

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ توظيف العادات و التقاليد في الروايات :

حظيت العادات و التقاليد الشعبية باهتمام كبير في ميدان الدراسات العلمية أكثر من غيرها من عناصر التراث الشعبي . و اذا حاولنا تحديد العادات و التقاليد الشعبية من حيث الدلالة ، لابد من الاشارة الى ضرورة التمييز بين هذين المصطلحين من الناحية العلمية ، بسبب التداخل الكبير القائم بينهما .

و من ثم يمكن القول أن العادات ذات طابع متوارث ، و مكتسب و متكرر و متعلم .(1) بينما اتفقت آراء متعددة من الباحثين أن أهم ما تقوم عليه الجماعة الشعبية يتمثل في توارث التقاليد و الحرص الشديد عليها . و من بين هؤلاء يرى حسن الساعاتي ((أن التقاليد عادات مقتبسة اقتباسا رأسيا ، أي من الماضي الى الحاضر ، ثم من الحاضر الى المستقبل ... و يزيد التقاليد قوة أن آباءنا يتمسكون بها ... ولذلك كان أصعب دور كلف أياه الانبياء و المرسلون تغيير عادات القوم المتوارثة أي تقاليدهم)) . (2)

ان العادات و التقاليد الشعبية ظواهر سائدة في كل بيئة سواء أكانت تقليدية أم حديثة ، و تظهر في العلاقة الوثيقة بين الفرد و الجماعة ، و ترتبط بالقدرة على التكيف مع ظروف البيئة الطبيعية و الاقتصادية ، و الاجتماعية ، و ذلك من أجل البقاء و الحفاظ على الحياة .

و هناك نوعان من العادات ، أحدهما ينشأ من تفاعل الجماعة مع العالم الخارجي ، و الآخر ذاتي يتصل بالاساليب التي يكونها الفرد من خلال ممارسة شؤونه الخاصة .

---

(1) ـ فوزية دياب ، القيم و العادات الاجتماعية ، مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية ، (بيروت : دار النهضة العربية ، دار الطباعة و النشر ، سنة 1980) ص : 104 ، 105 .

(2) ـ م ، ن ، ص : 164 ، 165 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتميز العادات والتقاليد الشعبية بالقسر ، ولذلك تمارس الجماعة أنواعا من العقاب على الاشخاص الذين يخرجون عنها ، كما تتعرض الى التغيير باستمرار لأن كل جماعة بشرية تعمل من أجل الخروج من طورها الطبيعي والتواصل الى وضع أكثر تمدنا .

وللعادات والتقاليد الشعبية وظائف متنوعة ، منها الاجتماعية التي تتمثل في الترابط العضوي بين أعضاء الجماعة ، وتنظيم العلاقات فيما بينهم والتمايز عن الاجانب ، ومنها الاقتصادية ،كاختصار المجهود والزمن ، ومنها الاخلاقية كتوجيه سلوك الفرد وتقويمه .

وهكذا نجد ان ثقافة الجماعة تقاس بمقدار مالديها من عادات وتقاليد شعبية في كافة مجالات الحياة ، لما تتضمن من قيمة مادية وروحية هامة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مراسيم الولادة الشعبية :

طقوس الولادة عادة اجتماعية وظفها المؤلف في الرواية ، حيث رسم مجموعة صور لعناصرها الشعبية ، استطاع من خلالها تشخيص ظاهرة معاناة المرأة في الولادة . لكونها من أصعب الوظائف الطبيعية التي تقوم بها للاندماج في العائلة . اذ ((يمثل ميلاد الابن الخطوة الاولى نحو استقرار الفتاة المتزوجة عند عائلتها الجديدة ..... انها تسهم عن طريقه في تأسيس البيت الزوجي ... و الابن وحده هو الذي يتيح لها الاستفادة طيلة حياتها من قانون الامومة ... كما ان المولود في نظرها أهم من زواجها ، بحيث اذا كان يتميز بقيمة اجتماعية كبيرة فان مكانتها الثابتة لم تتحقق ضمن العائلة و لذلك يعتبر ميلاد هذا الابن البداية الحقيقية لحياتها)) . (1)

و ساق المؤلف مراسيم الولادة في الرواية و أشار في البداية الى ان الانسان الشعبي يهتم بالاعداد للوضع من الناحية الاقتصادية وذلك بتخزين المواد الغذائية فترة من الزمن لاقامة وليمة و لذلك ((أعدت لهذه المناسبة منذ مدة ماينبغي من زيت و سمن و بيض و دجاج و قهوة و سكر و شاي ... كما جرت العادة)) . (2) و يمثل الوجع أولى مراحل الوضع الذي تمر عليه الحامل ، اذ ((احست رقية بوجع شديد يجوب بطنها في التوا ات عمودية و افقية . لقد باغتها الالم و هي تستعد لاعداد العشاء)) . (3) ان الشعور بآلام الوضع يقتضي من النساء اللواتي يقمن معها ملازمتها وطلب القابلة ((و اذ لاحظت حماتها انطواءها أدركت أنها تعاني آلام الوضع ، فارسلت حالا تخبر أهل رقية بالأمر ، و ارسلت الى القابلة تدعوها للحضور)) .4

اضطلعت المدعوات من النساء بدور هام في تحفيز رقية على تحمل الاوجاع و تسهيل خروج الجنين ، بعبارات مألوفة في هذه المناسبة ((كن مستبشرات مبتسمات داعيات لرقية بيسر الولادة ... و كن يشجعنها

---

(1) -- Du Jardin , pages : 86 , 87.
(2) — نهاية الامس ، ص : 92. (3) — م ، ن ، ص : 91.
(4) م ، ن ، ص : 91 ، 92.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و يهون عليها ما تقاسيه من ألم (شدة و تفوت) (سحابة صيف) (غمة خير) الى آخر العبارات التي تعودن قولها في مثل هذا المقام .) .(1)

و تتبع المؤلف المراحل التي قطعتها القابلة في عملها ، و الطريقة التي صاغت بها تجربتها و خبرتها الطويلة و الوسائل التي توفرت في هذا الموقف ، اذ ((ربطن لها حبلا في عمود بالسقف لتمسك به و تستعين على ألمها ووضعها ، ثم تركن أمرها للعجوز يمينة التي اخذت تدلك بطنها دلكا خفيفا من اعلى الى اسفل و تحرك ساقيها الواحدة بعد الآخر و تضع يدها بين الفينة و الفينة في عضوها التناسلي باحثة عن الجنين بطريقتها الخاصة)) . (2)

و ركز بن هدوقة على معاناة رقية في الوضع و ساق كثير من مظاهرها العضوية التي تترتب عنه ، كالأنين و الصراخ و الاغماء ((وكانت رقية تتعصر ألما ، تئن مرة ، و تصرخ أخرى و تحس بالاغماء تارة)) . (3)

و اذا كان دور النساء في الوضع كثير الاهمية ، فقد اقتصر تدخلهن على الجوانب البدنية ، و لذلك ظهرت رقية من خلال الوضع وكأنها جسد انفصلت اعضاؤه عن عالم احاسيسها و آلامها و جهودها من أجل الانتصار على تجربتها الطبيعية ، بينما كانت النساء الحاضرات ((يتندرن بالنكت و يتضاحكن و يتقهقهن أحيانا حتى تطغى قهقهتهن على صراخ الفتاة المتألمة التي تعاني اعسر تجارب طبيعتها كانثى)) . (4)

كما يمثل المولود من حيث هو ذكر أو انثى أهم خبر يتطلع اليه افراد العائلة . فالانسان الشعبي ينظر الى الذكر على انه مصدر رزق و اطمئنان على ممتلكات العائلة و شرفها بينما يعتبر العائلة التي يكون فيها ((عدد البنات جد مرتفع ... عائلة ضعيفة اذا اعتبرنا ان الفتاة قد تكون مجلبا لمشاكل فيما يتعلق بكمالها الجسدي و الخوف من عدم تزوجها أو تزوجها و الاقامة في مكان بعيد أو في عائلة لها قيم اجتماعية مختلفة)) . (5)

---

(1) — م ، ن ، ص: 92 .
(2) — م ، ن ، ص : 92 .
(3) — م ، ن ، ص : 92 .
(4) — م ، ن ، ص : 92 .
(5) — بوتغنوشت ، ص : 324 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و لهذه الاسباب كلها كان موقف عائلة رقية سلبيا لأن المولود الجديد أنثى . و تأكد هذا المعنى من خلال رد فعل الجدتين اللتين استقبلتا هذه البنت ((بامتعاض و فتور لم يخفهما تظاهرهما بالسرور .)) . (1)

و تعد التسمية من عناصر الولادة التي تناولها بن هدوقة في الرواية .

و ترتبط التسمية عند الانسان الشعبي بالأجداد و الوالدين الذين فرضوا أنفسهم بشدة على تكوينه النفسي و العقلي .

كما تعتمد التسمية على معاني العبودية للخالق و أسماء الانبياء و الخلفاء الاربعة و المناسبات أو الاعياد الدينية ، و على الايام و الشهور المعروفة . و يعتقد الانسان الشعبي أن التقيد بهذه التسميات يجعل المولد صالحا في الحياة . (2)

و لعل مادفع رقية الى اختيار اسم فريدة لمولودها هو التعبير عن الحرمان و الغربة اللذين عانت منهما في القرية . كما عكس التناقض القائم بين أحلامها و آمالها في أن يكون هذا الاسم رمزا للتحرر من وصاية الاسلاف ((هي تفضل من الاسماء اسما جديدا لاتعرفه القرية)) (3) . وبين الوضع الاستعماري الذي تعيش فيه و حال دون تحقيق غايتها ، ((ان الاسم الذي أعطته لصغيرتها :فريدة لا يتلاءم مع ما تعيش فيه من ظروف ... لو كانت بنتي قنبلة لرميتها بلا شفقة على هذا الجيش الظالم)) . (4) و بذلك صار اسم فريدة جزءا هاما من وعي رقية الرومانسي في مواجهة مصيرها .

و هكذا ارتبطت مراسيم الولادة في رواية نهاية الامس بهموم المرأة و مشاكلها الاجتماعية و العاطفية ، الا أن استخدام المؤلف لهذه العناصر الشعبية تميز بالنزعة الرومانسية التي تدعو الى التذكار و العودة الى الماضي . و قد ادت هذه النظرة المثالية الى ان يكون حضور الموروث الشعبي داخل الرواية مقصودا لذاته وخارجا عن سياقه التاريخي .

---

(1) ـ نهاية الامس ، ص : 93
(2) ـ د ياب ، ص : 319
(3) ـ نهاية الامس ، ص : 91
(4) ـ م ، ن ، ص : 94

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مراسيم الختان :

شغلت مراسيم الختان حيزا في رواية نهاية الامس . و يعبر الختان عن تجارب الانسان الشعبي و علاقته الوثيقة بالجماعة .

و اذا كان الختان ظاهرة قديمة فان الجماعات تختلف عن بعضها البعض في تصور عمليته و أساليبها . و تعود أسباب ذلك الى الثقافة التي كونتها و الدين الذي مارسته في حياتها .

و هكذا قدم لنا بن هدوقة مجموعة وقائع حفل الختان ، و حاول أن يرسم لنا مواقف المشاركين فيه من النساء و الرجال و حركاتهم و الوسائل التي استخدموها لتحقيق الغاية من هذه الظاهرة .

و لقد استمد المؤلف مراسيم الختان و عناصره من قرية الحمراء التي تقع جنوب غربي بلدية المنصورة حوالي عشرة كلم بولاية برج بوعريريج . (1)

استعرض النساء اللواتي تمثل دورهن في متابعة مراسيم الختان من خلال ممارسة النشاط الفني كالغناء ((و كن يتغمن بأغنية عذبة رخيمة المقاطع يغنينها في مثل هذه المناسبة . و كانت بعضهن تطلق ولولات حادة طويلة عند كل مقطع)) . (2) و تميز هذا الموكب بالمساهمة كذلك في العمل اليدوي الذي قامت به في مقدمته العجوزتان ((تحمل احداهما طبقا من حلفاء و الاخرى فأسا)) . (3) و قد اسندت اليهما مهمة حفر التراب و احضاره في طبق ليضفي عليهما طابع الارتباط بقيم الجماعة و سلطتها . و اختلف الرجال عن النساء من خلال البنادق التي أكد دوي بارودها ، وجودهم في كل مراحل الختان ، و أعطى للحدث احتراما و اجلالا . ((و دوي البارود ممتزجا بولولات النساء)) . (4)

---

(1) — لقاء مع المؤلف عبد الحميد بن هدوقة ، أفريل ، 1992 .
(2) — عبد الحميد بن هدوقة " نهاية الامس " (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط 2 ، 1978) ص : 256 .
(3) — م ، ن ، ص : 256 . (4) — م ، ن ، ص : 257 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقف بن هدوقة عند عملية الختان ، و ظهر الطفل الذي وضع في حجر شخص بمظهره الخارجي الخاص المتمثل في ((لباسه الابيض الناصع ، و على راسه شاشية اعطاها القرمز كل حمرته ، علق في عنقه منديل حريري اخضر)) . (1)

و يعد الخاتن من امهر الحلاقين في الريف ، و هو يعطي اهمية خاصة لصرامة الموسي و حدته من خلال قطع الشعرة قبل أداء عملية الختان ، الى قسمين ، ((و تقدم الخاتن بموسيه الحاد فاقتلع شعرة من راسه و ضربها بالموس فانشطرت شطرين مظهرا بذلك للملأ حدة الموسي)).(2) و يلجأ الخاتن عادة الى هذه الطريقة للسيطرة على الموقف ، و احداث اثر ايجابي في نفوس أهل الطفل و الناس الذين يحيطون به ، و تدعيم ثقة الجميع في نجاح الختان . و احتياطا من أن يمس الموسى كمرة الطفل و أن يجرحها ، نجد الخاتن قد ((أخذ حصاة صغيرة ملساء ، فوضعها في قلفة الصبي . ثم أخذ القلفة فأدخلها في عين جلدة من مطاط ووضع طبق التراب و عليه أغصان من العرعر أسفل فخذي الطفل .)) . (3)

و تستخلص هذه الاغصان من شجر العرعر و لاسيما الصنوبر ، لأن قشرته صلبة و سميكة ، مع حكه في القرميد الجزائري لأنه أحرش و تستمد منه غبرة .

لقي الطفل تحفيزا الناس و تعاطفهم معه لاطمئنانه ((وحلق الحاضرون حول الخاتن و الصبي ، و راحوا يلفتون نظر الصبي الى الدنانير التي كانوا يضعونها في منديله لاشغاله بذلك عن موسى الخاتن)) . (4)

و مهما كانت مهارة الخاتن و حكمته و حزمه ، فانه لا يمكن له أن يستغني عن الناس المشاركين في عملية الختان لأنهم يعملون على تحسين ظروفها و ضمان نجاحها .

(1 ، 2) — م ، ن ، ص : 257 .
(3) — م ، ن ، ص : 257 .
(4) — م ، ن ، ص : 257 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يكن دفن القلفة في التراب حاجة طبيعية كتجفيف الدم فقط ، بقدر ما هو داخل في تصور التراث العربي الاسلامي الذي يقتضي من الانسان أن يدفن أجزاء جسمه مباشرة في التراب .

وهكذا ارتبطت مراسيم الختان في الرواية بمستويين من الدلالة . أحدهما اجتماعي يدل على أن البشير وعائلته ينتميان الى البيئة الشعبية ، والآخر رمزي يقوم على رؤية رومانسية يتحول هذا الموروث الشعبي من خلالها من اطاره الموضوعي الى قضية فردية .

==========

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مراسيم الزواج الشعبي :

اهتم بن هدوقة في رواياته بالعادات و التقاليد باعتبارها جزءا من التراث الشعبي . و يعتبر الزواج الشعبي من أهم عناصرها الذي طرح المؤلف من خلال مراحله مجموعة من القضايا الاساسية ذات دلالات حديثة .

عالج المؤلف مسألة الاختيار في الزواج ، في ريح الجنوب عندما فرض والد نفيسة عابد بن القاضي مالكا زوجا لها ((أبوها يقرر منعها من العودة الى الجزائر ، من مواصلة الدراسة . يقرر تزويجها ، يختار هو من تتزوج به)) . (1) ذلك أن الرجل ، خاصة الاب ، هو صاحب السلطة الفعلية في المؤسسة العائلية ، اذ ان ((في العائلات القديمة كان الاولياء يزوجون البنت أو الابن ، و القاعدة تطبق أكثر على البنت حيث نجد أن الابن له الاختيار أو الاقتراح في بعض الحالات)) . (2)

و تختلف درجة اعتماد الزواج الشعبي على الاغراض الاجتماعية و الاقتصادية من عائلة لاخرى بينما يتطلع ابن القاضي من خلال الزواج الى حماية الارض بالدرجة الاولى .

((ان مصير الملكية رهيب بالنسبة للملاك ، و هو واحد منهم . فان لم يبتغ الوسائل الكفيلة بالحفاظ على أرضه من الآن فيستطيع منه ... و الوسيلة لابقاء ماكان عليه هي مصاهرة شيخ البلدية)) . (3)

الخطوبة : أورد المؤلف الخطوبة الشعبية في الرواية ، و حاول أن يحدد القواعد التي يقوم عليها طلب يد الفتاة في الريف و القيم التي يعتمد عليها في اختيارها .

---

(1) — عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط 4 ، 1980) ص : 87 ، 88 .

(2) — مصطفى بوتفنوشت ، العائلة الجزائرية ، التطور و الخصائص الحديثة ، ترجمة ذمري أحمد (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، 84) ص: 137 .

(3) — ريح الجنوب ، ص : 91 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تكون الخطوبة في الريف قصيرة في الزمن لا تتجاوز الشهور ، و اذا طالت في بعض الحالات فان ذلك لصغر سن الفتاة ، أو رغبة لعائلة الخاطب في التريث تحت تأثير تكاليف الزواج . و الخطوبة الشعبية عملية سهلة لأن الجماعة محدودة تربط بين أفرادها علاقات الدم ، يعرف من خلالها كل واحد من هؤلاء ممتلكات الآخر سواء أكانت مادية أم معنوية. كما أن الفرد جزء اساسي في العائلة و لذلك يعد حضور الوالدين أو واحد منهما أو شخص يمثل رأيهما ضرورة . (1)

و لعل حضور بوغرارة مع البشير في رواية نهاية الامس تمثيل لرأي الكبار في خطبة رقية ((بعدما ادخلت العجوز ربيحة الرجلين الى الحجرة عادت الى الحجرة العائلية حيث تقيم رقية و طلبت اليها أن تعد القهوة)) . (2)

كما أن الرد على الخطيب بالقبول مباشرة بعد الطلب أمر قبيح و لذلك يتم غالبا بعد فترة من الزمن قد تدوم أياما أو أسابيع. ان التسرع في الرد على طلب يد المرأة يحتمل بعض التأويلات ((انه من العار علينا أن نقبل باي عرض لأول وهلة كأننا كنا ننتظر من هذا الرجل ما جاء به من أجله ، قولي له اعطينا مهلة للتفكير)) . (3)

و يعد اعلان الخطوبة مرحلة حاسمة في الزواج الشعبي ، اذ يتم من خلالها الاتفاق على قيمة العرض التي يتحمل مسؤوليتها الرجل بحضور الجماعة التي تتكون في هذه المناسبة من أقارب و عدد من السكان المدعوين .

ومن ثم حاول ابن القاضي أن يجعل مالك حريصا على الزواج مع نفيسة عندما أخبره بواسطة الطاهر المعلم ، بشيوع أمره بين الناس في القرية . ((ان أمر هذا الزواج شاع بين الناس الى درجة أنه

---

(1) — محمد عاطف غيث، دراسات في علم الاجتماع القروي ، (بيروت : دار النهضة العربية ، 1967) ص : 128 .

(2) — نهاية الامس ، ص : 278 .

(3) — م. ، ن ، ص : 283 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يعد من الممكن عدم وقوعه . ان فضول الناس و تساؤلاتهم متى يقع الاعلان عنه جعلني احيانا في مضيقة مستمرة)) . (1)

و من الواضح ان ابن القاضي صاحب المصلحة في هذا الزواج ، لجأ الى هذه الحيلة ليضفي على الخطوبة شرعيتها ، عملا بالاعراف السائدة في الريف .

تعرض المؤلف الى المهر الذي شمل المتطلبات المادية كالأثاث و الكساء و الحلى و المؤن التي يدفعها الزوج في نطاق الخطوبة ،وتختلف هذه القيمة المادية للمهر من عائلة الى اخرى حسب الظروف الاجتماعية و الاقتصادية .

و رغم اهمية المهر و دوره في تدعيم العلاقة القائمة بين الزوجين ، فانه يعتمد غالبا من حيث المفهوم على فكرتي البيع و الشراء ، اذ يشكل الوسيلة التي تستخدمها فئة من الناس في المجتمع من اجل تكديس الثروة ، و يتحول المهر بذلك الى صفقة تجارية و ينفصل عن غايته الرمزية .

و قد ارتبطت حيرة نفيسة و قلقها في رواية ريح الجنوب بهذه العادة الاجتماعية القائمة على استغلال المرأة و تجريدها من كرامتها الانسانية . و ليست نفيسة وحدها الضحية ، و انما شاركتها في ذلك نساء كثيرات في البادية ، اذ ((سمعت احداهن تحكي عن فتاة في السابعة عشرة من العمر ، أعطاها ابوها مقابل مهر يتركب من قنطارين برّا وكبشين و عشرة ليترات من الزيت ، و خمسة سمنا و ألف دينار ، و اشترط الملابس خمسة خمسة من كل ملبوس ، كما اشترط سوارين و حزاما من فضة و قرطين و خاتما و سلسلة من ذهب .)) . (2)

ارتبطت خطبة النكاح في الرواية بالزواج الشعبي ، و قد أعد اهل الخطيبة حفلا كبيرا بحضور العائلتين و الاقارب و المدعوين من الناس .

---

(1) ـ ريح الجنوب ، ص : 226 .
(2) ـ م ، ن ، ص : 188 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكما هو متعارف في مثل هذه المناسبة ، يتطلب من رجل الدين أداء خطبة النكاح ، و ((يأخذ النكاح قيمته من التعاليم الدينية لأنه الوقية تحمي من خطر الزنا ، أي النشاط الجنسي الذي يعتبر في سياق المحرمات (الحرام) عن الخطيئة الرئيسية في حال ممارسته خارج اطار الزواج)) . (1)

ولم يكن اختيار الشيخ علاوة غريبا للقيام بهذه المهمة اذ يعود الى العلاقة الوثيقة بينه وبين عبد الكبير صاحب الامر ، الناجمة عن تقاربهما من الناحية الاجتماعية و الفكرية . ومن هنا ((اتخذ الشيخ علاوة مكانه بالمجلس المعين له وطفق يقرأ خطبة النكاح المشهورة التي قيلت في خطبة خديجة للرسول ، ثم رفع كفيه تاليا الفاتحة و تمنى في النهاية الخير و الرفاء و البنين)) . (2)

زيارة الحمام الشعبي : وظف المؤلف عادة زيارة العروس للحمام في المدينة قبل موعد الزفاف ((واذا بولولات النساء تنطلق بباب الحمام معلنة وصول العروس و ذويها)) . (3) فالحمام ((هو مرفق اساسي في المدينة العربية الاسلامية ، يؤكد منزلة الجسد البشري في الاسلام و (يختزل) عبر تلك الجدلية بين الحار و البارد ، و بين الجاف و البليل و بين العاري و المكسو ، جدلية اعمق بين الحسي و المقدس ، بين المادي و الروحاني)). (4)

وردت مراسيم هذه الزيارة الى الحمام فتمثلت في موكب النساء و الغناء التقليدي اللذين رافقا العروس اذ ((كانت تتقدم العروس و من رافقتها مغنية تقليدية تغني اغنية خاصة بالمناسبة مضمونها طمأنينة العروس

---

(1) — نور الدين طوالبي ، الدين و الطقوس و التغيرات ، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية 1983) ص : 89 .

(2) — عبد الحميد بن هدوقة ، ريان الصبح (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ط 2 ، 1984) ص : 208 .

(3) — م ، ن ، ص : 58.

(4) — منصف الوهايبي " رموز و فضاء في فن العمارة العربي ، السوق ، الجامع ، الحمام ، المزار ، مجلة فكر و فن ، (برلين : الطباعة ، F: Bruekman KG - Glaphische MUNCHEN ، 1985) ص : 66 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الحياة المقبلة عليها ، و ذكر جمالها و الدعاء بالخير لها و السعادة)). (1)

تربط المرأة عموما علاقة قوية بالحمام ، فهي تستغرق فترة طويلة في عملية الاستحمام ((دخلت العروس بموكبها و ابهتها ... و اتجهن جميعهن الى الاحواض اليمنى، أزاحت العروس عن وركيها الفوطة لتستحم ففعلت الاخريات مثلها و اخذن يغتسلن)). (2) فالحمام بهذا المعنى يشكل ظاهرة اجتماعية تكون المرأة فيه عالما خاصا حيث تمارس أنواعا من النشاطات ذات الطابع المقدس أو الممنوع أو المجهول . انه يتيح لها على سبيل المثال حل بعض القضايا المعقدة كالزواج. (3) فقد ((كانت العجوز . كلثوم تتنسم الاخبار عن وهيبة ، الاخت الصغرى للعروس ، و التي يتحدث عن جمالها كل من رآها ، كما تبحث عن زوج لزبيدة ، أو لدليلة لأنها أيضا في سن الزواج ...)) . (4) ولذلك يعد الحمام بالنسبة اليها مجالا تهرب اليه من واقعها المكبوت ، ومن سيطرة الرجل الذي اغتصب حريتها . و لعل الضياع الذي كانت زبيدة تعيشه هو الحالة التي دفعتها الى البحث عن الفرصة السانحة للتحدي . ((انها تبلغ بالضبط ثماني و ثلاثين سنة ، قضت منها ما يقرب العشرين في انتظار مثل هذا اليوم ، و لم يتقدم اليها من يحظى برضا والدها . ان خطبها مثقف فضل لها الغني، وان خطبها غني تمنى لها من يجمع العلم والثراء ،وان تقدم هذا ودّ لها من له حسب و نسب ... و بقيت تنتظر الرجل الذي يعجب والدها حتى أوصلها الانتظار الى العنوس)) . (5)

نظر المؤلف من خلال مشهد في الحمام الى الجسد باعتباره جانبا مخفيا و مقموعا من حياة المرأة . فالحمام يحتوي على نماذج جسدية لأعمار متنوعة من النساء ، تنعدم فيها قيمة الجمال . ((انه عبارة عن سوق للعواري من كل سن ، من الثانية عشرة الى السبعين أو أكثر! ... بالخصوص ما يلاحظ من فرق مريع بين أجسام تلك النساء العواري حسب

---

(1) — بان الصبح ، ص : 58. (2) — م ، ن ص : 63.
(3) — عجال نورة " الحمام كمجال نسوي " المسار المغربي (الجزائر : 1988) صفحة 60 ، 61 .
(4) — بان الصبح ، ص : 71. (5) — م ، ن ، ص : 59 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعمارهن ... بعضهن ضفادع ضخمة تلبس جلودا بيضاء ، لا تكاد تتحرك من السمن)) . (1) فالجسد الانثوي لم يكن أكثر من طاقة لممارسة اشغال البيت . ان ((أغلب الجزائريات و لاسيما من تربين مثلي ، لا يفارقن البيت ، يعنون غالبا بوجوههن أكثر من كل شيئ آخر ...)) . (2)

و بعد اتمام مراحل غسل أجزاء جسم العروس و النساء اللواتي رافقنها ، و اكتسابه نعومة و جمالا ، يتوجهن الى قاعة الاستراحة حيث تقدم ((المشروبات لمن كان بالحمام بدون استثناء)) . (3) و يستعمل العطر في آن واحد ، و لذلك كانت المرأة تحمل في يدها قمقما ترش بما فيه من عطر على النساء)) . (4)

---

(1) — م ، ن ، ص : 60 .
(2) — م ، ن ، ص : 64 .
(3) — م ، ن ، ص : 73 .
(4) — م ، ن ، ص : 73 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليلة الدخـــول :

ساق بن هدوقة عن طريق تيار الوعي مجموعة من العناصر الشعبية تعلقت أساسا بالمراحل التي مر بها الانسان الشعبي في ليلة الدخـــــول .

ان الاعداد للعملية الجنسية متوقف على تأخر أحد الشريكين عن الدخول الى الآخر . ((لقد عملت صديقتها وقريبتها ممن كن معها في عرسها أن لا تسبق الاولى لحجرة النوم و أن يكون دخولها لها بعد زوجها ، فحظ السيطرة على الموقف في تلك الليلة بيد من دخل الاخير)) . (1)

كما تناول المؤلف العجز الجنسي عند الرجال للتعبير عن بعض العمليات السحرية و المفاهيم الخلقية التي يتأثرون بها ليلة الزفاف انهم ((لا يطيقون لاسباب مختلفة ، منهم من يثقف بالسحر ، و منهم من يشتد حياؤه و خجله حيث يستقبح الحياء)) . (2)

و تعد الجماعة الثقاف و الحياء من عناصر ثقافتها القائمة على انفصال الجنسين عن بعضهما في الحياة اليومية و من ثم ((لا يصاب بهذا الربط الا من كانت قابليته للايحاء كبيرة جدا ... و السبب في الاقتناع بفكرة (الثقاف) يرجع في الواقع الى تعود الافراد ممارسة هذه العملية منذ حقب طويلة ، و تسعى المرأة الى الحفاظ على هذه الوسيلة كسلاح لتهديد الرجـــــل)) . (3) ثم أشار المؤلف الى المضايقات و الضغوط التي يمارسها أفراد العائلة على العرائس بسبب عدم تحقيق الافتراع الذي يسمح لهم بالاطمئنان على شرفهم و سمعتهم الطيبة ، اذ ((تبقى الزوجات العرائس ليالي و أياما ينتظرن ساعة الفرج و هن بين لوم الاتراب و تعنيف الامهات فلا هن بالزوجات و لا هن بالاخوات حتى يضقن ذرعا بحياتهن تلك المعلقة ...) . (4) و بذلك طغت التجربة الحسية على العلاقة الزوجية على حساب العاطفة .

---

(1) ـ نهاية الامس ، ص : 88 . (2) ـ م ، ن ، ص : 87 .
(3) ـ نادية بلحاج ، التطبيب و السحر في المغرب (الرباط : الشركة المغربية للناشرين المتحدين ط 1 ، 1986) ص : 78 .
(4) ـ نهاية الامس ، ص : 87 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و كشف بن هدوقة من خلال شخصية رقية أنواعا من الصور تعلقت بموقف الانسان الشعبي من المرأة في ليلة الدخول .

و المراد من تعلق الرجل بازالة غشاء البكارة في هذه الليلة هو اثبات الدليل على شرف العروس الذي يمثل مسألة حياة او موت في الريف . اذ ((عندما تقتنع المرأة بالخطر الذي تمثله بالنسبة لعائلتها تدرك أن عبء الشرف الثقيل واقع على عاتقها وحدها ... ان عذرية المرأة حق شرعي للزوج ... و العذرية مثل الجنس واقعة تحت تصرف المجتمع .. فقد جعل منها الخطاب الاسلامي نموذجا للجمال الانثوي)) . (1)

و يفترض الزواج الشعبي في ليلة الدخول تفوق الذكر على الانثى التي تجهل عنه كل شيء سوى أن لديه سلطة الوصاية على جسدها التي مارسها عليه في أغلب الاوقات بواسطة القوة ، و ارتبطت عندها بالطاعة دائما . و من ثم يتحقق في نطاق الزفاف ((التكامل النرجسي عند الرجل بينما يثبت من خلال تكامل المرأة الجسدي قيمتها المعنوية)) . (2)

و قد اطلعت رقية من خلال احاديث النساء ، على مجموعة من اساليب العلاقات الجنسية التي قامت على العنف و المتعة و غياب الشعور باحترام الكرامة البشرية ((ان الرجال يقتلون أزواجهن الجديدات في لياليهن الاولى قرصا و عضا ، يركبون عليهن ركوبا مؤلما و لا يتركونهن الا فرائس مخضبات بدمائهن ... ان الازواج لا يمهلون زوجاتهم لاستقبالهن بل يهجمون عليهن هجوما يقضون اثناءه أوطارهم فيؤلمون بعنفهم أكثر مما يقتضي الفعل نفسه)) . (3) فصار الجنس مصدر استلاب و عبودية .

و يظهر البشير باعتباره الشخصية الاساسية بديلا مناقضا ، تأخذ علاقته النموذجية بزوجته رقية ، في ليلة الدخول طابعا رومانسيا انسانيا ، تتميز بالانسجام النفسي و العاطفي ، تتبنى الثقافة شرطا لتحرير الانسان الشعبي من قيد النزعة الحيوانية المباشرة في التعامل مع الجنس

---

(1) — Du jardin, Des méres conre les femmes., Matérnité et patriarcat au Maghreb, (paris: édition la découverte 1986) pages 70, 72, 73 .

(2) — طوالبي ، ص : 48 .

(3) — نهاية الامس ، ص : 86 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((و انتظرت أن يحتضنها بعنف و يرميها فوق السرير و يركبها كما تركب الفرس و لكن شيئا من ذلك لم يقع)) . (1)

و اذا ربطنا بين تجربة رقية مع البشير و تجربتها مع العساكر الذين اغتصبوها ، نجد أن الاسلوبين اللذين وظفهما الكاتب في التعامل الجنسي متعارضان .

فقد اعتبرت رقية البشير رمزا للعلاقة الانسانية التي ظلت لتلك مشدودة بالحلم و التصورات الذاتية ((وفي لحظة غريبة فريدة في تلك الليلة امتزج فيها قليل من الالم بكثير من اللذة دخلت الحياة الزوجية الحقيقية مغتبطة راضية مرضية ...)) . (2) بينما ظهر الاستعمار نقيضا معنويا بالنسبة لها و لا سيما عندما تمكن العسكري من اغتصاب جسدها بالقوة و تحول الى بضاعة سخرها من اجل اشباع غريزته الحيوانية . انها ((اضطربت و صارعت و صرخت و حاولت النجاة من مخالبه بكل ما تعرف من حيل ووسائل .. لكن يبدو أن حيلها لم تكن كثيرة . فلم يلاق العسكري الفظ كبير عناء في السيطرة على الموقف ... و أحست شرفها يداس في لحظة ، اجتمعت فيها عليها كل نكبات الدهر و كوارثه ...)) . (3) و من ثم استطاع الكاتب تصوير تجربتين ، احداهما ارتفعت الى مرتبة الانسان في شعوره و عقله و الاخرى انخفضت الى درجة الحيوان في وحشيته و غرائزه .

---

(1) — نهاية الامس ، ص : 88 .
(2) — م ، ن ، ص : 90 .
(3) — م ، ن ، ص : 97 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصباحية : عرض المؤلف أيضا عادة الصباحية التي تعتمد هي الاخرى على التزام صارم ، يقتضي من الزوجين تقديم القميص الملطخ بالدم لعائلة كل منهما ، بعد اجراء الاتصال الجنسي ، للاطلاع عليه ، وذلك في وقت متأخر من الليل أو عندما يغادر العريس الدار في الصباح باعتباره رمزا معنويا يعبر عن حق العائلة في ممارسة الوصاية على جسم العروس وبذلك ((يكون الافتراع أقل رجحانا من بعده الرمزي المتجسد بالدم النازف من غشاء العذبل الممزق)) . (1)

غير أنه اذا كان الجسد مقوما اساسيا في العلاقة الجنسية بين رقية و البشير ، فانه وضع في نطاقه الروحي الذي ألغى الفحولة وجعل من رقية كائنا بشريا متساميا عن الاغتصاب و المتعة و الهوان ، وجعل دم غشاء البكارة في ليلة الزفاف يأخذ بعده الجمالي و الانساني العميق يتمثل في النزوع نحو اندماج كل واحد منهما مع الآخر ((و نزعت قميص نومها الابيض مسرورة بيقع الدم التي تزينه كالورد ... و أخذته و قامت ففتحت الباب و رمته ، و اغلقت الباب من ورائها ... و عادت الى مكانها من الفراش قرب زوجها الحبيب اللبيب الذي جعل من ليلتها ليلة امتاع و أنس لاتنساها أبدا ... و انطلقت بعد هنيهة زغردة النساء على القميص عالية تشق الليل معلنة فض اللؤلؤة المصونة ، و قد بلغت الساعة منتصف الليل !)) . (2)

و اذا حاولنا معرفة الدور الذي يمثله الدم من خلال ردود أفعال الناس نجد ((أن القماش الملطخ بالدم المعروض في مثل هذه الظروف ، في جو من الضوضاء و الصراخ و الزغاريد و طلقات البارود و ضجة الاباء الجيران او الاصدقاء المدعوين للحفل ، شهادة على اتمام الفعل حسب الطريقة المحددة و ضمن الوضع السليم لأدوار الرجل و المرأة المتبادلة عند ممارسة وظيفتهما الجنسية)) . (3)

و كما تكون ازالة غشاء البكارة مصدر فخر ... يمكن ان تجعل حياة المرأة في خطر ، في ليلة الدخول نفسها ، اذا فقدت العذرية قبل

---

(1) — طوالبي ، ص : 46 .
(2) — نهاية الامس ، ص : 90 .
(3) — Du Jardin , pages : 145 , 146

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوقت المحدد لذلك حسب ما تأمر به العادة . ((ولما جاءت ليلة الدخول وجدها زوجها ثيبا فارجعها الى دار ابيها في ليلتها تلك . وخافت أن يقتلها ابوها ففرت الى مكان مجهول ... وقد حكت المرأة أن أم الفتاة اختل عقلها لوعة وحزنا على ماحل بدارها من عار ...)) . (1)

وتعرض المؤلف كذلك للزواج المبكر في البيئة الريفية بالنسبة للفتاة ، من خلال الآثار السلبية التي تترتب عنه من جراء العلاقة الجنسية في ليلة الدخول مثل ((قصة فتاة في الخامسة عشرة من عمرها ، زوجها أبوها بالرغم من معارضة امها وأخيها لزواجها في هذه السن المبكرة وقد نقلت الى المستشفى في صبيحة ليلة الدخول بها نظرا لاصابتها بنزيف دموي شديد افقدها وعيها)) . (2)

ومن اسباب تشبث الانسان الشعبي بالزواج المبكر بالنسبة للفتاة ، انه يعتبرها صالحة للزواج بعد ظهور الحيض وذلك للتحكم في نشاطها الجنسي الذي لا يمكن تصوره خارج نطاق الجماعة التي تراقبه وتمنعه اطلاقا .

اذن ارتبطت مراسيم الزواج الشعبي بمجموعة من الاحداث والتناقضات الاجتماعية التي دلت على ابعاد الشخصيات ودوافع سلوكها وقيمها الموروثة . وقد تمكن المؤلف في نطاق توظيف هذه العناصر من التراث الشعبي من الوصول في بعض المواقف الى التناقض وحله من منظور فكري جديد ، كالصراع القائم بين المرأة والقيم الابوية رغم الظروف القاسية التي وضعت شخصية نفيسة فيها واحاطت بموقف الهروب المتعارض مع اعراف القرية . بينما ظهر ضعف المؤلف في مواقف اخرى عرضها في رواية نهاية الامس تتعلق بزفاف رقية ، وعدد من المشاهد التي تتحدث عن أنواع العلاقات الجنسية التي كانت بعيدة عن الحدث بسبب تدخله المباشر .

---

(1) — ريح الجنوب ، ص : 188 .
(2) — م ، ن ، ص : 188 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلاقات العائلية :

ارتبطت العلاقات العائلية داخل الرواية ، بالأب الذي يمثل البيئة الشعبية القائد الروحي المشرف على تسيير شؤن الاسرة ، و الحفاظ على تماسك افرادها ، فهو يتمتع بالارادة القوية التي لا تقبل اوامره النقض ، و يعتبر من خرج عنها متمردا على سلطته .

و يعد الاستثمار الفلاحي السبب الاساسي الذي جعل العلاقة العائلية على نمط واحد غير قابل للتغيير قبل عهد طويل من الزمن في الريف . اذ ((كان المال و القوة يستمدان من ملكية الارض في العصور السالفة و كان امتلاك الارض يستلزم الكفاح و القدرة على الادارة و الزعامة .)) . (1)

و لقد أدى هذا التنظيم الاجتماعي للعائلة الشعبية الى تكريس سلطة ابوية غلب عليها التملك في جميع مظاهرها الاجتماعية و الاقتصادية و الاخلاقية .

و في ظل هذا المنظور ظهرت في الروايات تناقضات كثيرة بين افراد العائلة و لاسيما الابناء الذين رفضوا الخضوع للوصاية المفرطة و انحيازهم لمواقفهم النابعة من قناعتهم و تجربتهم في الحياة .

تناول المؤلف العلاقة العائلية التي ربطت بين الاب و الام و الابناء في نطاق النظام الأبوي القائم على مجموعة من العناصر الاساسية منها :

ـ <u>تقسيم العمل</u> : و يحدد بن هدوقة في نطاق التقسيم للعمل ، أدوار الجنسين . و يعرف الرجل في الروايات بأنه الشخصية القادرة على توفير الحاجيات الاقتصادية للعائلة ، و اتخاذ مواقف محددة في مجال الصراع الاجتماعي و السياسي ، بينما ظل عمل المرأة محصورا في مجال المنزل .

قام كل من عابد بن القاضي و الجبايلي و ابن الصخري بممارسة العمل الفلاحي ، و عزز الشيخ علاوة بالنشاط السياسي ((فتح الرسالة الموجهة

---

(1) ـ الكسيس كاريل ، الانسان ذلك المجهول ، ترجمة شفيق أسعد فريد (بيروت مؤسسة المعارف ط 3 1980) ص : 253 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليه فوجدها تتعلق باجتماع حول الميثاق)) . (1) و كذلك بالنشاط الديني ((اليوم انت مفتيا و انت الامام)) . (2) و احتفظت زوجاتهم بشؤون البيت ، و وجدن انفسهن مجردات من كل شيئ ماعدا قوة عملهن .

و اذا كان بعض الاناث في الجامعة مثل نفيسة ودليلة باعتبارهما من عائلات اقطاعية فان هذا الامتياز لا يضمن لهما الحق في ممارسة العمل المأجور خارج البيت لانهما تعتبران أداتين جنسيتين في متناول السلطة الابوية لتدعيم مصالحها الخاصة . ان ((الدور المفترض للمرأة في تأمين التماسك و البقاء لمجموعات عشائر الذكور انما يعتبر بمثابة الجوهر في المفاهيم الاسلامية و القبلية التي مازالت تتمتع بفاعلية كبيرة في العالم العربي)) . (3)

غير أن هذا الموقف السلبي من المرأة الذي يتمثل في القيام بعمل منزلي كلاسيكي غير مأجور في اطار العائلة الممتدة التقليدية لم يكن اختياريا لدى الرجل ، بقدر ما كان مدفوعا اليه بسبب الوضع الاقتصادي و الاجتماعي الذي تحكم الى حد كبير في تقسيم العمل بين الجنسين .

- استعمال الثروة : و يعد الانتاج الفلاحي اساس الثروة الاقتصادية في الريف . و هو يعتمد على بذل طاقات بدنية شاقة من أجل توفير الحاجيات الضرورية للعائلة ، و لذلك يرتبط في جميع مراحله بالرجل .

غير ان الانتاج الفلاحي لا يقتصر على سد الحاجيات الضرورية للمعيشة فقط بقدر ما يرتبط أساسا بالقيم الاجتماعية التي يؤمن بها أفراد العائلة كالكرم ، و احياء الشعائر الدينية و المناسبات العامة التي يشترك هؤلاء فيها بالنفقات . (4)

ان نسبة كبيرة من الثروة تصرف على التغذية التي تتوقف على عمل الذكور الكبار سواء أكان الاب أم الابناء بينما تقتصر النساء على الاستهلاك

---

(1) — بان الصبح ، ص : 35 (2) — م ، ن ص : 208 .
(3) — امال رسام ، المرأة العربية ، الدراسات الاجتماعية عن المرأة في العالم العربي (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 ، سنة 1984) ص : 11 ، 12 .
(4) — عاطف غيث ، ص : 220 — 222 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((فانتاج الثروات و الخدمات التي تتحول الى نقود يتم في مجال اقتصادي ضيق . خاص بالرجال ، أما المجال المنزلي فانه نسوي و مجرد من الطاقة الخالقة للثروات ، أي من السلع او الخدمات المتحولة الى نقود)) . (1)

و قد قام كل من ابن القاضي و الشيخ علاوة بدور اساسي في التأثير في افراد عائلتهما ، عند معالجة القضايا المتنوعة ، لكونها مصدر رزق. فقد اعتبر ابن القاضي لقمة العيش وسيلة هامة ، للدفاع عن موقفه من زواج نفيسة برئيس البلدية ، و الانتصار على كل من حاول من أعضاء اسرته ، أن يعارض ، او يتدخل برأي يخالف تصوره لهذا المشروع ، كالام خيرة التي ((لم تكن في الواقع مطمئنة كل الاطمئنان لهذا الزواج المتسرع الذي بث فيه الاب بمفرده)) . (2) و لذلك حسم ابن القاضي الامر عندما اعتبر زوجته عاجزة عن انتاج الغذاء لمواجهة الظروف الصعبة في الحياة . ((هل هي التي تتولى بعد ذلك في تلك الظروف العسيرة ضمان الطعام ... لكل افراد العائلة)).3 و كذلك الشأن بالنسبة للكساء الذي تعلق ((بالجهاز ومختلف الملابس)). (4) فانه اعتبر نفسه مسؤولا على شرائه و استعماله ((هل كان يوما عرضي ملوكا بين الالسنة او ذكري مكسوفا ؟ ام أنا لا اعرف مايجب شراؤه الا اذا دبرت انت و نصحت؟)) 5 أو((لابأس اساليها ماذا تريد من ملابس و غيرها و انا اشتري لها ما تريد)). (6)

كانت الثروة المادية الوسيلة التي عزم الشيخ علاوة أيضا على ان يجعل بها حدا لكل من خرج عن المألوف من أبنائه فـ ((من عصاني اخرجته من بيتي)) . (7)

ان تركيز المؤلف على الثروة من خلال هذه النماذج من الشخصيات الشعبية أدى الى ابراز مواقفها في الدفاع عن مصالحها سواء أكان ذلك في المحيط العائلي أم الاجتماعي .

---

(1) — فاطمة المرنيسي ، نساء الغرب ، دراسة ميدانية ، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل (الرباط : الشركة المغربية للناشرين المتحدين ط 1 ، سنة 1985) ص : 22 ، 23 .
(2) — ربح الجنوب ، ص : 205 .
(3) — م ، ن ، ص: 206 .
(4، 5، 6) — م ، ن ، ص : 219 .
(7) — بان الصبح ، ص : 46 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حل النزاع : يقوم الاب بدور هام في التدخل لحل النزاع الدائم بين أفراد العائلة لأسباب مادية أو معنوية . و يمارس الاب هذا التدخل مع زوجته أو أبنائه أو الاعضاء الذين يعيشون معه كالحماة .

و تغلب اساليب الامر و الاستفهام على تدخل كل من الشيخ علاوة و عابد بن القاضي لحل النزاع بين أعضاء عائلتهما .

و تعد حرية التعبير من اهم العوامل التي ادت بالشيخ علاوة الى النزاع مع ابنائه ((ان الشيخ علاوة لم يتعود النقاش بهذه الطريقة التي تعطي لكل واحد مهما كان الحق في التعبير عن رايه الى النهاية فهو مع اولاده اذا لم يعجبه رأي صاح في صاحبه (أسكت عليّ . أتريد ، تعلمني ؟ فيسكت الابن و هو يعتبر ذلك السكوت انتصارا له)) . (1)

ان الاطفال الصغار في العائلة الشعبية أكثر حرية في التعبير عن رغباتهم و دوافعهم بينما تفرض عليهم قيودا في سن الرشد .

و يبدو الشرف من اكثر القيم التي كانت سببا في نزاع حاد بين الشيخ علاوة و عائلة نعيمة . لقد اتهمت نعيمة بالخروج عن اصول الخلق السليم بينما اعتبر ذلك والدها المجاهد مساسا بسمعته و كرامته .

((بنتك هي التي لاقيمة لها ! اذا أردت أن تعرف ماذا فعلت انتظر بضعة شهور.. انك اصبحت جدا في الحرام)) . (2)

و يتدخل الشيخ علاوة باستمرار في النزاع الذي يقوم بين أفراد عائلته من النساء ((اشتد اللجاج و الشتائم فخرج الشيخ علاوة و أمسك بيد زوجته يجرها الى غرفته و هو يقول اغلقي فمك ، ادخلي الغرفة ، و أنت ايتها اللئيمة (زبيدة) أغربي من امامي و عودي الى حجرتك)) . (3)

كذلك تميز تدخل ابن القاضي بالعنف عندما واجهه هروب نفيسة من البيت ، بسبب اعتراضها عن الزواج مع مالك رئيس البلدية ((لقد كانت الصدمة عنيفة تحولت بعد دقائق الى غضب عام ضد الزوج المسكينة

---

(1) — بان الصبح ، ص : 33 ، 34 . (2) — م ، ن ، ص : 290 .
(3) — م ، ن ، ص : 268 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي نالت من اللكم ما أشرف بها على ملازمة الفراش .)) . (1)

تقرير المصير :

يمارس الاب في البيئة الشعبية نفوذا قويا على ابنائه في تقرير مصيرهم . اذ يجعل من شخصيته محورا يدورون حوله ، يرضون بآرائه و افكاره ، و يقتنعون بنصائحه و ارشاداته . و فيما عدا طاعتهم له يقضي الابناء عمرهم في صمت لا يتوقعون مصيرا أفضل من الذي عرفه والدهم . و ذلك عندما يستولي على حقهم في تدبير امر الزواج او الطلاق أو الاستقلال بالذات ، فالأب ((لا ينجبنا من اجل ذاتنا ، بل من اجل نفسه (وليس نحن) الذين نأتي الى العالم بل هو الذي يرى حياته مطبوعة بطابع التبرير و القيمة ، و هكذا فان ولادتنا ليست ابداعا حرا بل محاولة لتمديد حياة الأب ، انه ينجبنا لنكون سندا لحياته ، و بالتالي فهو يحرمنا من حياتنا نحن . فنحن لا نعيش بل نتيح له أن يعيش هو من خلالنا و هذا ما يجعل حياتنا مزيفة منذ البدء)) . (2)

ظل وجود الفرد في البيئة الشعبية قائما على استمرار نمط من السلوك الموروث ، أكثر من التأكيد على ارادته المتميزة ، و من ثم سعى من اجل تقوية سلطة العائلة وليس تحررها ، و لعل ((من أهم نتائج هذا الاعتماد ان الطفل ينمو و شعوره بأن مسؤوليته الاساسية هي تجاه العائلة لاتجاه المجتمع)) . (3)

لقد نظر ابن القاضي الى افراد عائلته و منهم نفيسة من خلال مشاكله و مصالحه الاجتماعية و الاقتصادية . و لذلك تعتبر نفيسة مصيرها نتيجة منطقية لارادة والدها في تقريره ((أبي هو مالك مستقبلي ، ابي الذي اعطاني الحياة أي مالك حياتي أولا و أخيرا ... حتى الدموع لا تصلح أن تسيل على حياة ليست لي)) . (4)

---

(1) — ريح الجنوب ، ص : 256 .
(2) — هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، (بيروت : الاهلية للنشر و التوزيع ، 1985) ص : 31 .
(3) — م ، ن ، ص : 32 . (4) — ريح الجنوب ،ص: 216، 217 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و أدى تهديد كل من انفيسة و رقية و دليلة بالمصير المجهول الى التعبير عن انفسهن ، بواسطة مواقف فردية في التمرد و التوتر ، بلغت درجة دفعت بهذه الشخصيات الاساسية الى الفشل في النهاية ، و ذلك لأنه ((على قدر ما يكون واجب الاذعان للسلطة الابوية قدسي الاثر في التراث الاجتماعي ، يكون التمرد على هذا الواجب عميق الفور في النفس و عنيفا . ان كسر القيد الابوي ... ليس امرا عرضيا و هينا ، فهو يعني حدوث صدام داخلي ... بين الانا الفردية و القيم السلطوية)) ، (1) غير ان هذا الاخفاق في التعبير عن الذات لا يعني في الرواية انتصار نفوذ الاب في الاسرة ، بقدر ما يدل على الغلو في التعلق بالحديث و النفور الشديد من القديم ، اللذين قادا الى فقدان التوازن في حركة التغيير .

و هكذا ان ما يميز العائلة الشعبية في جميع روايات عبد الحميد بن هدوقة انما هو تقليصها الى عدد ضئيل من الافراد رغم ارتباطها بالنظام الاجتماعي الاقطاعي .

و قد استطاع المؤلف أن يتوغل في الكشف عن ارتباط العلاقات العائلية الشعبية بالعوامل الخارجية كالارض و ما يترتب عنها من الحرص على القيم ، و السلطة الاجتماعية . و هي العوامل التي أدت الى تطوير العلاقات العائلية و توسيع تأثيراتها على الشخصيات باختلاف انواعها و مواقفها في الروايات . و مع ذلك فان الصور أو المشاهد التي ترسم تناقضات هذه العلاقات العائلية و ابعادها داخل الاسرة الشعبية قليلة .

---

(1) — غسان خالد ، جبران الفيلسوف ، (بيروت : مؤسسة نوفل ، ط 2 ، 1983) ص : 57 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلاقات العائلية التقليدية و تطورها في اطار السلطة الابوية في الروايات .

	الرجال		النساء	
	القاعدة	الاستثناء	القاعدة	الاستثناء
تقسيم العمل	ممارسة النشاط الاقتصادي السياسي الديني - المجيء الى البيت من أجل الاكل و النوم فقط		ممارسة النشاط المنزلي انجاب الاطفال - البقاء في البيت.ممارسة العمل الفني التقليدي	رفض نفيسة اداء العمل المنزلي .
استعمال الثروة	توفير الحاجيات الضرورية للمعيشة تحمل مسؤولية النفقات الخاصة و العامة	في وضع الاستهلاك	في وضع الاستهلاك	
حل النزاع	التدخل المباشر في الخلافات ، الميل الى استعمال العنف في بعض الاوقات، احتكار الرأي و حق التعبير .		في وضع الخضوع للاوامر و الحل المقترح - ضحيات للضرب و الطرد	
تقرير المصير	اعادة الابن انتاج حياة الاب		اعادة البنت انتاج حياة الام الزواج هدف البنت الوحيد في الحياة .	رفض نفيسة الزواج مع مالك والخروج عن طاعة والدها . ممارسة دليلة للجنس و شرب الخمر و الادمان على التدخين، خروج دليلة من بيت والدها الى الابد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مراسيم الوفاة :

وردت مراسيم الوفاة في الرواية ، و حاول المؤلف من خلالها أن يعرفنا بارتباط أفراد الجماعة و تكافلهم ، و أن يندد كذلك ببعض الظواهر السلبية التي شاعت في البيئة الشعبية .

جاء خبر وفاة العجوز رحمة في الليل ((و خبر الليل ينذر أكثر مما يبشر)) . (1) و تم اعلانه في مكان شعبي ((و كان مالك في ذلك الوقت المبكر ماشيا في الطريق المؤدي الى مقهى (عمي الحاج) ليخبر سكان القرية بموت العجوز رحمة)) . (2)

و قدم المؤلف العجوز رحمة في حالة الاحتضار ((كانت عيناها مغلقتين ، و كان الجزء الاعلى من جسمها تعروه اهتزازات حينا بعد حين بينما الجزء الاسفل كان ميتا)) . (3) و قد تمسكت هذه الشخصية الشعبية المشرفة على الموت بتعاليم الدين الاسلامي التي تؤكد على مقابلة الميت للجهة الموالية للبيت الحرام ((أن نحولها الى الجهة المقابلة)) . (4) و كذلك التلفظ بالشهادة ((لم انس الشهادة لا اله الا الله محمد . . .))(5)

و انطلقت مراسيم الوفاة بتحضير القبر ((قل لرابح و الطلعاوي أن يقوما بتحضير القبر)) . (6) و كذلك شراء الكفن ((أما السعيد ابن العربي فليتوجه الى القرية المركزية لشراء الكفن)) . (7) و تحديد وقت الدفن ، ((أخبر الناس أن الدفن يكون بعد صلاة الظهر)) . (8)

كان لموت العجوز رحمة أثر بالغ في نفوس الناس ،و((من بين هؤلاء رابح راعي الغنم السابق الذي صار (حطابا) و الذي كان اصغرهم سنا و أشدهم معرفة بالفقيدة مما جعله في ذلك اليوم أحزن الناس ، فلم تنطلق نغمة من نايه ، و لا ضحكة من حلقه)) . (9) و اقبال سكان القرية

---

(1) — ريح الجنوب ، ص : 145 . (2) — م ، ن ، ص : 161 .
(3 ، 4) — م ، ن ، ص : 155 . (5) — م ، ن ، ص : 156 .
(6 ، 7) — م ، ن ، ص : 166 . (8) — م ، ن ، ص : 166، 167 .
(9) — م ، ن ، ص : 171 ، 172 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكشيف على منزلها يدل على مكانتها الهامة بينهم ، و الارتباط الشديد بخصالها و قيمها التي اقامت عليها حياتها . ((لم تمر الساعات الاولى من صباح ذلك اليوم حتى امتلأت الدار و فناؤها بالنساء و العجائز و الاطفال)). (1)

و اذا قامت حياة العجوز رحمة في الماضي على السكون الذي عكس انشغالها بعملها الفني الزاخر بالعطاء ، فان تعاطف الناس معها خاضع للظروف فقط ، و لاسيما يوم موتها الذي تحول الى حركة و ضجة ((وهي أول مرة عرفت فيها دار العجوز هذا العدد العديد من الرواد فاذا ما ألفته من سكون طوال الشهور و السنين صار ضجة عارمة و حياة صاخبة و اذا موت صاحبتها يضفي عليها جوا من الحياة لم تعرفه يوم الزفاف .)) . (2)

كما ارتبطت النساء في التعبير عن حزنهن و تأسفهن على موت العجوز رحمة بالتجرد من كل انواع أدوات الزينة و التقليد بالملابس العادية القديمة احيانا ، و أعينهن صافية من كل كحل ، و شفاههن في لونها الطبيعي ، و اذرعهن و ارجلهن لا تحمل أساور و لا خلاخل و لا تحدث بحركات أي ضجة حديدية .)) . (3)

و تميز موت فريدة بالنكران و التجاهل في القرية اذ أن ((نساء القرية و عجائزها لم تأت واحدة منهن في تلك الليلة . بيد أنهن لا يتخلفن عادة في مثل هذه الملمات .)) . (4)

و قد كانت الفقيدة فريدة الامتداد الطبيعي لمرحلة سابقة قام فيها والدها البشير بدور نضالي بارز في حرب التحرير . غير ان ابن الصخري وجه الى عائلتها تهمة الخيانة . فنزعت الجماعة تحت تأثير الخوف و الجهل ثقتها منها ، و دعت أفرادها الى عدم التعامل او التعاطف معها في السراء و الضراء .

و تلجأ بعض النساء في هذه الظروف الى الاسراف في التظاهر بالحزن كتلطيم الخدود و الصدور ، و الاندفاع في الاستجابات العاطفية كالعويل

(1، 2) — م ، ن ، ص : 172 .
(3) — م ، ن ، ص : 173 .
(4) — نهاية الامس ، ص : 179 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و البكاء الصارخ ((انطلق صوت النساء الثلاث في عويل موحش رهيب)).(1) كما يفقد تأثر الاخريات من جراء المبالغة العفوية و الصدق و يطغى عليه التكلف و التعقيد .

و يتناول النساء الحديث عن العجوز رحمة فيذكرن فضائلها و اعمالها ، و يتخذن هذه المناسبة كذلك لتبادل الآراء حول اعباء الحياة ، ((هن يتحدثن عن حياتهن ، و حياة العجوز و يذكرنها بكل ماتعرف ألسنتهن من عبارات الثناء و الامتنان .)) . (2)

يكشف المؤلف من خلال أحاديث النساء ((التي كانت في جملتها تدور حول موضوع الزواج)) . (3) و ضع المرأة التي تظافر على تدهوره الاقطاع و قساوة الطبيعة .

و هكذا كان موكب الجنازة من اهم مراسيم الوفاة الذي عبر في الرواية عن مكانة العجوز رحمة عند الجماعة . ((ان القرية كلها سائرة وراء جنازتها .)) . (4)

و لعل السبب في كثير المشيعين ، يعود الى العلاقة الوثيقة القائمة بين الفقيدة و مالك شيخ البلدية ، و قد تكونت هذه الصلة بينهما في ظروف حرب التحرير ، و ازدادت عمقا في عهد الاستغلال .

و كانت قصيدة (البردة) المشهورة للبصيري التي قيلت في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم هي التي شارك بها قراء القرآن في تشييع الجنازة ((و كان بعض حفظة القرآن من سكان القرية اخذوا ينشدون قصيدة البردة للبصيري في لحن اندلسي محرف حزين .)) . (5)

أمن تذكر جيران بذي سلم — مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة — و أومض البرق في الظلماء من اضم
فما لعينيك ان قلت أكففا همتا — و ما لقلبك ان قلت استفق يهم . (6)

---

(1) — م ، ن ، ص 178 .
(2) — ريح الجنوب ، ص : 172 .
(3) — م ، ن ، ص 188.
(4) — م ، ن ، ص : 175 .
(5) — م ، ن ، ص : 175.
(6) — م ، ن ، ص : 175 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظهرت قصيدة البردة التي انتجها البصيري في عصر المماليك الذي تميز بضعف في جميع جوانب حياة الامة العربية الاسلامية ، و استمر هذا الوضع في مرحلة الخلافة العثمانية و ازداد تدهورا مع الاستعمار .وكان الناس في هذه الفترات يستمدون العزاء و التعليل لهزائمهم في الحياة من الدين . فانتشرت عناصر التضليل كالبدع و الخرافات .

و لعل شيوع قصيدة البصيري عند شيوخ القرآن في الريف و عنايتهم بها ، يعود اساسا الى تكريسها لمعاني الروح .

انتقد بن هدوقة شيوخ القرآن في اساليب ادائهم لقصيدة البصيري ، اذ ((كانوا يزيدون ألفا ممدودة قبل (الغريقين) فيقولون : (آو الغريقين) بدل نون (الثقلين) التي ينطقون بها في الشطر الاول من البيت))(1)

وهكذا وصلت مهمة الدفن الى غايتها عندما تخلف امام القرية عند القبر ((تم الدفن و تفرق الناس و لم يبق عند القبر الا امام القرية الذي كان جالسا القرفصاء يتمتم بكلمات لا يعرفها الا هو)) . (2)

و تعتقد الجماعة في الريف ان الفقيدة بحاجة الى نصائح الامام و ارشاداته للرد على أسئلة ملك الموت . ((تخلف الشيخ ليوصي الهالكة كيف تجيب عن سؤال الملكين : منكر و نكـــــيـــر)) . (3)

تكتسي كذلك قراءة القرآن على الميت أهمية قصوى ، يقوم بها عادة شيوخ القرية . و قد حظيت دار العجوز رحمة بقراءة القرآن ((كانت السهرة ممتعة و كان الجو رائقا ، لم يشعر اي قارئ من القراء بارهاق و لا تعب من قراءة القرآن بصوت عال)) . (4) و كذلك الشأن في دار العجوز ربيحة حيث ((و صل ابن الصخري و معه ثلاثة قراء القرآن)) . (5)

---

(1) — ريح الجنوب ، ص : 176 .
(2) — م ، ن ، ص : 176 .
(3) — م ، ن ، ص: 177 .
(4) — م ، ن ، ص : 177.
(5) — نهاية الامس ، ص : 178 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و تعرض المؤلف في سخرية بالغة ، الى ولوع شيوخ القرآن بالخوض في قضايا ليست لها اهمية تدور ((حول الموت وما وراء الموت)) (1) و قد قامت ثقافة هؤلاء الشيوخ في الرواية على التلقين و التقليد اللذين كانا في عصر الضعف و الركود سببا في نفور الناس من العلم ((قرأ في صغره متن الاجرومية في النحو و ألفية ابن مالك على احد الشيوخ في زاوية ابن الحملاوي)) . (2) كما تميزت معرفتهم بالعجز عن التحليل و التفسير ((الاشتراكية ، مصدر اشترك يشترك اشتراكية .)) . (3)

من الواضح ان غرض المؤلف من توظيف ابيات من قصيدة البردة للبصيري و نماذج من معارف شيوخ القرية متمثل في التنديد بالرواسب التي تحدد السلوك الاجتماعي في الريف . الا ان تكرار بعض ابيات من الشعر و الافراط في ابراز الاخطاء في أساليب أدائها ، و الوقوف الطويل عند نقاش جماعة من رجال الدين ، أمور طغت على حدث الوفاة في الرواية .

استأثر موضوع الفدوة باهتمام ابن القاضي لأهمية دورها في تعزيز الروابط بين الناس و استمرارها . و اخذت الفدوة طابع الصدام بين مالك رئيس البلدية و ابن القاضي الذي اغتنم موت العجوز رحمة للتظاهر بالفضيلة كالتضحية بقسم من ممتلكاته في سبيل الفقيدة ، ((نحن لسنا غيرا بالنسبة اليك و الى الفقيدة . فلا المنطق و لا العادة و لا احد من الناس حتى الفقيدة لو كانت حية ، يقبل أن يكلفك بالقيام بمهمة هي من متعلقاتنا.. الغنم في المراح و الدقيق و السمن بالبيت)) . (4)

و حاول ابن القاضي في هذه المناسبة استرجاع رابح الذي اعتبر ماضيه مسؤولا عن جزء كبير من شقائه و بؤسه في خدمة الغير وقرر أن يتخلى عن رعي الغنم الى الابد .

و بناء على ما سبق يمكن القول أن العادات و التقاليد تتركز في الروايات على العائلة التي تعتمد على الذكور خاصة و تعيش اساسا من

---

(1) — ريح الجنوب ، ص : 178 . (2) — م ، ن ، ص: 184 .
(3) — م ، ن ، ص : 185 . (4) — م ، ن ، ص : 169 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأرض ، و من ثم يظهر الارتباط أيضا بالعادات و التقاليد كوسيلة هامة من أجل الحفاظ على السلطة الابوية التي نلمس آثارها السلبية على مستوى العلاقات العائلية التي يتعرض افرادها دائما الى الاصطدام وفي بعض الاحيان الى الانحراف و لاسيما عندما تهدد المعايير الابوية بالإنتهاك . و لذلك تعبر العادات و التقاليد عن مبدأ الصراع الاجتماعي بين القديم و الجديد ، و هو يقوم أساسا على استمرار الفئة التقليدية في المحافظة على الماضي و تطلع الفئة الحديثة الى التغيير في البيئة . و يتحدد هذا التغيير بعوامل اجتماعية و اقتصادية التي لعبت دورا في توجيهه .

==========

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

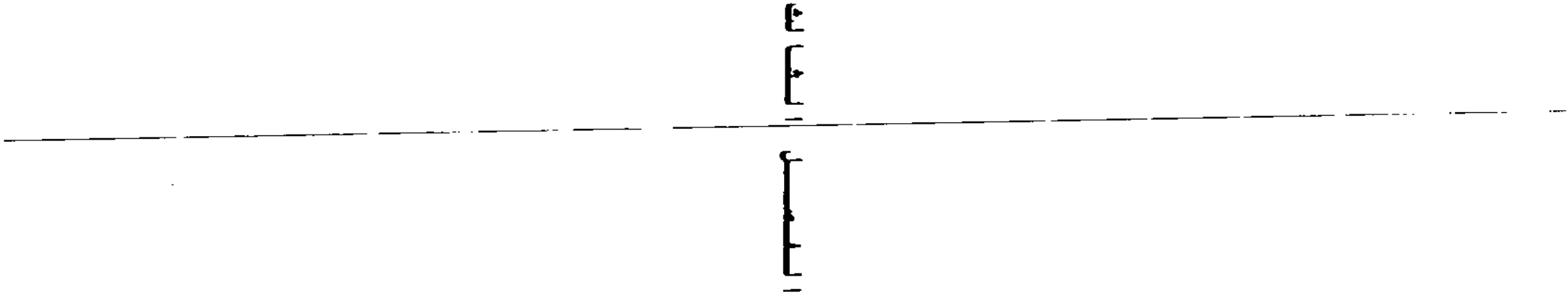

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— توظيف المعتقدات الشعبية في الروايات —

يعتبر الكون من حيث طبيعته ، و ماهيته ، و أسلوب عمله ، و مصدر قوته ، من بين التساؤلات التي طرحها الانسان منذ القديم . هذه القوة الخارقة التي جعلت منه كائنا ثنائيا من حيث الضعف و القوة و التحرر و التقيد ، و جعلت الاشياء من حوله تسير لخيره أو لشره ، فاضطر بحكم الضرورة الى اتخاذ مواقف معينة من أجل اشباع حاجاته المادية و الروحية . و على هذا الاساس بنى علاقاته مع البيئة ، فحاول أن يحدد ارتباطاته مع الجماعة التي يتعامل معها و يتعرف على حقوقه و واجباته . كما انتقل اهتمامه الى ذاته البشرية التي انعكست اثارها على سلوكه ، و كذلك كانت اجاباته متعددة حول مصيره المجهول على رغم التفسيرات التي جاءت بها الأديان السماوية . ان كل هذه التصورات سائدة في كل من المعرفة الدينية و الوضعية و كذلك في الاعتقادات الشعبية . (1)

ترتبط هذه الاعتقادات من حيث نوعيتها ، و أساليب ممارستها بطرق التفكير و المعيشة التي يتميز بها الانسان ، للتكيف مع ظروف حياته الجديدة . و أسهمت ظروف تطور الشعوب العربية الاسلامية في تعلقها بالاعتقادات الشعبية و التعبير عن مستواها العقلي الساذج .

و قد تداخلت هذه الاعتقادات بالدين لأنهما يهدفان الى السيطرة على الطبيعة عن طريق معرفة مرتبطة بحاجات الانسان ذات الطابع الروحي . و ازدادت قوة هذه العلاقة المتبادلة بينهما على امتداد الزمن بتأويل بعض النصوص المقدسة حيث خدم هذه الاعتقادات بمعزل عن توظيف العقل . كما ان اعتماد القوة في اسلوب تنظيم السلطة السياسية في معظم

---

(1) — غيث ، ص : 271 ، 272 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاقطار العربية الاسلامية ، أدى الى الانفصال بين القيادة و القوى الاجتماعية و استحواذه على رجال الفكر دون استفادة القطاعات الشعبية منها فاقتصر تعليمها على الدروس و الحلقات في المواد الشرعية التي تقدمها الحركة الدينية الرائجة في بعض المدن و القرى ، الامر الذي دفع بها بعد ان ساءت اوضاعها الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية الى الاحتماء بما وراء الطبيعة . (1)

تختلف المعتقدات الشعبية ببعض الخصائص عن العناصر الاخرى كالعادات و التقاليد ، و الفن الشعبي و الادب الشعبي . فالعادة تمارس بالضرورة ضمن جماعة بشرية . كما ان ادوات الفن الشعبي تستمد قوتها من ناحيتها العملية في حياة الناس . اما المعتقدات فانها معقدة من حيث الدراسة باعتبارها جزءا من الكيان البشري ، تعبر عن تلك الاحاسيس و التصورات ازاء الظواهر الطبيعية العادية و الشاذة . فهي لا تعتمد على التلقين بقدر ما تتشكل في اعماق الذات البشرية ، يؤدي فيها الخيال دورا هاما تكتسب من خلاله طابعا خاصا ، ثم انها ترتبط بالمواقف الانسانية العامة . (2)

و اذا كانت المعتقدات الشعبية متصلة بأعماق الطبيعة البشرية فانها موجودة في الريف و المدينة ، عند الامي و المتعلم ، ذلك ان التفكير البسيط المجرد من اصول المعرفة العلمية لا يقتصر على الفئات الشعبية وحدها بقدر ما يتوفر بدرجات متفاوتة في كافة مستويات السلم الاجتماعي لافراد المجتمع الواحد . (3)

و تعتمد روايات بن هدوقة في نطاق المعتقدات الشعبية ، على عناصر اساسية ، تتمثل في الشعوذة و الطرقية و الاولياء و الطب الشعبي ، وظفها تعبيرا عن قضايا فكرية طرحها بدلالات جديدة .

---

(1) — ابراهيم بدران - سلوى الخماش ، دراسات في العقلية العربية 1 - الخرافة ، (بيروت : دار الحقيقة ، ط 2 ، 1979) ص : 15 ، 16 ، 17 ، 18 .

(2) — الجوهري ، ص : 62 ، 63 .

(3) — م ، ن ، ص : 62 ، 63 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السحر و الشعوذة — معناهما الاصطلاحي :

السحر و الشعوذة موضوعان يفرق فرويد بينهما ، فيعرف الاول ، MAGIE ، بأنه القدرة على ((اخضاع الحوادث الطبيعية للارادة البشرية ، و حماية الفرد من الاعداء و الاخطار و منحه القوة لالحاق الضرر باعدائه)) . (1) أما الشعوذة ، SORCELERIE ، فانها ((فن التأثير على الأرواح من خلال معاملتها كالبشر في نفس الظروف ، أي عن طريق تهدئتها ، استرضائها ، استمالتها ، تخويفها ، سلبها قوتها ، اخضاعها لارادة المرء ، أي بنفس الوسائل التي وجدها المرء فعالة مع البشر الاحياء .(2) *

و يميز ابن خلدون بين السحر و الطلاسم و الشعوذة ، فيرى أن ((النفوس الساحرة على مراتب ثلاث ... فأولها المؤثرة بالمهمة فقط من غير آلة و لا معين و هذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر . و الثاني بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد و يسمونه الطلسمات .... و الثالث تأثير في القوى المتخيلة ... و يسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة))(3)

توجد ضروب من السحر تمارس تأثيرا على الظواهر باستعمال وسائل و طاقات ، سواء أكانت أقوالا أم أفعالا ، ذات معاني و رموز خفية .

و يرى ادوارد وليام لين أن هناك نوعين من السحر ، يختلفان من حيث طبيعتهما و وظيفتهما في المجتمع الاسلامي ((واحد روحاني و هو مبجل من قبل الجميع ... و الآخر طبيعي و هو متهم و مفضوح من أكثر المتدينين الورعين و المثقفين على انه غش و خداع ... يعتبر السحر الرحماني علما سنيا ... و يستعمل لأغراض الخير و حسب ... أما السحر الشيطاني فهو

---

(1) — ياسين بوعلي " الدين و العصبية في حكايات شهرزاد - المعتقد الشعبي" دراسات عربية (بيروت، دار الطليعة ، ربيع السنة العشرون 1984) ص : 99.

(2) — م ، ن ، ص : 99 .

(3) — ابن خلدون ، ص : 497 ، 498 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كاسمه يدل على علم يعتمد على وسيلة الشر)) . (1)

غير انه اذا كان السحر شرا و كفرا و ممارسته محظورة في البيئة الاسلامية ، فان ذلك لم يمنع الانسان الشعبي من استعماله فترة طويلة في أوساط الريف و المدينة معا حيث انتشرت الحاجة و الجهل ، لاشباع متطلبات ذات طابع مادي كالعلاج و الوقاية من الاخطار ، و روحي كاستمرار قيم معينة ، و لا سيما طيلة عهد الاستعمار الذي انهار فيه الوضع الاجتماعي و الاقتصادي و الفكري . ان ((ميادين السحر واسعة تشمل في نظر العامة امكانيات لحل جميع المشاكل الصحية و الاجتماعية و هذا سر جاذبيته و دوامه)) . (2) و من ثم ظهر تناقض واضح بين الاسلام الرسمي الذي يعتمد على القواعد و الأصول الاساسية و المعارف العقلية و الروحية الضرورية لتأويل علاقة الانسان بالطبيعة ، وبين التدين الشعبي ذي ((الخصائص التوفيقية و الوظائف الاسترضائية علاقته ضعيفة بالتأويل النصي المكتوب)) . (3) فكان هذا الفارق مبررا اساسيا لبروز فئة متميزة منحت لها الجماعة الشعبية بعض مظاهر الاخلاص التي خولتها ممارسة هذا المعتقد الشعبي في الواقع .

---

(1) — بوعلي ، ص : 103.
(2) — بلحاج ، ص : 93 .
(3) — الكنز ، ص : 62 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعـــوذة :

قـدم المـؤلـف اغـلـب عناصر الشعـوذة في روايـتـه ، باعتبارها انـواعـا من الممارسـات الشعبيـة ، أدى " الطالب " فيهـا دورا أساسيا فـــي ارضـاء حاجات الـوعي الجماعي في نطاق ظـروفـه الخـاصـــة .

و يعتبـر الجـن من اهـم موضـوعات الشعوذة و ((الجـن خـلاف الانـس ، الواحـد جني و سميت بذلـك لأنـهـا تتقى و لا تـرى)) (1) فقـد تعامـل معهـا الشيـخ حمـودة ضمـن تصور عـلاقتهـا القائمـة بـالانسـان . اذ ((في البادية يعتقـد النـاس أن الجـن تساكنهـم و تـلازمهـم حركاتهـم و سكناتهـم)) . (2)

لقـد اختلفت الآراء حـول الجـن من حيث ماهيتهـا و انـواعهـا و وجـودهـا في المكـان و الزمـان ، و ذلـك حسب معتقـدات الشعـوب المختلفـة على امتـداد العصـور .

و يـرى المعتقـد الشعبي عمومـا أن الجـن أسبـق من الانسان الى الوجـود ، و أنهمـا يختلفـان من حيث الطبيعـة ، اذ تحتـل مرتبـة وسطـى بينـه و بيـن المـلائكـة ، و أنهـا تستمـد أصلهـا من النار ، ومـع ذلـك فهمـــــا يشتركان معا في الاكـل و الشرب و المـوت . كما انهـا تتغيـر بأساليب متعددة حسب الظروف الطارئـة عليهـا ، و تعيش في بطـون الارض و تنتشـر في الامـاكـن الخاليـة و المتسخـة . غيـر ان تصور الانسان الشعبي للجـن بعيـد عـن الحقيقـة ، فهي تكشف عـن صفات واحـدة من حيث انهـا كائنـات ذات طابـع غيبي ، و يتوقف تأثيرهـا على الانسان على طـرق تعاملـه معهـا و قـدرتـه على توفيـر مطالبها . (3)

و قـد اورد بن هـدوقـة الشيـخ حمـودة على أن عمله قادر على الكشف عن اسباب اصابـة الانسان بقوى الجن الخارقـة للطبيعـة و السيطرة عليهـا في آن واحـد . فهـو يستمـد احترام و تكـريـم الجماعـة و سلطتـه عليهـا من مصدر روحي قائم على العلاقـة بين الانسـان و اللـه . و لذلـك فان ((هذا الايمـان بوجـود الجـن

---

(1) — بلحـــــاج ، ص : 71 .
(2) — ريح الجنـوب ، ص : 214 .
(3) — الجوهـري ، ص : 197 ، 198 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و بخطرها على الانسان ، لا يقل عن الايمان بامكانية التغلب عليها بفضل السحرة الشيوخ من حفظة القرآن و الشيخ حمودة من المشهورين بقهر الجن مهما كان الجنس الذي تنتمي اليه)) . (1)

لقد احتل الشيخ حمودة موقفا بارزا عند عائلة ابن القاضي التي وجدت في نشاطه أفضل ممارسة تتمكن بها من التصرف في حالة نفيسة و التوصل الى حل ناجع لها . ((انت صاحب الكلمة في هذا المقام ، كل ما تراه و تشير به ننفذه)) . (2)

عزا الشيخ حمودة السبب الاساسي في اصابة نفيسة بالجن الى الماء . فقد ((أصابها عندما تخطت مكانا به ماء)) (3) و بقدرما التمس الانسان الشعبي مقومات حياته من المياه ، فانه اعتبرها و لاسيما اذا كانت قذرة مصدر شر فالناس في الريف ((يحسبونها أنها اكثر ما تكون بالاماكن القذرة و المستنقعات). (4) كما ان اصابتهم بالجن تتوقف على العلاقة القائمة بين الماء و الظلام ، و من ثم ((أغلب ظنهم انها تصيب الانسان و هو يغتسل عند غروب الشمس أو بالليل)). (5) كما ان ذلك معروفا في المعتقد العربي قبل الاسلام .

و اذا تناولنا العلاقة القائمة بين هذه الكائنات و أماكن القذارة ، فانه من الضروري الرجوع الى اليهود القدامى ((فالجن في المعتقد العبري تفضل الاقامة في الاماكن القذرة بصفة عامة .. و قد استعار الرهبان المسيحيون الاوائل هذا الخوف الشديد من المرحاض و الاماكن القذرة من اليهود القدامى... وربما عن طريق وساطة هؤلاء الرهبان انتقل هذا المعتقد الى الاوساط الشعبية العربية و الاسلامية)(6) و من ثم نفر الانسان الشعبي باستمرار من تجمع عناصر الماء و القذارة و الظلام ، لأنه يوحي بوجود الجن .

الصمت من عناصر الشعوذة ، فرضه الشيخ حمودة على نفيسة في بداية عمله ((يجب ألا تتلفظي بكلمة او حركة الى أن أمرك بذلك و الا تفسد العزيمة)) . (7)

---

(1) — ريح الجنوب ، ص : 214 .
(2) — م ، ن ، ص : 211 .
(3) — م ، ن ، ص : 211 .
(4) — م ، ن ، ص : 214 .
(5) — م ، ن ، ص : 214 .
(6) — الجوهري ، ص : 208 — 209 .
(7) — ريح الجنوب ، ص : 212 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و يعتبر الصمت في المعتقد الشعبي شرطا أساسيا قبل أداء النشاط السحري . و على ذلك فان دور الانسان أن يضع نفسه تحت تصرف الساحر و الاستسلام لارادته من أجل قضاء الحاجة التي جاء اليها . فقد اثبتت الدراسات النظرية و الميدانية التي تتعلق بهذا الموضوع ، أن الزائر في نظر الساحر هو المسؤول مباشرة عن اخفاق عمله بسبب ضعف الايمان به أو سوء فهم للتعليمات الصادرة عنه أو التهاون في تنفيذ خطواتها أو عدم صدق النية . (1)

و ترتبط مقاومة الجن في المعتقد الشعبي أيضا بالتضحية . و يمثل الدم الطعام المفضل عندها لذلك لأن ((سلالة ابن الأحمر لا تخرج بدون اراقة دم)) . (2) فقد سخر الشيخ حمودة الحيوان ليكون قربانا للجن التي يتوقف طردها من جسم نفيسة على الامتثال لحاجتها الى الاشباع بالدم .

لقد قدم الوالدان ذبيحتين في سبيل نفيسة . غير أن دوافع كل منهما تختلف عن الاخرى ((أما الام فقدمت دجاجتها السوداء العزيزة في سبيل شفاء ابنتها استجابة لنداء الامومة ...)) . (3)

بينما ارتبطت تضحية الأب ابن القاضي بمصلحته الشخصية التي تتمثل في المحافظة على مكانته الاجتماعية و الاقتصادية . فهو يعتبر زواج نفيسة بمالك رئيس البلدية وسيلة لوضع حد للاصلاح الزراعي الذي يدعو الى تقسيم جديد للعمل في الريف . فـ ((الأب ضحى اذن بمعزة في سبيل شفاء ابنته ، و لكن هذه التضحية يبررها ما يرجوه من زواجها بشيخ البلدية ، فالمعزة تهون ، مهما عزت في تحقيق هذا الغرض الحبيب)) . (4)

أما المواد التي يستغلها " الطالب " في هذا الشأن فغالبا ما تكون متمثلة في البخور التي ينصح بها الشخص المصاب بالتبخر بها أو تذويبها في الماء و شربها و قد ((اخرج كيسا صغيرا به عقاقير مختلفة

---

(1) — الجوهري ، ص : 64 ، 127 . (2) — ريح الجنوب، ص: 212 .
(3) — م ، ن ، ص : 215 .
(4) — م ، ن ، ص : 215 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم تعرف منها خيرة الا الجاوي)) . (1) ان الكيس والمخطوط الاسود الضخم اللذين يضعهما الشيخ حمودة تحت تصرفه غير قابلين للاختراق ، أو الكشف عنهما بواسطة أيدي غريبة . انهما يحملان وسائل و مواد خاصة من حيث طبيعتها و طريقة استعمالها ، و لذلك يحرص على اخفائها عن الناس ، لأنها مرتبطة اساسا بحاجات الكائنات الغريبة .

و تلعب الكتابة دورا هاما في الشعوذة باعتبارها تتضمن القدرة على تطهير جسم الانسان من الجن . فقد وظّف الشيخ حمودة الكتابة لمقاومة الجن التي أصابت نفيسة ، و تهدف النصوص السحرية الى ((تحصين الشخص ضد اصابات الارواح ... فهي موجودة بكثير من تفاصيلها عند البابليين ، قريبة قربا مثيرا من نظائرها عند المسلمين المعاصرين)) . (2)

و يمثل النص السحري حروفا او كلمات أو ارقاما أو أشكالا ، و تعبر جميع هذه الرموز اللغوية و الرياضية و الرسوم التي يتألف منها عن الدور الذي تقوم به بعض العلوم على غرار علم الحرف و علم الاشكال و علم الاسماء . (3)

لقد شمل النص السحري الذي وظفه بن هدوقة في رواية الطلاسم ، اذ التناقل المهتمون من العرب عن الشعوب القديمة استعمال الطلسم و وضعوه في قالب موافق لميول المسلمين ، و قد ادعى بعض المؤلفين في السحر أن وضعه لهذا التأليف ماهو في الواقع سوى تلبية لقول رسول الله : (من سئل عن علم و هو يعلمه و كتمه ألجم بلجام من نار يوم القيامة)).(4)

و يعتبر الحرف من الوسائل التي يضعها العمل السحري في متناول " الطالب " للتأثير على هذه القوى السماوية ، و لذلك ((أخذ الشيخ حمودة يكتب حروفا و أرقاما متتالية ثم ينزلها في جدول مخمس)) .(5) و الجدير بالذكر أن الحرف جزء من الطلاسم مهما كان الاعتقاد الشائع الذي جعل من الأول علما مستقلا بنفسه . و لعل سبب ذلك يعود الى موقف بعض

---

(1) — م ، ن ، ص : 212 .
(2) — الجوهري ، ص : 203 .
(3) — م ، ن ، ص : 203 .
(4) — بلحاج ، ص : 101 .
(5) — ريح الجنوب ، ص : 211 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرجال المتصوفين المتطرفين في الدين الاسلامي . فارتباط الحرف بالطلسم ظاهرة قائمة طالما أن غاية كل واحد منهما واحدة . (1)

و تتمثل طريقة استعمال الشيخ حمودة للحرف و العدد في الجدول ، و ((هو سطح قائم الزوايا تحيط به أربعة أضلاع متساوية ، يوصل بين كل ضلع و مقابله بخطوط مستقيمة ، فينقسم بها الى مربعات صغار أو توضع فيها الأعداد أو الحروف ... قد يكون مربعا أو مخمسا..)).(2) و الجدول المخمس الذي يتكون منه النص السحري في الرواية هو على هذا الشكل الذي يحتوي على خمس خانات طولا و عرضا .

نموذج الجدول المخمس .

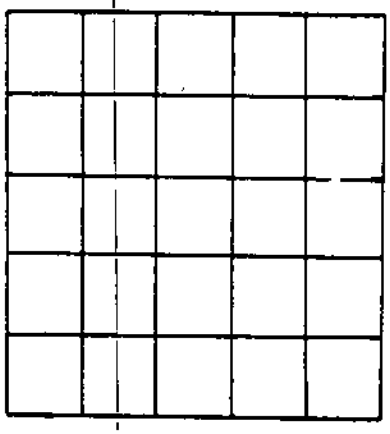

كما تمثلت بعض الطلاسم التي استعملها الشيخ حمودة في الخطوط أو الاشكال كالدوائر ((ثم أخذ ورقة أخرى بها دوائر كبيرة ملونة)) . (3) أو الرسوم حيث ((عشر على ورقة بها صورة هيكل بشري)) . (4) فالورق هنا هو المادة التي احتوت على الطلسم الذي مثل صورة الشخص .

و احتلت قراءة القرآن الكريم أيضا مكانة هامة الى جانب الكتابة ، ذلك لأن الجن ((لا تقهر الا بتلاوة الآيات و التعاويذ المختلفة)).(5)

---

(1) — بلحاج ، ص : 114 .
(2) — م ، ن ، ص : 95 .
(3) — ريح الجنوب ، ص: 212 .
(4) — م ، ن ، ص : 212 .
(5) — م ، ن ، ص : 214 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و من ثم شرع الشيخ حمودة في التلاوة (((و ننزل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين). و بعدها قرأ سورتي المعوذتين ثم آية الكرسي)) . (1) فالقراءة و الكتابة تستمدان فعاليتهما في السحر من نص ديني مقدس ، يتمثل في القرآن الكريم الذي تعرض الى أثر هذه الكائنات في نفوس البشر ، و هو السبب الذي من أجله ((لا نجد حجابا أو عملا أو سحرا يخلو من الآيات القرآنية ، و لذلك ايضا نجد أن هذه الاعمال السحرية ... بما احتوت عليه من (كلام اللّه) تؤدي وظيفة هامة في العمل على راحة الشخص النفسية و التغلب على عجزه و اخفاقه بما توفره له من آمال عاجلة أو آجلة يوهم بتحقيقها)) . (2)

كما تمثل ((العزيمة (نوع من الرقى المعقدة))) . (3) العامل الحاسم في العمل السحري الذي استغرقته الرواية . و هي تتمثل في القيام باستدعاء الجن بأسمائها ، ان معرفة اسم الجن الذي يؤذي الشخص من الوسائل التي يتمكن الطالب حمودة بواسطتها من السيطرة عليه ، و ((يمثل الاسم في جميع الثقافات الشعبية قوة خاصة ، و هو مرتبط بشخصية صاحبه بواسطة قوة روحية . فمن يتحكم في اسم انسان بواسطة عمليات سحرية فانه بذلك يسيطر عليه نفسه)) . (4) ان الروح الشريرة التي اصابت نفيسة من سلالة الأحمر ((ان جنيا من سلالة ابن الاحمر أصابها)) . (5) و يدل مضمون لفظ الأحمر و لونه على ((أحد ملوك الجن السبعة و الذي يأتمر بأمره نفر كبير من الجن الاحمر الذين يعدون (أشر) أنواع الجن و أكثرهم أذى ، و أشدهم خطرا ... و من ثم كان اللون الاحمر رمزا لكل شر خبيث)) . (6) بينما تعد انواع الارواح ذات الالوان الاخرى التي يخاطبها الشيخ حمودة باسمائها أتباعا فقط ، و لذلك حاول الشيخ حمودة أن يستدعي الجن باسمائها المتنوعة و يتحدى الشر فيها ((أين ابن الاحمر ، أين ابن الازرق ، أين ابن الاكحل ، اتوني جميعا بجنودكم و خيولكم و محلاتكم ..)) . (7)

---

(1) — م ، ن ، ص : 212 .
(2) — دياب ، ص : 303 .
(3) — ريح الجنوب ، ص : 212 .
(4) — الجوهري ، ص : 202 .
(5) — ريح الجنوب ، ص : 211 .
(6) — الجوهري ، ص : 204 .
(7) — ريح الجنوب ، ص : 213 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد تصور الشيخ حمودة ان الجن تعيش في بطون الأرض الى جانب السماوات .. و لذلك خاطبها قائلا ((ان الدم في المراح ينتظرك أنت و رفاقك القادمين من السماوات العلى و الاراضي السفلى ، اسرع)) . (1) ان هذا القول يتناقض مع ما جاء في الدين الاسلامي ((اننا لا نعثر في القرآن الكريم على دليل واحد يشير الى أن الجن يعيشون تحت الارض ، و انما الارجح انهم يعيشون فوق الارض في الفضاء الخارجي حتى السماء)) . (2)

كما ان النار من العناصر الطبيعية التي سخرها الشيخ حمودة أيضا للغرض نفسه . ((اخرج و الا احرقتك بالنار :)) . (3) و تستخدم النار عادة باعتبارها عنصرا مناقضا لهذه القوى المؤذية ، غير أن هذه النظرة تخالف المعتقد الاسلامي الرسمي الذي ((يرى أن الجن قد خلقت من نار ، و ان النار تعتبر لذلك عنصرا شيطانيا غير طاهر في ذاته)) . (4)

و قد حاول الشيخ حمودة ان يفرض نفسه على الجن و يرغمها على الخروج من جسم نفيسة من خلال اشباع رغباتها باستمرار . ((اخرج الان لقد تم مرادك و احضرت لك ماتحب . اخرج و لا تعمد الى هذه المخلوقة من اليوم)) . (5) و قدم خلاصة نشاطه السحري عندما استخدم ((في جزء من ورقة كتابة غير مفهومة)) . (6) احتوت على العديد من الكلمات و العبارات الخالية من المعاني لمواجهة هذه القوى ، كما تضمنت العدد سبعة الذي أستخدم لضبط الزمن الذي تتحسن في نطاقه حالة نفيسة كأن ((تبخر " نفيسة " بورقة كل ليلة مدة سبعة ايام .)) . (7) و قد عرف هذا العدد في معتقدات الشعوب القديمة اذ ((يصنف المعتقد الشعبي البابلي الارواح الكثيرة الى اصناف و مراتب معينة ... و يبلغ عدد هذه المراتب سبع مرات في العادة)) . (8) غير ان توظيف العدد سبعة في الرواية متأثر الى درجة كبيرة بالقرآن الكريم الذي ورد فيه مرات عديدة تعبيرا عن معنى الخير و الكمال .

---

(1) — م ، ن ، ص: 213 .
(2) — الجوهري ، ص: 204 .
(3) — ريح الجنوب ، ص: 213 .
(4) — الجوهري ، ص: 202 .
(5) — ريح الجنوب ، ص: 213 .
(6) — ريح الجنوب ، ص : 213 .
(7) — م ، ن ، ص: 213 .
(8) — الجوهري ص : 213 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اعتقد الشيخ حمودة ان الامل الذي تعلق به قد تحقق عندما ((تحركت الفتاة في فراشها و سعلت)) . (1) و عزا هذه النتيجة الى سلطته الروحية القوية ، و من ثم بلغ عمله السحري ذروته لما ((كتب ... حجابا للفتاة)) . (2) كما كان اعتقاد الوالدين بانتصار " الطالب " على الجن قاطعا .

بين ابن هدوقة من خلال الشعوذة قدرة " الطالب " على تضليل عقل الانسان الشعبي الساذج ، فأدان بشدة سلوك الشيخ حمودة الذي استغل من أجل الكسب المادي ثقة عائلة ابن القاضي الكاملة التي قد تصل الى الايمان القاطع بتأثير عمله و معارفه عليها . و قد تمثل هذا الموقف في تعامله مع الضحية التي سخرها لنفيسة اذ قال ((أقسمها الى نصفين نصف ضعه في الجلد و آتني به ، و النصف الآخر افعلوا به ما تشاؤون)) . (3) و بذلك كشف المؤلف عن وظيفة رجل الدين الشعبي الخلقية و الاجتماعية التي لا يمكن تصورها خارج علاقتها الجوهرية بالكسب . فقد ((اخرج ابن القاضي من جيبه ورقة بخمسين دينار فناولها الشيخ فدعا هذا بالشفاء للمريضة و أخذ كتابه و الجلد الذي به نصف الشاة و قام داعيا بالشفاء مرة أخرى و خرج معه ابن القاضي مودعا بعد أن دعاه لتناول الطعام فاعتذر بأنه لا يستطيع)) . (4)

يتمتع رجل الدين اكثر من غيره من الناس بقيمة اجتماعية فائقة ، فهو يحاط بعناية كبيرة تبلغ درجة التقديس باعتبارها تمثل علاقة ذات مرتبة عالية و عميقة بين الانسان و اللّه . فينال منهم انواعا من المكافآت و الهدايا ، و قد ادى هذا الموقف الى تكوين اعتقاد شائع بأن وظيفة رجل الدين أكثر استقرارا في الحياة ، و قد يتجاوز رجل الدين حدود النشاط الديني ليعالج القضايا الاجتماعية كلما دعت الضرورة ، غير انه يعتمد في ذلك على احكام مثالية عاجزة عن تحقيق النتائج التي

---

(1) — ريح الجنوب ، ص : 213 .
(2) — م ، ن ، ص : 213 .
(3) — م ن ، ص : 212 .
(4) — م ، ن ، ص : 213 ، 214 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتطلبها مقامه الروحي ، و من هنا تكشف هذه الحلول عن نمط سلوك يستند الى المصلحة الشخصية و الهيبة القائمة على قوة التأثير و الرغبة الشديدة في الربح . (1)

ان حياة نفيسة حصيلة قيود مختلفة من أجل احتوائها . فكانت الشعوذة في يد الشيخ حمودة تخضع لتصور ديني قائم على اغتصاب حرية الانسان ، حيث تعامل معها على انها مجرد وسيلة لأداء عمله ، و ليس بامكانها التخلص من هيمنته حتى و لو كان يهدد سلامتها أوكرامتها البشرية .

و ان عزم نفيسة على الفرار بعد خروج الشيخ حمودة من البيت مباشرة ، دليل قاطع على رفض كل من يريد ان يلعب دور الوساطة الذي يستمد شرعيته من المعايير و القيم التي تعمل على الغاء ارادة الفرد في التعبير عن أفكاره و مشاعره ، آلامه و أحلامه ، و تدعيم موقف الاعتراف بالأمر الواقع ، و لاسيما أن نفيسة أصبحت تعكس وعيا بمصلحتها وقيمتها الاجتماعية و الفكرية .

و يمتد هذا التدخل الى الجانب الاقتصادي و السياسي بسبب تأمين مصالح معينة ، كما يبين تخالف الامام مع ابن الصخري لمعارضة ارادة البشير من أجل تغيير واقع الريف . ان ((المساجد التي كانت في زمان ما دورا للثقافة أصبحت هذا العصر بيوتا للجهل و محاربة التطور)) (2) فحاولت بذلك الفئة التي ينتسب اليها كل من الامام و الشيخ حمودة ، ان تفرض قيمها الخاصة التي تعتبرها شرطا اساسيا لاستمرار حياتها .

---

(1) — غسان . ، ص : 131 ، 132

(2) — نهاية الامس ، ص : 71 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطرق الصوفيـــة :

وظف المؤلف الطرق الصوفية من خلال شخصياتها و رموزها و أجوائها القائمة على الخوارق و الطقوس للدلالة على قضايا الانسان الشعبي و مواقفه من احداث العصر .

و تعتبر الطرق الصوفية جزءا أساسيا من حركة التصوف التي ظهرت في المجتمع العربي الاسلامي ، و عبرت في فترة ازدهارها ، عن وعي هام . الا أن نشاط هذه الحركة الفلسفية طغى عليه الجانب العملي الذي استمر زمنا طويلا ، بتأثير ظروف اجتماعية و سياسية . و فقدت هذه الحركة قيمتها الفكرية ، و صارت مصدرا للتخلف .

و لعل الاستعمار الذي عرفته أغلب الاقطار العربية في المشرق و المغرب ، ساهم بقسط وافر في تثبيت الطرق الصوفية كخدمة أغراض محددة . و على سبيل المثال فقد ((جندت الدعاية الفرنسية في الشمال الافريقي قسما كبيرا من مشايخ الطرق الصوفية الذين اعتادوا أن يعملوا لمصلحة رجال الحكم أو الذين خلفتهم الادارة الفرنسية لتسخيرهم في أغراضها ، فانشغل محمود التيجاني في الجزائر ، و عبد الحي الكتاني في المغرب ، و ابن عزوز في تونس دعاة متحمسين للسياسة الفرنسية)) . (1)

مراسيم الزردة :

عرفت الدشرة حدثا هاما متمثلا في تطوع جماعة من الطلبة اليها ، و قرر سكانها اقامة الزردة اكراما لهم و للنظر في شأنهم . ((لاشك أن ذهاب أبي لساحة الجامع لدعوة الطلبة الآخرين للعشاء ، مكن من الاتفاق على اقامة الزردة)) . (2)

---

(1) ـ بدران الخماش ، ص : 125 .

(2) ـ عبد الحميد بن هدوقة ، الجازية و الدراويش (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1983) ص : 199 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و تشكل الزردة بذلك في الرواية ظاهرة اجتماعية ، تتناول نشاط الجماعة الشعبية التي تمارسه في الوسط الريفي من خلال أنماط سلوكية ، للتعبير عن قيمها و رموزها و طقوسها الدينية بالتضحية و الغناء و الرقص . و يوفر لجمع كبير من الرجال و النساء قسط من الحرية التي تفسح مجالا واسعا أمامهم و لاسيما الشباب ، للتخفيف من الضوابط و القيود ، و الفوارق ، الذي يساعد بدوره على التخفيظ من العقد و الاعباء و الضغوط التي يفرضها التنظيم الاجتماعي في الريف . ((غير أن هذه الحرية تظل دائما محدودة لا تتجاوز تحرير الروح)) . (1) و تكشف الزردة كذلك مواقف الجماعة ، و في مقدمتها مشايخ الصوفية من الظروف التي تمر عليها القرية و الاحداث التي تطرأ عليها ، و استعداد اعضائها للبذل و العطاء .

و ترتبط الزردة أساسا بالريف لأن ((الدعوة و النشرة يتمان خصوصا في التجمعات المدينية الكبرى ـ الوعدة في الجزائر العاصمة والنشرة في قسنطينة)) . (2)

و هكذا تمثلت بداية الزردة في حضور سكان الدشرة الى ساحة الجامع ((ما ان حلت الساعة الحادية عشرة حتى كانت كل الجهات المحيطة بالساحة مكتظة بالناس ، من كل الاعمار)) . (3) و تعتبر هذه الساحة المكان الذي يجتمع فيه اعضاء الجماعة الشعبية و يطرحون فيه قضاياهم ويتبادلون الآراء حولها و يحددون موقفا معينا منها .

و ارتبطت ساحة الجامع في الرواية بالعدد سبعة من أضرحة الأولياء ((يقال عن الجامع أنه مدفون به سبعة أولياء)) . (4) و ان احتماء سكان الدشرة بأضرحة الاولياء السبعة تعبير صريح عن اعتقادهم الشديد بالكرامات و الخوارق ((وقع بين السكان ، غبيهم و عاقلهم ، شبه اتفاق

---

(1) ـ عبد الحميد بورايو ، " المكان و الزمان في الرواية الجزائرية " ، ص: 65 .
(2) ـ طوالبي ، ص : 122 .
(3) ـ الجازية و الدراويش ، ص : 202 .
(4) ـ م ، ن ص : 57 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على اسناد الكرامة و الخوارق للجامع و الأولياء)) . (1) و كذلك ايمانهم بتأثيرها القوي على وجودهم ، اذ يتمثل دورها في الوساطة بين البشر و الخالق ، و يرتبط العدد سبعة بزمن مطلق ((لهم من يخلفهم أبد الدهر كلما مات سبعة جاء من بعدهم سبعة)) . (2)

و يظهر الاولياء اذن أشخاص عاشوا في عهود مختلفة من تاريخ المجتمعات العربية الاسلامية و لعبوا دورا هاما في الحفاظ على كيان الجماعة العضوي و الاجتماعي و الروحي .

و يسند نساء الدشرة و رجالها ، من خلال التدخل المباشر للمؤلف في الرواية ، كل فشل أو انحراف أو سوء تفاهم في العلاقات الزوجية أو الحالات غير الطبيعية كالعقم و سوء الحظ في الزواج الى قوى خارجية تتطلب منهن زيارة الاولياء ((ان اغلب السكان يعتقدون أن الدعوات الصالحات لدى أضرحة الاولياء السبعة تولد العواقم و تزوج العوانس)) . (3) كما يعتقد الناس في الدشرة أن زيارة الاولياء قائمة على الجزاء و العقاب اللذين يتوقفان بدورهما على طبيعة النية و نوعها ((ان من جاء الى السبعة بنية سيئة لن ينجو من نقمة اوليائها)) . (4) و لهذه العوامل كلها تأخذ الزردة في الرواية ((قيمة دينية لأن الناس يتصورونها على أنها اكرام للولي)) . (5)

نالت التضحية مكانة في الزردة و ارتبطت بأنواع من الحيوانات كالثور و الكبش و العجل التي ((يقدمها المتعبد فدية أو رضاء أو أملا بالبركة و الوفرة)) . (6)

تكتسب التضحية معناها المقدس عند الجماعة الشعبية من تصور ديني غيبي قائم على الثوابت في العالم الآخر ((انه ثور من ثيران الجنة)) . (7) و ارتبطت الذبيحة كذلك بعملية الطواف في ساحة الجامع .

---

(1) — الجازية و الدراويش ، ص: 58 (2) — م ، ن ، ص : 57 .
(3) — م ، ن ، ص : 70 . (4) — م ، ن ، ص : 70 .
(5) — طوالبي ، ص : 133 . (6) — علي زيعور ، العقلية الصوفية و نفسانية التصوف ، (بيروت : دار الطليعة 1979) ص : 12 .
(7) — الجازية و الدراويش ، ص : 83 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث ((سيق الى مكان الذبح ، بعدما طوف به في ساحة الجامع)) . (1)

و قد دل عدد الحيوانات ((العجل و الاكباش الستة)) . (2) التي تبرع بها الشامبيط على الاهمية القصوى التي أضفاها على الحدث في الدشرة .

و يعتبر الدرويش من الشخصيات الرمزية التي لعبت دورا حاسما في نطاق الطرق الصوفية ، و ((يفسر عادة معنى الدرويش على انه مشتق من الفارسية ، و يدل على من يسعى (لطرق الابواب) بمعنى المتسول ، و تستعمل هذه الكلمة في الاسلام غالبا بمعنى العضو في الجمعية الدينية)). (3)

و يختلف الدرويش عن غيره من البشر بسبب صفاته المتميزة فهو يكتسب قوته من قراءته للغيب التي تعتبرها الذهنية الشعبية شرطا ضروريا للتغلب على الظروف القاسية في الريف . و يبدي الدرويش رأيه في كل حدث ، و يؤيده فيه الناس . و لذلك يضفون عليه هالة من القداسة ،ويعد بذلك ((سليل السحرة القدماء الذين كانوا يتمتعون بسلطة هائلة تنتقل اليهم عن طريق الوراثة ، حتى ان بعضهم يصل الى مرتبة الرؤساء أو الزعماء)) . (4)

الرقص الطقسي :

دخلت جماعة من سكان الدشرة الى حلقة الرقص وشاركها الطلبة المتطوعون الوافدون من المدينة ، ان ((راعي السبعة رمى بعصاه و دخل يرقص ... الأحمر يرقص ، الجازية ترقص ، و الدراويش يرقصون)) . (5)

---

(1) ـ الجازية و الدراويش ص : 84 .
(2) ـ م ، ن ، ص : 199 .
(3) ـ OMAR OUHADI , Analyse du Roman Algérien (Al gàziya-WA - darawis - gaziya et les derwiches . de Abdelhamid Ben hadouga (paris : universite de la sorbonne) page 94 .
(4) ـ صبري مسلم حمادي ، أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة ، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ط 1 ، 1980) ص : 98،99.
(5) ـ الجازية و الدراويش، ص : 91 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و تطرح العلاقة بين الانسان الشعبي و الرقص الذي مارسه في بيئته منذ القديم داخل نطاق التوفيق بين اشباع رغباته الفردية و طموحه العفوي الى تحقيق موقع هام بين سائر اعضاء جماعته في مناسبات اجتماعية و دينية من اجل هدف معين . (1)

و هكذا بدأ الرقص بأصوات الزرنة و ضربات على البنادر ذات الوتيرة السريعة ، تعقبها الزغاريد و التصفيقات الحادة .

و استخدم الدراويش في الرقص المناجل لأداء لعبة النار . ومن هنا جاءت أهمية النظر الى المناجل على ان وظيفتها ليست مقصورة على العمل الفلاحي ، و انما دورها رمزي مرتبط بوجدان الجماعة . و اعتمدت لعبة النار على عناصر منها احماء المناجل على ان تبلغ ذروتها في الحرارة ((تحمى المناجل حتى تصير بيضاء . لمسة واحدة تجعل الجلد يلتصق بها)) . (2) ثم شروع الدراويش في لعقها بكل مالهم من حماسة و ثقة عفوية باستخدام اعضاء الجسم مثل اللسان و الذراع . انهم ((يلمسونها و يعقلونها بألسنتهم و يمررونها على اذرعتهم العارية)) . (3)

ان علاقة لعبة النار بالروح وثيقة اذا دلت عليها بعض مظاهر وجوه الدراويش التي انتابها الاكفهرار ((وجوه الدراويش تكفهر)) . (4) و البكاء (أخذ احد الدراويش يبكي بكاء عاليا)) . (5) و الصيحات ((تشتد صيحات الدراويش)) . (6) و قد وضعت هذه الانفعالات النفسية الدراويش في عالم خاص قائم على الانفصام بين العاطفة و العقل ، و اعطت للحدث في الرواية بعدا دراميا بلغ اقصى درجات التوتر و النشوة و الغرابة .

---

(1) — ابراهيم الحيدري ، اثنولوجيا الفنون التقليدية ، (سورية ، دار الحوار للنشر و التوزيع ، ط 1 ، 1984) ص : 83 ، 84 .
(2) — الجازية و الدراويش ، ص : 86 .
(3) — م ، ن ص : 86 .
(4) — م ، ن ص : 86 .
(5) — م ، ن ص : 87 .
(6) — م ، ن ص : 91 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و ظهر تعلق سكان الدشرة و حرصهم على القيم المتوارثة عندما ركزوا اهتمامهم على التناقض القائم بين تقرب الأحمر من الجازية و التعاطف معها ، التي تحتل مكانة سامية عندهم ، و دواعي الأذعان الى الاصول و القواعد ((الجازية و الاحمر يزدادان حماسا ، رقصهما يتخذ حركات غريبة لم تر القرية مثلها قط)) . (1)

و بقدر ما يمثل الدراويش في الرواية الجانب الروحي الفردي الذي يقوم على الغياب الموضوعي من خلال الشعور وحده دون العقل من أجل الوصول الى الحقيقة . إن حضور الجازية في الزردة يدل على الجانب الروحي المطلق . و ان اندماجهما في حلقة الرقص تعبير عن الارتباط بين العابد و المعبود . (2)

قراءة الغيب :

اعتبر السكان الغيب شرطا أساسيا للاطلاع على الاحداث التي تحدق بهم في الدشرة و تتطلب الحكمة و الحيطة و الحزم . و الدرويش بما يمثله من قدرة الشعور و التنبأ بالغيب يعطيهم بدون شك قوة السيطرة على عواقب مصيرهم .((في الدشرة صاحب الرأي هو الغيب ، و المذيعون هم الدراويش)) . (3)

في هذا الجو المشحون بالعبادة ، و الاعتقاد القوى بقراءة الغيب من خلال الدم المجمد ، تحرص الجماعة الشعبية على تمثل الدراويش لدعوتها في تسليط الضوء على الجوانب الخفية من الاحداث التي تجري في الدشرة . ((ذبح الثور و سال الدم في صحفة من الفخار حتى بلغ منها النصف .... ووضعت على حدة ، كي يتجلط الدم و يمكن قراءته)) . (4)

و قدم المؤلف بسخرية طريقة قراءة الغيب التي قامت على حركة محصورة في الدوران ، و التأمل في صحفة الدم ، و التقيد بالعدد سبعة ، و الاستعراض المفرط في التهريج ((وضع الصحفة في كفة ودار بها في الساحة كما يدور المهرجون بالاسواق ، يقف لحظة ، يتأمل الصحفة

---

(1) — م ، ن ، ص : 91 . (2) — بورايو، ص : 65 .
(3) — الجازية و الدراويش ، ص : 196 . (4) — م ، ن ،ص : 84 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يستأنف دورانه . فعل ذلك سبع مرات في ساحة الجامع)) . (1)

لقد بلغ تأخر الشامبيط عن الموعد المقرر حدا جعل أحد الدراويش يقترح ((أن توضع حجرة في وسط الساحة ، رمزا للشامبيط)).(2) حاول السكان أن يجعلوا من الدرويش انسانا واعيا بالغيب و قراءته ((انك تنبأت بموت الشامبيط أجابه الدرويش بأنه لم يفكر أصلا في موت الشامبيط و لا كان يعلم أن الرمز بالحجر الى الانسان يدل على الميت)) . (3)

غير أن المؤلف انتقد الحديث الساذج الذي صدر من أحد أفراد الجماعة الشعبية من خلال الحوار الذي اجراه بين أحد السكان والدرويش اذ أن الحجرة لا تمثل عنده سوى جزء من تجربته الواقعية القائمة على الخطأ و الصواب التي ك ن لها دور فعال في التحسيس بالمجهول ، ومن ثم هناك ((تمييز مابين الشعب الذي يعيش حياته الخاصة بكل معطياتها ، و بين رجال الدين الذين يتدخلون في هذه الحياة من اجل ضبطها بطريقة ما)) . (4)

ارتبط موت الشامبيط بعامل طبيعي تمثل في انحراف المطية و سقوطها في الهاوية ((ان البغلة التي يركبها الشامبيط تجري جريا عشوائيا لا شك ان البارود أو انحدار قطيع الغنم أخافها لم يستطع الشامبيط تهدئتها و السيطرة عليها ، لم تمض ثوان معدودة حتى فقدت توازنها و ارتمت في الهاوية هي و راكبها)) . (5)

و يدل موت الشامبيط في الرواية على انهزام كل ما هو دخيل على الدشرة ، و قائم على التسلط و الاستغلال .

و يمكن القول ، أن التفاوت الواضح بين الريف و المدينة عند بن هدوقة عامل حاسم في الصراع الاجتماعي بين الجماعة الشعبية و الوافدين اليها ، مما يدل على فشل كل محاولات التغيير لصياغة واقع أفضل .

---

(1) — م ، ن،ص : 85 . (2،3) — م ، ن ص : 204 ،

(4) — محمد أركون ، " الاسلام و العلمنة " دراسات عربية (بيروت ، دار الطليعة ، العدد 5 ، سنة 1986) ص : 83 .

(5) — الجازية و الدراويش ، ص : 215 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و هكذا كان الهدف من توظيف المؤلف للشعوذة و الطرقية و الاولياء متمثلا في رفض العلاقات بين الاشخاص و الاشياء في البيئة الشعبية القائمة على الخوارق و القوى المجهولة و الخرافات من أجل تأسيسها على المنطق و المعرفة العلمية ، و قد كان تعامل المؤلف مع هذا الوجود الكثيف لهذه المعتقدات واعيا . اذ تميز تصوير وسائله و ادواته و استعمالها بدرجة عالية من الصدق الفني . مما جعلنا نتعاطف مع الشخصيات التي تعاني من الهموم و المتاعب و تبحث عن قيم جديدة و منها نفيسة و الجازية ، و ننفر من الشخصيات التي اعطت للقضاء و القدر و الصدفة و الغيب دورا في صياغة حياة الانسان الشعبي و منها الدراويش و الشيخ حمودة و ابن القاضي و الشامبيط . كما كانت الشخصيات الاقطاعية أكثر تأثرا بالمعتقدات بسبب ارتباطها المباشر بالطبيعة .

==========

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التداوي الشعبي :

أخذ موضوع التداوي الشعبي مكانه أيضا ضمن عناصر المعتقدات الشعبية في الرواية . و شمل أنواع من الامراض و الأعشاب و اساليب العلاج .

و لا يزال التداوي الشعبي متداولا بين البشر بينما لم يظهر الطب العصري الا في القرن الاخير . فالطبيعة مصدر كل عقاقير و أعشاب التداوي الشعبي ، تم اختيارها على امتداد الاجيال ، كما يتضمن التداوي الشعبي عمل القابلة و المجبر . (1)

و لعل الخباز من أهم الأعشاب التي وردت في هذا المجال و هو ((بقلة معروفة من فصيلة الخبازيات ، مستديرة الورق ، فيها لعابية يرغب الناس فيها لخصائصها الملينة)) . (2)

و من فوائد استخدام هذا النبات في العلاج التي استعرضها المؤلف بتدخله العباشـ ، أن الخباز ((يزيل الانتفاخ و يطهر الجرح بدون أن يحدث أي التهاب))(3)و هو كذلك ((أحسن مرهم ضد التعفن)).(4) كما يستخدم عادة لازالة الآلام الجسم من خلال ضمادة قبل النوم ((انني لا أحس أي ألم ماعدا كتفي و رقبتي و سأضع ضمادة من الخباز في المساء قبل أن أنام)) . (5) .

و قد كان التداوي بالخباز وسيلة ارتبط بها مالك رئيس البلدية بالماضي البعيد ، و استرجع فيه بعض صور حرب التحرير التي أصيب فيها بجراح عديدة في ذراعيه . ((رجعت به الذكرى الى ماض بعيد: يوم أن كانت العجوز رحمة صحيحة و هو جريح محموم عندها))(6) و لعبت العجوز رحمة في هذه الفترة دورا هاما في انقاذه .

---

(1) — فهمي الشناوي " الطب الشعبي يعود من جديد ـ التداوي بالاعشاب حقيقة أم خيال " مجلة الدوحة (قطر : العدد 110 ، 1985) ص : 43 .
(2) — القاموس ، المنجد الابجدي (بيروت : 1956)
(3) — ريح الجنوب ، ص : 150 .
(4) — م ، ن ، ص : 153 . (5) — م ، ن ص : 124.
(6) — م ، ن ، ص : 146 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و نتعرف من خلال شخصية العجوز رحمة بمراحل اعداد هذا الدواء و أساليب علاج هذا المجاهد ، ((أخذت العجوز حشائش الخباز فنزعت أوراقها و رمت بالسوق جانبا)) . (1) و بعد ذلك ((أخذت العجوز الماء الذي غلت فيه عشب الخباز فغسلت به ذراع مالك ثم اخذت قطعة من قماش فوضعت فيها أوراق الخباز بعد أن عصرتها جيدا من الماء و غمستها في الزيت و ربطتها على جرحه في رفق)) . (2)

اكتسبت العجوز رحمة من خلال هذا التداوي الشعبي بعدا روحيا انسانيا . و أعطى هذا العلاج للمرأة مكانها الحقيقي في نطاق التداوي الشعبي و دورها الهام الذي لعبته طيلة الثورة .

ساق المؤلف اللدغ باعتباره منتشرا في الريف يصاب به الانسان اذا نهشه ثعبان . و يمثل الراعي رابح الشخصية الشعبية التي ارتبط بها علاج اللدغ الذي أصاب نفيسة اثر هروبها من بيت والدها الذي فرض عليها الزواج مع مالك رئيس البلدية .((كانت النهشة من ثعبان اشعث أغبر رأته و هو يبتعد في هدوء مخيف)) . (3)

و ظهرت مظاهر اللدغ على جسم نفيسة التي عبرت عن تأثرها الشديد باضراره كالدم الاسود و آلام السم و الغثيان و الاغماء .

مر الراعي رابح قبل الاقدام على علاج نفيسة بموقف صعب يعود سببه الى تلك العبارة ذات الدلالة الساخرة ، التي ظلت تطارده في كل مكان ((اخرج من هنا أيها المجرم ، أيها القذر ، أيها الراعي القذر)) . (4) و قد منعته هذه الصدمة النفسية في البداية من أداء واجبه الانساني ((الفتاة التي قالت له ذات يوم أيها الراعي القذر ... انها لدغت ، هل يتركها في هذه الحالة لينتقم منها لنفسه ؟) 5 غير أن الطبيعة الفطرية و الواقعية التي نشأ عليها و نزوعه الى الخير

---

(1) — م ، ن ، ص : 150 .
(2) — م ، ن ، ص : 153 .
(3) — م ، ن ، ص : 242 .
(4 ، 5) — م ، ن ، ص : 108 ، 244 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اخرجاه من هذا المأزق . ان ((الانتقام بهذه الصورة لم يرقه،وخصوصا وهو يعرف كيف يعالج الملدوغ مادام على قيد الحياة)) . (1)

استمد الراعي معرفة علاج اللدغ من تجربته الطويلة التي اكتسبها من خلال علاقة حرفته المباشرة مع الطبيعة و الماشية ((وراح يبحث عن عشب يعرفه ، يستعمل لهذا الغرض و هو أنجع دواء ، جربه على الغنم حينما كان راعيا مرات عديدة فكان دائما ناجعا)) . (2)

و ارتبط علاج اللدغ من خلال الراعي رابح ، من حيث المادة ((بالنبات المطلوب)) . (3) و اعتمد استعماله على الاساليب التقليدية ((فدكه و وضعه على الجرح)) . (4) و كذلك الامتصاص ((ووضع فمه على الجرح واخذ يمتص الدم المسموم ويبصق فترة من الوقت .)) . (5) و استخدم من حيث الادوات ، الموس ، ((و اخرج بسرعة موساه فشق مكان اللدغ شقا خفيفا فسال منه دم كالقطران سوادا)) . (6) و الربط بالقماش أيضا ((ثم قطع من (اللحفة) التي يشد بها رأسه فربطه بها)) . (7)

و أشار بن هدوقة الى أن اللدغ شاق يفرض على المصاب به التقيد بالفراش أياما عديدة ، و عدم القيام بنشاط معين . ((ان اللدغ ليس هينا ، و يرغم تقضين عدة أيام مريضة لاستطيعين فيها عمل أي شيئ)).(8)

لم يكن استسلام نفيسة للراعي رابح ناتجا عن ظروف اللدغ و ضرورة علاجه ، بل كان مترابطا أيضا مع شعورها الانساني العميق.

---

(1) — ريح الجنوب ، ص : 244 .
(2) — م ، ن ، ص : 244 .
(3) — م ، ن ، ص : 244 .
(4) — م ، ن ، ص : 244 .
(5) — م ، ن ، ص : 244 .
(6) — م ، ن ، ص : 244 .
(7) — م ، ن ، ص : 244 .
(8) — م ، ن ، ص : 247 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يبدو أن المؤلف حاول من خلال التداوي الشعبي الذي شغل حيزا في رواية ريح الجنوب ان يتحدث عن صراع الانسان الشعبي ضد الطبيعة ، و قد عكس هذا الموروث الشعبي بعدا انسانيا في شخصيتي الراعي رابح و العجوز رحمة في نطاق ظروف طبيعية و اجتماعية قاسية .

و هكذا قدم المؤلف معتقدات التراث الشعبي فيرواياته باعتبارها حقائق امتزج فيها الدين بالطرقية ، الخيال بالواقع ، اعتمد عليها الانسان الشعبي في حياته ، بجميع ابعادها الزمنية . و يرى من خلال اعماله و تصورها ، أن البيئة الشعبية مقيدة ، لا تقوم في الصراع على ارادتها البشرية لأن حريتها ألغتها قوى مجهولة . فكانت هذه المعتقدات أو الكثير من عناصرها السلبية ، المسؤولة المباشرة على فشل تغيير العلاقات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الفكرية في الريف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

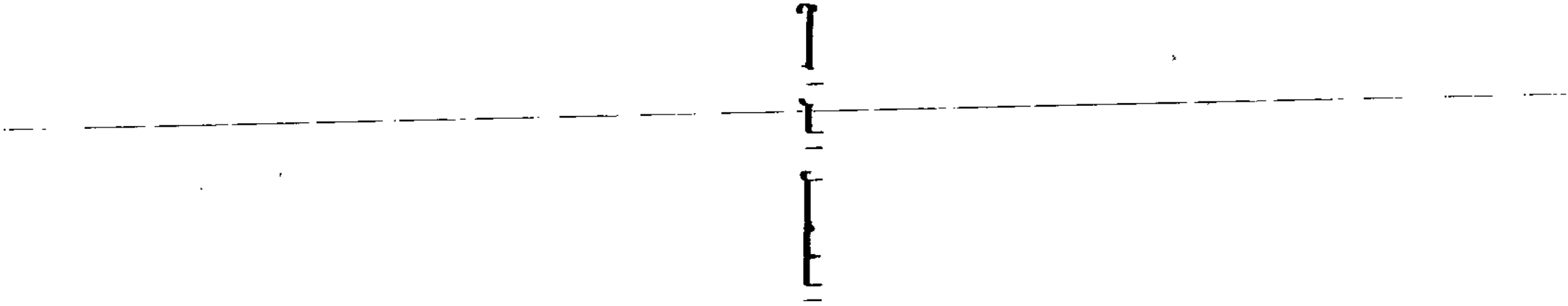

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توظيف الأدب الشعبي في الروايات :

يمثل ميدان الدراسة الشعبية نقطة البداية . و يتميز عن أنواع المعارف الأخرى بانه يعبر عن جوهر تفكير شعب معين، و من المعروف أن أدب كل أمة يبدأ دائما من الاسطورة، و الحكاية الشعبية، قبل أن يصل في تطوره الى النضج الفني من حيث الأدوات. غير أن دراسة الادب العربي الاسلامي أهملت هذا الاساس الطبيعي، فبدأ الدارسون من القمة التي تتمثل في انتاج الأدب الرسمي، المحدد الخصائص، و اقتصر هؤلاء على مجهودات الافراد دون البحث عن مصدر وعي الجماعات و الشعوب و عن الأشكال و القوالب الأخرى من التعبير التي اختارتها للتعريف بنفسها (1)

و يعود السبب الاساسي في ((اهمال الادب العامي في عصر التدوين الى انتصار العرب سياسيا و عسكريا، فالأمة المنتصرة تحاول تهذيب لغتها و تجعل منها لغة نبيلة حتى تشيع و تنتصر، فاذا كان هذا موقف القدماء، فان نشأة القومية في العصر الحديث أدت الى اهمال الانتاج الشعبي)). (2)

و من هنا عد البعض من الدارسين أن العناية بالادب الشعبي تؤدي الى احياء اللهجات المحلية و تغليبها على لغة القرآن و التراث العربي القديم، بينما رأى البعض الآخر ان الأدب من اختصاص الأقلية، فابتعد بذلك عن تدوين كل ماله علاقة بالأغلبية الساحقة من الناس، و من ثم اهتم المستشرقون بجمع و دراسة الآثار الشعبية في مختلف مناطق المغرب العربي كما قام بعض الباحثين الجزائريين باللغة الفرنسية امثال بن شنب و أحمد طاهر، بدراسات في هذا الشأن أيضا. و رغم أنه ظهرت في السنوات الأخيرة مجموعة من البحوث في هذا الموضوع باللغة الوطنية الا أنها غير كافية. (3)

---

(1) ـ فاروق خورشيد، محمود ذهني، فن كتابة السيرة الشعبية (بيروت: منشورات اقرأ، 1980) ص : 15، 16 .

(2) ـ سيد محمد ، ص : 57 .

(3) أحمد محمد الامين، الشعر الشعبي في سيدي خالد، مجلة أمال (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع العدد 53،1981) ص: 27، 28 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تناول الباحثون الأدب الشعبي كما لو كان حديثا ساذجا، و ربطوا قيمته و مكانته بمجموعة من العوامل، من بينها أن الأدب الشعبي لا يكون راقيا الا باستعمال اللغة الفصيحة، و أنه يعبر عن قيم تقليدية تشكل عائقا في أغلب الاحيان للتطور و التغيير. و يعتقدون كذلك أن الأدب الشعبي محلي في تناول قضايا الانسان و يتحيز لجهة أو منطقة محددة و يخلو من النظرة الشاملة، و رغم أن الأدب الشعبي من أكثر عناصر التراث الشعبي الأخرى التي نالت رصيدا من الدراسات و البحوث، الا أن جهود العلماء كانت محصورة في دراسة الشكل أكثر من المضمون. كما طغى عليها الجانب التاريخي، و تجردت بذلك من الموضوعية و النقد السليم.

و يرتبط مصطلح الادب الشعبي بالجهل بالكتابة، و لذلك يعتمد أساسا على الرواية الشفوية. و يقوم بهذه الوظيفة في أمريكا الشمالية (الشاما) أي قادة السياسة و الدين، و المؤلفون للأناشيد و الاغاني في جزر الماركيز و الرواة عند العرب. و يحصر علماء الاجناس الادب الشعبي في الاثار التي لم تدون و يخرجون منه تلك التي انتقلت شفويا ثم دونت بالكتابة بعد ذلك. ان الطباعة و الكتابة عاملان يدعمان الأدب الشعبي الذي انصرف عنه المبدعون على اعتبار التمييز المصطنع بين الادب الشعبي المسمى (شعبيا) و بين الادب المسمى (علميا). (1)

ويطلق على الادب الشعبي مجموعة من التسميات، منها الادب الشعبي Littérature Populaire أو الأدب الشفوي Littérature Orale الذي يضم أنواعا أدبية تنتقل عادة عن طريق اللغة الأم بين الناس.

و تتمثل هذه الاجناس في المثل، و النادرة و الحكاية و السيرة و الاغنية و الاسطورة و النكتة و أهازيج الطقوس الدينية و الاقوال السائرة (2) و الشعر.

أما مصطلح الفن اللفظي الذي اقترحه باسكوم فانه اختاره ((كي يميز الحكايات الشعبية و الأساطير و حكايات القديسين و الامثال و الاشكال الأدبية الأخرى التي تندرج تحت مفهوم الفولكلور عادة و لكن علماء الانثروبولوجيا يدرجونها تحت فئات أخرى)). (3)

---

(1) ـ مجموعة الاساتذة : الادب و الانواع الادبية، ترجمة طاهر حجار، (دمشق: طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ط 1 1985) ص : 30، 31، 38.

(2) ، الجوهري، ص : 73 ، 75 ، 76.

(3) ، م،ن ، ص : 37 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وللادب الشعبي بعدان أساسيان، أحدهما تعليمي ينمي أنواعا من النشاط العقلي و الديني و الاخلاقي في الانسان، و الاخر جمالي يتمثل في تربية الشعور أو الذوق الفني و الترويح عن النفس.

المثل الشعبي :

يبدو رصد المثل من بين الانواع الشعبية الاخرى أكبر في الروايات لأن طبيعته مركزة لا تحتاج الى حيز واسع.

و يقوم المثل الشعبي بدور هام في الحياة لما يتضمن من قيمة ذات طابع فكري و لذلك من الخطأ كما يرى مالينسكي تمثيله ((مجرد شكل من أشكال الفولكلور او مستند اتنوغرافي خاص بأحوال الشعوب. انما... عمل كلامي يدعو قوة معينة الى التحرك، و في اعتقاد الذين يصدر عنهم هذا الكلام أنه يؤدي الى أقوى أنواع التأثير على مجرى الأمور و على السلوك الانساني)).(1)

ويعرف المثل الشعبي على أنه ((عبارة قصيرة تلخص حدثا ماضيا أو تجربة منتهية و موقف الانسان في هذا الحدث أو هذه التجربة في أسلوب غير شخصي، و أنه تعبير شعبي يأخذ شكل الحكمة التي تبنى على تجربة أو خبرة مشتركة)). (2)

و يتداول الناس و لا سيما الاميون منهم الامثال الشعبية في مختلف المناسبات، و يحاولون صياغة آرائهم و أفكارهم بواسطتها بعد أن عجزوا في كثير من الاحيان التعبير عنها بالقراءة و الكتابة. و تتميز الأمثال الشعبية بالايجاز في الالفاظ و الدقة في المعاني التي تستمدها من تجربة الجماعة. و على هذا الاساس كان انتشار الامثال الشعبية أقوى في الريف منه في المدينة.

و يتكون بناء المثل الشعبي ((من جملة أو جملتين أو ثلاث و نادرا ما يصل الى أكثر من ذلك، و في هذه الحالة فانه لا يستطيع أن يقوى على البقاء و خاصة عند الانتقال الشفوي فانه قد ينقسم و يتولد عنه مثل آخر أو أكثر))(3)

---

(1) ـ دياب ، ص : 184 .

(2) ـ أحمد أبو زيد، دراسات في الفولكلور، (القاهرة : دار الثقافة للطباعة و النشر 1972) ص : 311.

(3) ـ ابراهيم أحمد شعلان، الاسرة في المثل الشعبي، مجلة التراث الشعبي، (بغداد : دار الحافظ للنشر، العدد 6ـ1981) ص : 116 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قام المثل الشعبي عند بن هدوقة على الكشف عن أبعاد الشخصيات الشعبية و مواقفها الاخلاقية و الاجتماعية و الفكرية من الحياة .

و ينقسم المثل الشعبي في الروايات الى صنفين، أما الاول الذي يتميز بالجملة الواحدة ((فان التركيز يصل الى أقصى درجاته ، بحيث يمكن ان يحمل المثل المكون من كلمتين طاقات فكرية هائلة ... و تتكون الامثال ذات الجملة الواحدة من ثلاث كلمات. و قليل منها يتكون من كلمتين و نادرا ما تزيد عدد الكلمات في الجملة عن خمس)). (1)

الامثال ذات الجملة الواحدة :

ارتبط المثل الشعبي الذي اعتمد على الجملة الواحدة على مجموعة من القيم الروحية كالتمسك بالأصول ((الملح ما يدوّد)) (2) وساقته الجازية ((للتعبير عن مشاعرها الثابتة نحو الطيب من جهة و اظهار وفاء امرأة الريف من جهة أخرى)). (3) و كذلك عكس المثل ((الشجرة لا تهرب من عروقها)). (4) ارتباط الجبايلي و زوجته بالدشرة . ان الرحيل الى القرية الجديدة التي يسعى الشامبيط من أجل تأسيسها، موقف بعيد عن الصواب في نظرهما لأن الدشرة ليست مجرد فضاء مادي للوجود و لكنها جذور مع الماضي البعيد .

الواقعية من القيم التي حملتها بعض الأمثال في الروايات. و يدل ((ماء الجبل ما يسيل الى أعلى)) (5) على التجربة اليومية التي اكتسبها الانسان الشعبي من خلال احتكاكه مع الطبيعة القاسية في الريف.

و ارتبط هذا المثل بتعبير الدرويش عن رفضه للزواج بين امرأة الريف و رجل المدينة . و يدل هذا الرفض على طبيعة العلاقة بين البيئتين، القائمة على الصراع الاجتماعي و الاقتصادي و الفكري.

---

(1) ـ شعلان،ص : 116، 117 .
(2) الجازية و الدراويش،ص : 220 .
(3)- OUHADI Page :195.
(4)، الجازية و الدراويش،ص : 15 .
(5)، م ، ن ،ص : 85 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و يعبر المثل ((السيل يعرف صحابه)) (1) على أن الطبيعة في نظر الأحمر خيّرة و بريئة من كل شر، و لا يمكن أن تكون جائرة، و لكن الانسان الذي يجهل قوانين هذه الطبيعة، معرض حتما الى الاخطار. فالظروف التي يعيشها سكان الدشرة في نظر الأحمر ليست وليدة الطبيعة القاسية و لكن بسبب العوامل الخارجية عنها كالخرافة و الغيب.

تربط بين الآباء و الابناء علاقة دموية قوية، و حينما يواجه الابناء المتاعب تنعكس آثارها على والديهم قبل غيرهم من الناس، لقد كانت الأم خيرة من خلال المثل ((جرح الكبد لا يضر الا صاحبه)) (2) شديدة الاحتجاج على نفيسة و اعتبرت أساليبها في المعاملة انحرافا عن المألوف. فهي لا تعد ابنتها كائنا مستقلا بقدر ما هي في نظرها امتداد طبيعي لشخصيتها و لذلك تقف عاجزة عن فهم كل ما يصدر عنها من تمرد على القيم الموروثة ماعدا التبرير التقليدي الذي يتمثل في العقوق.

و كشف المثل ((الموت يعطي راحة))(3) الحياة الشاقة التي تفرضها ظروف الطبيعة في الدشرة. فالانسان الشعبي و الحيوان يعانيان من البحث المتواصل من أجل الحصول على القوت و لذلك يفترض الموت بديلا محتوما؛

و يدل المثل ((اذا شبعت الكرش تقول للرأس غني)) (4) على حالة الجماعة النفسية التي وجدت في الموسيقى الوسيلة التي منحتها القدرة على التعبير بالحركة و الحيوية عن حاجتها الى الفرار من رتابة البادية و ركودها بسبب قساوة الطبيعة و ظلم الاقطاع.

الصبر مبدأ أساسي يعتمد عليه سلوك الانسان الشعبي عندما يواجه أحداثا في حياته اليومية، و تتطلب منه تكيفا يساعده على الاستمرار ضمن جماعة معينة .

و ارتبط المثل ((أنس الهم ينساك)) (5) بحدث الرسالة التي أفصحت عن علاقة جنسية غير شرعية، ترتب عنها الحمل ثم طرحت الاجهاض وسيلة لحل هذه المشكلة، و اعتقد الشيخ علاوة ان الرسالة موجهة الى بنت أخيه نعيمة، و ارتبط موقفه من هذه المسألة بالشرف الذي شكل قيمة أخلاقية و اجتماعية جوهرية، و عملت نعيمة على الحفاظ عليها بسبب السمعة الطيبة التي

---

(1) ـ م، ن، ص : 144 .
(2) ـ ريح الجنوب، ص : 28 .
(3) ـ الجازية و الدرويش، ص : 199 .
(4) ـ ريح الجنوب، ص : 57 .
(5) ـ بان الصبح ، ص : 50 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمتعت بها عن طريق والدها المجاهد. و كان الصبر أهم وسيلة للبحث عن حل ناجع،وفي ظل هذا الوضع الخطير الذي طارد الشيخ علاوة في كل زمان و مكان، لم يستبعد فيه الجريمة و السجن و الفضيحة.

التعقل في ممارسة الحياة دلالة أخري عالجها المثل الشعبي ((اللي خاف سلم)) (1) و هو عبارة عن ((نصيحة الأب أو الأم الحنون يوصيان بذلك أولادهما بالحذر و التريث حتى يتفادوا الأخطار و الكوارث)). (2)

و كشف هذا المثل طبيعة العلاقة بين ابن الصخري و السكان في ظل الوضع الاقطاعي السائد في الريف، حيث يسيطر ابن الصخري على الثروة و السلطة، و يلجأ غالبا الى استعمال العنف من أجل حماية امتيازاته. و قد أدى هذا السلوك الى تكريس الصمت و الخوف بين أفراد القرية الذين شعروا بالظلم و الاستغلال، و لكنهم عجزوا عن تشكيل فعل ثوري يمكنهم من الانتقال الى حياة أفضل.

كما تناول المثل الشعبي ((لا تمشي الأرجل الا حيث يحب القلب)) (3) العلاقات الانسانية بين البشر في الريف، و تساهم القيم في توجيهها، اذ يقوم بعضها على ارضاء المصالح المحدودة، و يرتبط بعضها الآخر بالخير. و قد دل هذا المثل في الرواية على شخصية العجوز رحمة التي تميزت بالعطف و التطلع الى العمل الصالح كتقديم النصائح و الارشادات للناس و منهم عائلة ابن القاضي.

و يدل المثل ((تعلم حرفة و اخفيها)) (4) على أن الحرفة اليدوية تقوم بدور هام في الحفاظ على بقاء الانسان و حمايته من الحاجة في الحياة.

و قد ظلت العجوز رحمة محتفظة بجدها للعمل اليدوي و احترامها له لأنها استمدت منه أصالتها و عفويتها وواقعيتها.

---

(1) ـ نهاية الامس، ص : 208 .
(2) ـ قادة بو تارن، الامثال الشعبية الجزائرية، ترجمة عبد الرحمن حاج صالح (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1987) ص : 164.
(3) ـ ريح الجنوب ، ص : 31 .
(4) ـ م ، ن ،ص : 34 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل العجوز رحمة أرادت بهذا المثل الشعبي أن تلفت نظر نفسية الى ما تقع فيه من خطا حين تعد العمل اليدوي أمرا ثانويا، من خلال ثقافتها التي يغلب عليها الجانب النظري.

يبدو تعلق ابن القاضي بالعمل الفلاحي و تجربته فيه من خلال المثل الشعبي ((الكلام الطيب كالشجر الطيب)) (1) و قد كان احساس ابن القاضي بالموقف و صعوبة تجاوزه كبيرا في اللقاء الذي جمع بينه و بين مالك رئيس البلدية في البيت. و من هنا استعان بهذا المثل للدلالة على التأثير الذي يمكن ان يمارسه الكلام الذي يدعو الى الخير على تغيير الظرف و تطويره، الى حالة أفضل.

التفاؤل نظرة سعى من أجلها الانسان منذ العهد القديم و اعتبر الزمن عاملا مساعدا على تحقيقها.

و يدل المثل ((فطور الصباح ربح)) (2) على أن الشخص يتفاءل بالخير في الصباح لأن في التبكير حظ الحصول على الرزق.

و عبر المؤلف من خلال هذا المثل الشعبي عن تفاءل عائلة نصيرة و تشاؤم دليلة التي رفضت تناول الفطور رغم الالحاح الشديد عليها.

اكرام الضيف و العناية به قيمتان تضمنهما المثل الشعبي ((يد الزائر في يد المزار)) (3) و يتمثل معناه في أن ((الضيف يترك أمره لمضيفه يخدمه و يستجيب لطلباته لأن المزيد من العناية بالضيف ناتج عن المزيد من الكرم)) (4) و يكشف هذا المثل خضوع البشير لصاحب الدار المتميز بالكرم الذي تفرضه حياته القائمة على الانتاج الفلاحي البسيط و تؤكد على أن الرزق مكفول من عند الخالق.

---

(1) ـ م ، ن ، ص : 62 .
(2) ـ بان الصبح ، ص : 194 .
(3) ـ نهاية الامس ، ص : 27 .
(4) ـ بو تارن ، ص : 113 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمثال ذات الجملتين :

الصنف الثاني من الامثال الشعبية التي وردت في الروايات ((تتكون من جملتين متكاملتين ترتبطان بموضوع واحد. و الجملة الاولى عبارة عن رأي مطروح أما الثانية فانها تحمل الجواب أو تستكمل هذا الرأي، و لكي تتكامل الجملتان لابد من وجود قرينة تربط بينهما، و هي تظهر في الجملة الثانية)). (1)

ارتبطت بعض الامثال التي تتألف من جملتين بالايمان بالقضاء و القدر الذي دل على التدين الراسخ عند الجماعة الشعبية.

و كشف المثل ((نكلو في القوت و نستنو الموت)).(2) نظرة العجوز رحمة التي تعتبر الحياة دار المتاعب و البلايا و كأن الموت وسيلة للخلاص منها.

و عبر كذلك المثل الشعبي ((الى في عمرو مدة ما تقتلو شدة)). (3) على أن الانسان الذي ((كتب له أن يعيش مدة طويلة لا تقتله نوبة مرض أو أزمة طارئة. و بمعنى آخر أن المشاكل و الصعوبات العارضة التي نواجهها لا توقف عجلة الزمن عن الدوران)).(4)

و يكشف هذا المثل الشعبي الشعور باليأس الذي دفع العجوز ربيحة الى التعلل بالقضاء و القدر بسبب حالة البؤس التي منعتها من انقاذ فريدة من الموت.

كما يدل المثل ((كلمة عليها ملك و أخرى شيطان)). (5) على أن الانسان الشعبي يعتقد أن الكلام البشري معرض للخطأ و الصواب، الا أنه يبرر ذلك بتدخل قوى الغيب، و قد نسب سكان الدشرة موت الشامبيط الى قوى الشر التي جاء أمرها من خلال الدرويش.

---

(1) ـ شعلان، ص : 117.
(2) ـ ريح الجنوب، ص : 16، 17.
(3) ـ نهاية الامس، ص : 165.
(4) ـ بو تارن، ص : 12.
(5) ـ الجازية و الدراويش، ص : 204.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يستعمل الوالدان عادة المثل الشعبي ((من لا يحدثه قلبه لا يفيد تذكيره)). (1) لتقويم سلوك الأبناء. ان كل أمر مفروض على الانسان خارج ارادته يؤدي بالضرورة الى نتيجة سلبية. و يكشف هذا المثل الشعبي اخفاق كافة الأساليب التي استعملتها الأم خيرة لاقناع نفيسة لاعدول عن موقفها و الحد من تمردها.

و لعل الاعتدال في ممارسة السلطة هو المعنى الذي ورد في المثل ((لاتكن حلوا فتبلع و لا مرا فتدفع)). (2)

ان الافراط في اللين و السهولة حينا، و الغلو في التصلب و القوة حينا آخر، أسلوبان أديا الى توتر العلاقة بين الأم خيرة و ابنتها نفيسة، و جعلا التفاهم بينهما غير ممكن أبدا.

وبقدر ما يدل المثل الشعبي ((كلمة لا ذكر و كلمة نعم أنثى)). (3) على الانسان القوي الذي يعبر على مواقفه. الاحتجاج على ظروفه السيئة، يكشف كذلك هذا المثل مفهوما اجتماعيا قائما على احتقار المرأة و النظر اليها على أنها مخلوق ضعيف الارادة. مع أن ((الذكورة و الانوثة بنيتان للسلوك جرت صياغتهما بالنسبة الى كل جنس في داخل المجتمع)). (4)

و يبرز المثل الشعبي ((الدنيا بالوجو و الآخرة بالفعايل)). (5) الظلم الاجتماعي الذي اسفرت عنه زيادة الفوارق بين الناس القائمة على العلاقات العائلية و العشائرية بسبب عدم توافر الشروط الاجتماعية و الاقتصادية. بينما ارتبط العقاب و الثواب في الدين الاسلامي بالعمل الصالح.

وقد عانت العجوز ربيحة من وضع صعب و لم يقاسم الناس همومها لأنهم عدوها أما لحركي، و هي تواجه هذا النكران بالصبر و القناعة و تستمد من الدين عزاء لها في الحياة.

---

(1) ـ ريح الجنوب، ص : 28.
(2) ـ م، ن، ص : 28.
(3) ـ نهاية الامس، ص : 17.
(4) ـ يتو فجم، النرجسة في أدب نزار قباني، (بيروت : دار الرائد العربي، 1983) ص : 198.
(5) ـ نهاية الأمس، ص : 200.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللامبالاة بين المسائل التي عالجها المثل ((انساه ليلة ينساك عام)) (1) فالانسان الذي لا يهتم بأمر معين يؤول بالضرورة الى النسيان أو الزوال.

و يطرح هذا المثل طبيعة التعامل مع القرآن الكريم في نطاق الصراع القائم بين الامام و البشير.

نظر الامام الى البشير و تحادث معه من موقع الدفاع عن القرآن الكريم و حمايته من خطر الزوال من الذاكرة الشعبية، فقد اعتبر انقطاع البشير عن قراءة القرآن تفريطا فيه و تهميشا له في حياته.

و يعتقد الامام ان القرآن خطاب سماوي يصان بالتلاوة و الحفظ. ان هذا التصور للدين ضيق و مجرد من بعده الحركي يرسخ نوعا من المعرفة التقليدية انتجتها فترة طويلة من التخلف على حين يدعو البشير الى التغيير الجذري بواسطة الثقافة العلمية التي توفر امكانية فهم الريف الجزائري و تناقضاته من أجل ارتقائه الى مستوى المدينة الحديثة.

و يؤكد المثل ((ما يدري بالمزود، غير اللي ضرب به و الا نضرب به)). (2) طبيعة الاقتصاد الزراعي، ذلك أن المزود يعبر عن جماعة أسست وجودها على النشاط الفلاحي و هي ((تتخذ من جلود الضأن بأن تدبغ ثم تخاط و تملأ بالحبوب أو بدقيقها. و كانت توضع لها أهداب و تزينها السيدات برسوم من الحناء الحمراء اللون، و كانت تعلق في أوتاد مضروبة طولا و عرضا في جدران الغرفة التي كانت تتخذ للنوم)). (3)

ويكشف هذا المثل الشعبي في الرواية التناقض الصارخ بين ما يعيشه الكادحون من شقاء و بؤس و ما يعانون من متاعب من أجل التغلب على أوضاعهم السيئة،و عالم الاقطاع و أساليبه في الظلم و الاستغلال في الريف. و فيما عدا هذه الحقائق التي يجهلها كثير من الناس لأنهم ينخدعون بمظاهر الأشياء، لا تبدو من شخصية العجوز رحمة التي تشعر أكثر من غيرها بالظروف التي تمر عليها، سوى قوة صبرها على تحمل أعباء الحياة.

---

(1) ـ نهاية الامس، ص : 27.

(2) ـ ريح الجنوب، ص : 16.

(3) ، عبد الملك مرتاض، الامثال الشعبية الجزائرية (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1982) ص : 178.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و كان موقف نفيسة من العجوز رحمة خاليا من الواقعية، لانها لم تكن قادرة على التمييز في هذه الشخصية بين مظهرها الخارجي و حالتها الاكثر قساوة.

يرمي المثل الشعبي ((أضرب امرأتك دائما فان لم تكن تعرف لماذا فهي تعرف))(1) الى التنديد بشخصية المرأة و سلوكها، و حث الرجل على استعمال العقاب الجسدي دون الاهتمام بأسبابه و مبرراته.

و في ظل هذه المعاملة القاسية للطبيعة الانثوية استعرضت نفيسة أفكارها من خلال التدخل المباشر للمؤلف، حول العلاقة بين الرجل و المرأة التي قامت على العداء و الازدراء و الهيمنة في البيئة الشعبية. ان علاقتها بوالدها أكثر تعقيدا. فقد صارت جزءا من ممتلكاته يريد من خلاله التقرب من مالك و الحصول على تأييده.

ان مكانة الأبناء عند الآباء و الاعتزاز بهم معنى آخر تناوله المثل الشعبي((الولد الصالح مثل الارض الصالحة. ان لم تربحك الربح الكثير فلن تخسر لك)) (2) و يشير الى أن الأرض و الولد الصالح قيمتان أساسيتان ارتبط بهما الانسان الشعبي في الريف. كما يبرز هذا المثل المرتبة المثالية التي تحتلها الأرض في الريف اذ أن حياة الانسان و موته مرتبطان بها، و قد جعلت هذه العلاقة القوية القائمة بينهما الارض ترتقى الى مستوى المبدأ.

و يعد المعلم الطاهر الولد الصالح الذي يحظى بالاحترام و التقدير من عائلته و الناس الذين يعيش معهم، و مع ذلك يعد شخصية سلبية لأنها تعتقد أن الثقافة أداة للتغيير معزولة عن النشاط الاجتماعي و الاقتصادي في الريف.

اذن ارتبطت معظم الامثال الشعبية بالبيئة العائلية و ظروفها الطبيعية و الاجتماعية و الاقتصادية التي تنتمي اليها الشخصيات و تتفاعل معها على اختلاف أصولها و مستوياتها الفكرية. و اعتمدت الأمثال في موضوعاتها على النشاط الزراعي و العمل اليدوي و القيم الموروثة من الأجيال. و قد نتمكن من التعرف من خلالها على شخصية الانسان الشعبي

(1) - ريح الجنوب، ص : 203 .
(2) - م، ن، : ص : 73 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخصائصها كالنزعة الى المحافظة على وحدة الجماعة و تماسكها، و الواقعية و العضوية و البساطة و الأصالة. و يدعم النظام الاجتماعي هذه المكونات و يعدها أساس التوازن و الاستقرار. و تميزت الامثال في أساليبها بجوانب أدبية و جمالية بسيطة. كما قامت على مجموعة من الاشكال اللغوية كالحوار و السرد و المونولوغ مما كان لها أثر كبير في الكشف عن خواص الشخصيات الشعبية في الروايات.

الشعر الشعبي :

يعود ظهور الشعر الشعبي الى تأثيرات ثقافية و سياسية للفتح العربي الاسلامي، و لا سيما الزحف الهلالي الذي ارتبط به انتشار اللهجات العربية المختلفة، الى جانب التغيرات التي أحدثتها الهجرة الاندلسية في الثقافة الجزائرية كالموشحات، رغم أن المغرب العربي عرف قبل هذه الفترات التاريخية الحاسمة كثيرا من عناصر التراث الشعبي.

ان الشعر الشعبي وليد الجماعة الشعبية التي يعبر عن أفكارها و مواقفها و مصالحها و أهدافها ((و اذا كانت الحضارة المتميزة بالكتابة ترجع عند تقويم شخصياتها و مؤلفاتها الى الآثار الكلاسيكية فان الثقافة التقليدية تستمد بكل رضاء مبادءها من أدب شفوي مجهول....)). (1)

و يشمل الشعر الشعبي أغراضا كثيرة تتناول ظروف الانسان الشعبي في بيئته، منها ما هو ديني يرتبط بالشعور الصوفي، و مدح الرسول، و أهل بيته، و صحابته و الأولياء و شيوخ الزوايا، مع تضمين آيات من القرآن، و الأحاديث، الى جانب ((الخرافات التي تشيع في هذا الشعر و قد شجع على ذيوعها و انتشارها شيوخ الزوايا و اتباعهم، فنجد بعض الشعراء يبالغون في مدح هؤلاء الشيوخ فيطلقون عليهم الصفات الالهية)). (2) و كذلك منها ما هو ثوري يسجل الأحداث، و التحولات الكبرى في التاريخ. فالشعر الشعبي((كان أول من تحدث عن سقوط العاصمة الجزائرية في يد الاحتلال سنة 1830)). (3) يمجد الانتفاضات و المقاومات الشعبية، يتناول مجموعة من القيم الوطنية كالرجولة و الشجاعة و الحماس و التضحية و الاستشهاد و ذم الهزيمة.

---

(1) - NACIB, Page: 73 .

(2) - محمد الامين، ص : 29 .

(3) - م، ن، ص : 32 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و هناك الشعر الشعبي العاطفي الذي يتحدث عن المرأة، بصفاتها، و أشيائها، و يعتبر الشيخ السماتي من الشعراء المشهورين في الوصف الحسي و المغامرة مع العشيقة.

وارتبط الشعر الشعبي بوضع البادية و الريف. و بما أن ((الشاعر نفسه عضو في مجتمع، منغمس في وضع اجتماعي معين، و يتلقى نوعا من الاعتراف الاجتماعي و المكافأة. كما أنه يخاطب جمهورا مهما كان افتراضيا)) . (1) ، يتنقل الشاعر الشعبي في الأسواق و المدن، للتعبير عن انشغالات الجماعة. فهو ليس كائنا متميزا عنها بقدر ما يحتفظ بوجوده فيها و ذلك لأنه يعكس عن طريق لغة هذه الجماعة ظروفها الاجتماعية و الاقتصادية (2) . و يتمثل هذا الحرص في التمسك بالاصول و ارتباط العلاقات العائلية و ابراز الفوارق بين الفقراء و الاغنياء، الى جانب قيم أخرى كالاعتزاز بالكرامة و الدفاع عن الشرف و الصبر في الملمات، و التضامن و الاتحاد و التفاني في العمل.

و عندما يعالج الشاعر الشعبي القضايا الفردية و الاجتماعية، فانه يتجرد من التفسير أو التحليل النظري، ذلك لأنه في الاغلب يجهل القراءة و الكتابة، أو ان تعلمه محدود جدا، لا يسمح بالرؤية الشاملة للمجتمع. فهو يعتمد موضوعات ترتبط مباشرة بعواطف الناس البسطاء الذين يتعامل معهم في محيطه الذي لم تدخله الحضارة الحديثة.

و من خصائص الشعر الشعبي، أنه يعتمد على الغناء الذي يصحب بالعزف و الضرب على الآلات الموسيقية، يؤديه الشاعر نفسه بالتعاون أحيانا مع الجماعة، مراعاة له خاصة في الاوزان و القوافي، و ما يدل على ذلك أنه يطلق عادة اسم الغناء على نظم القصيدة و ينعت الشاعر بالغناي. (3) و من ثم يمكن القول أن العلاقة المتبادلة بينهما جدلية لأن((الشعراء المحترفين أنفسهم، مغنون في الغالب، يرتجلون قصائد نجد لها صدى عميقا عند المستمعين، مع أنهم أميون في أكثر الاحيان. و السبب في ذلك لا يعود الى الترتيب الموسيقي للكلمات فقط بل لأن الشاعر الشعبي يحسن التعبير خاصة و بوجه رائع عن هموم الشعب الذي يعد جزءا كاملا منه)).(4)

و يختلف الشعر الشعبي عن الرسمي بعدم مراعاة القواعد النحوية و الصرفية كاهمال التنوين في أواخر الكلمات تسهيلا لأداء النطق السليم.

---

(1)ـ رينيه ويليك، اوستن وارين، نظرية الادب،ترجمة محي الدين صبحي(بيروت : المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط 2،1981) ص : 97.

(2) ـ NACIB, Page: 58.

(3) ـ محمد الأمين ، ص : 35.

(4) ـ NACIB , Page: 58.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظف المؤلف في رواياته مجموعة من الابيات الشعرية على لسان الشخصيات التي استمدت منها انتماءها الى البيئة المحلية .

و من هذه الابيات ما كان قائلها معروفا، و منها ما هو مجهول، كما تميزت بلغة سهلة ، تحتوي على بعض الكلمات العامية و لكنها حائزة على شروط الفصاحة .

ماذا تدّي يا تراب من الزينين
يادراق وجوه الأحباب خسارة (1)
الموت ـ وت لا تتموشي حبيبين
لازم ذيك الدار راهي تفنيها (2)

و يعبر هذان البيتان من الشعر الشعبي عن تأثر الانسان بحقيقة الموت التي تطارده في كل مكان و زمان، لما تثيره فيه من احساس بالقلق و الحيرة و الحسرة و الأسف . فقد توارى في التراب، أفضل الخلق ممن ارتبط بهم الانسان من أحباب في الحياة التي لابد أن تتوقف مهما طالت .

و تؤكد هذه الحسرة و الحزن العميق على عياب العجوز رحمة الى الأبد، و هي تحمل تجربة انسانية ثورية و فنية ذات قيمة كبيرة جدا .

ساق بن هداقة بيتين من الشعر الشعبي للشيخ عبد الرحمن المجدوب، تعبيرا عن علاقة الرجل بالمرأة .

سوق النسا سوق غرار
يا داخلو ردّ بالك
يورولك من الربح قنطار
و يخسروك في رأس مالك (3)

أراد المؤلف بهذين البيتين، الدلالة على أن العالم الذي تعيش فيه النساء متميزا بالمكر و الخداع و الخيانة ، و لذلك يتطلب من الرجل أن يأخذ جميع احتياطاته ، لأنهن يظهرن درجة عالية من المزايا التي توحي بالخير الوافر، غير أنهن في الحقيقة شريرات يحرصن على مصالحهن الضيقة .

---

(1)- ريح الجنوب، ص : 164 .
(2) - م ، ن، ص : 165 .
(3) - م ، ن ، ص : 203 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و تعبـوهـذه الافكـار عـن وضـع اجتماعـي و اقتصـادي اقطـاعـي مـارس علـى المـرأة أنـواعـا مـن القهـر و التهميش و الاستـلاب.

كمـا يبـدو مـن خـلال حيـاة عبـد الرحمن المجـدوب ((أن المـرأة التـي تشـوب حديثـه عـن المرأة تـؤكـد أنـه كـان يعانـي من سـوء معاملـة زوجتـه، وأن مـا كان يسجلـه فـي هـذه الرباعيـات انمـا يعبـر عـن ظـروفـه الأسـرية الخاصـة)). (1)

انـدرج هـذان البتـان من الشعـر الشعبـي في نطـاق الحـديث الـروائـي عـن الوضـع الاجتماعـي الـذي عكـس صـراعا نفسيـا عانتـه نفيسـة بيـن المثـال و مـا تضمنـه مـن طموحـات وأحـلام و تطلـع الـى المستقبـل، و بيـن الواقـع الصعـب فـي البادية و مـا طغـى عليهـا مـن تصـورات و مفاهيـم سلبيـة، و استحضـرت نفيسـة مجموعـة مـن تصرفـات الـرجـال و أقـوالهـم التـي رسخـت فـي أذهانهـم، و حـددوا بهـا غالبـا نمـوذجـا مشـوهـا عـن المـرأة قائمـا علـى كراهيتهـا و احتقارهـا. و قـد أدانـت بشـدة هـذه العقليـة الموروثـة و لكنهـا شعـرت بالعجـز عـن مقـاومتهـا و تقـرير مصيـرهـا بنفسهـا.

---

(1) ـ شعـر، ن، ص : 106.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ارتبطت بعض الأبيات من الشعر الشعبي في الرواية بالموقف الرومانسي الذي يتمثل في عودة شخصية البشير الى الطبيعة.

يا شمعة ربي بلاك بضي الليل
و أناي ربي بلاني بقعادك(1)

تشكلت العلاقة في هذا البيت من الشعر الشعبي بين الشمعة التي انحصر نشاطها الطبيعي في الاحتراق من أجل الانارة الى نهايتها، و البشير الذي يتحمل عناء القعود معها بسبب الهموم و المشاكل التي يعانيها في العمل في سبيل التحرر من قيود الطبيعة و الاقطاع.

اتمسات الشمس وأضياق المغرب
و طاح الليل على أمحاني و أضراري (2)

ان اقتران هذا البيت من الشعر الشعبي بعناصر الطبيعة في فتراتها الزمنية المظلمة كالغروب و الليل، يعبر عن استغراق رؤية البشير لواقعه في الخيال و الاحساس بانعزاله عن الناس الذين يعيشون معه في القرية.

الدخان المر ما يبري من ضر
نبات نشعل فيه لا ما و سالي(3)

التدخين وسيلة نفعية يستخدمها الانسان للتخفيف من التوتر النفسي و الذهني و خاصة في الظروف الصعبة.

و قد أراد البشير أن يستغل التدخين للهروب من الآمه و متاعبه و تصوراته و لكنه لم يجلب له سوى الشعور بمرارة الخيبة.

---

(1) ـ نهاية الامس، ص : 140 .
(2) ـ م، ن، ص : 140 .
(3) ـ م ، ن ، ص : 39 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ارتبط موقف البشير من خلال هذه الأبيات المتفرقة باسترجاع الماضي البعيد بكل ما يحمل من ذكريات أحداث الحرب الوطنية، غير أن ((التذكار و الحنين الى الماضي و البحث عن اللحظات المفقودة التي أ كلتها أزمنة الحرب لا تشكل أدوات فنية تضيف شيئا الى أطروحات الرواية بقدر ما تشكل الوجه العاجز عند الكاتب الذي يهرب من واقع الى واقع بدون مبررات تجعل من هذا الهروب ضرورة)). (1)

ثم ان هذه الأبيات من الشعر الشعبي لا تخدم الجانب الدرامي في الرواية و السبب في ذلك ((هو اللاانسجام بين الحديث و الحالة النفسية أي أن اللحظة التي يقال فيها الشعر، ليست اللحظة المناسبة أبدا)). (2) ، فالبشير يعيش مواقف حساسة و أوقاتا حاسمة لا تسمح بالتمتع بالأشعار الشعبية و لذلك ظهرت هذه الابيات في الرواية مكدسة، استفاد منها الكاتب دون أن يحولها الى لمسة فنية .

---

(1) ـ الاعرج ، ص : 257 .
(2) ـ م، ن، ص : 259 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاسطـــــورة :

يعتبـر فهـم ظـواهـر الطبيعـة الغايـــــــة التـــي سعـى الانسـان دائمـا اليهـا، غيـــر أن معرفتـه البسيطـة التـــي اكتسبهـــا عـن طـريق الخبـرة المباشرة لم تقدم لـه تفسيـرات كافية و مـن ثـم لجـأ الـى الأسطـورة .

اختلـف العلمـاء فـي تعريـف الأسـطورة، فقـد نظـر كـل واحـد منهـم اليهـا مـن جانب معيـن. فهـي ((تحـوم علـى حقـل هـام مـن المعانـي، يشتـرك فيـه الديانـة و الفولكلـور و علـم الانسـان و علـم الاجتمـاع و التحليـل النفسـي و الفنون الجميلـة))،(1) ، و لذلـك تبـدو الاسطـورة تركيبـا معقـدا يشمـل المعنـى اللغـوي الـذي يؤكـد علـــى أنهـا نـوع مـن اللغـة ذات الطابـع الشعـري يتمتـع بنظـام خـــاص استعملهـا الانسـان فـي العهـد البـدائـي)) ، (2) ثـم معنـــى الطقـوس و السحـر و يتمثـل فـي ((المحاولات التـي يقـوم بهـا كثيـــر مـن النـاس فـي مختلـف العصـور لالحـاق الأذى أو الـدمـار بأعـدائهـم عـن طـريق ايـذاء أو تدميـر صورهـم)) ، (3) و هنـاك مـن رأى مـن الجانب الخلـقـي أنهـا ((مجـرد تعبيرات... تهدف الى نصائح و ارشادات)) ، (4)

و اذا كانـت الاسطـورة تقـدم نوعـا مـن التفسيـــر للطبيعـة، و أنهـا محاولـة للوصـول الـى المعرفـة نتيجـة حاجـات اجتماعيـة و اقتصاديـة و فكريـة و نفسيـة، فانهـا مـع ذلك تبـدو محـدودة جـــدا فـي هـذا المجـال عنـدمـا ظهـرت المعرفـة العلميـة التي اعتمـدت علـــى العقـل لتحريـر الانســان مـن الوهـم . (5)

و لعـل أهـم أهـداف التوظيـف للاسطورة يتمثـــل فـي اعادة تفسيـر العالم الـذي يعتقـد أنـه فقـد التـوازن بيـن مجمـوعـة مـن الوحـدات المتناقضـة كالواقـع و المثـال و العقـل و الشعور و المـادة و الـروح، فيحـاول بذلك أن يستفيـد مـن الاسطـورة لخلق النموذج المـراد.

---

(1) ـ ويليك ـ وارين، ص : 198 .

(2) ـ عبد الرضا علـي، الاسطورة في شعر السياب،(بيروت : دار الرائـد العربي، ط 2، 1984) ص : 14 .

(3) ـ حمـادي ، ص : 18 .

(4) ـ م، ن، ص : 17 .

(5) ـ نائلة الفاروقي، العلم و الاسطورة، مجلة الفكر العربي المعاصر،(بيروت مركز الانماء القومي، العدد 13، 1981) ص : 72، 73، 74 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لابد من القول في البداية أن بن هدوقة لم يكن الأول الذي استخدم الاسطورة في الرواية الجزائرية العربية .

غير أن الجديد يتمثل في أسلوب التناول و اختيار الرموز التي أعطت تجربته الأدبية بعدا انسانيا عميقا .

تظهر شخصية الجازية في الرواية ببعدين اساسيين، أحدهما خيالي من خلال السيرة التاريخية، إذ أنها ((تفوق ما شاع من خرافات حول الجازية الهلالية)) (1) و الآخر واقعي من خلال اسمها الذي أعطى للتراث الشعبي في الرواية . (2)

فاذا اعتبرنا اسم الجازية من الناحية الصوتية فان حروفه تكاد تكون اسم الجزائر، و من هنا تتحول كلمة الجازية من مجرد التسمية الى فكرة محددة .

أعطى المؤلف شخصية الجازية بعدا خارقا للعادة عكس في الرواية جانبها الاسطوري. ((ثم تخرج الجازية فجأة من الطفولة لتصبح الاسطورة ـ الحلم .)). (3)

و اذا حاولنا الموازنة بين الجازية الهلالية من حيث مصدرها التاريخي و الجازية الاسطورية في الرواية وجدنا بينهما مظاهر الاتفاق و الاختلاف معا .

1 ـ مظاهر الاتفاق :

الجمال المطلق :

تتمثل مظاهر الاتفاق في مدلول الانوثة التي ارتبطت بالجمال المثالي الخارق للطبيعة . فهو مجموعة من الصفات التي تعبر عن مظهر الجازية العام . انه في الرواية ((الجمال الاسطوري الذي يتحدث عنه العام و الخاص إجمال الجازية)) .(4) ان ((الجازية جميلة ما في ذلك شك. ليس لأحد مهما كان أن يستطيع التنقيص منه . انه جمال الاهي يفوق كل المستويات البشرية))،(5) كما أنها ((هي الجمال تجلى في أبدع مكنوناته)) . (6)

---

(1) ـ الجازية و الدراويش، ص : 25 .
(2) ـ لقاء مع المؤلف عبد الحميد بن هدوقة يوم الاثنين 1990/02/19 .
(3) ـ الجازية و الدراويش ، ص : 24 .
(4) ـ م ، ن ، ص : 24
(5) ـ م، ن، ص : 156 .
(6) ـ م، ن، ص 76 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو ((ان جمالها مخيف إذا ابتسمت يهتز الوجدان اليها . اذا تكلمت تنفتح النفس كلية لاحتضان كل ذبذبات صوتها)) (1) و أن ((الجازية فتاة ليس لجمالها مثيل)).(2) و هو الجمال نفسه عند الجازية الهلالية ((و تكبر الجازية و تصبح الهلالية المشهورة و تتميز بجمالها من بين البدويات و الحضريات)) . (3).

الميلاد :

يتميز ميلاد الجازية في الرواية بالغرابة ، حيث تنسب الى أم مجهولة ، ماتت اثناء وضع الحمل مباشرة ان ((أمها امرأة صالحة ، لكن الله كتب عليها الموت اثناء الوضع و الولادة استشهاد أيضا))(4) و كذلك بالنسبة للجازية الهلالية ((يقال ان أمها (أم الجازية) غير دنيوية لا تنتسب الى الجنس البشري)) . (5)

الحكمة :

قامت الجازية الهلالية بدور حاسم في ظروف الحرب من أجل انتصار قبيلتها على الأعداء، حيث ((قالت ما بالكم ساكتين،، قالوا أنت صاحبة رأي حسن و نحن دائما نستشيرك في المسائل المهمة)) (6) و كذلك عندما عدت نفسها ذات خبرة و تجربة و علم بخبايا الأحداث اذ ((صاحت بهم الجازية ، أما تخافون على نسائكم و مواشيكم ألم تعتبروا بما جرى عليكم من الحروب فيما مضى)).(7)

و ظهرت الجازية الاسطورة في الرواية أيضا على أنها امرأة تحسن الاختيار في أمر الزواج بين الحب الحقيقي و أغراض الأعداء القائمة على الخداع و الغموض و المنفعة المحدودة ((أقبل زوجا ابن عمي الاخضر الجبايلي لكن أخشى عليه من دسائس الآخرين. كلهم يريدونني لغاية ، لا تتلاقى مع الحب الذي أبحث عنه لدى الزوج. هم تجار و سماسرة ، أكثر منهم خطابا !)).(8)

---

(1) ـ م ، ن، ص : 76 .
(2) ـ م ، ن، ص : 75 .
(3) ـ OUHADI, Page: 67.
(4) ـ الجازية و الدراويش، ص : 73 .
(5) ـ OUHADI, Page: 64 .
(6) ـ بنو هلال، سيرة بني هلال (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1988) ص : 210 211 .
(7) ـ م ، ن، ص : 176 .
(8) ـ الجازية و الدراويش ، ص : 76 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و كذلك عندما نصحت الطيب بالعدول عن رغبته في الزواج منها لسبب التباين و الاختلاف اللذين يفصلان بينهما ((و أنه لما تقابل معها افهمته أنه لم يخلق لها و لم تخلق له ...)). (1) كما تلمس هذه الحكمة عندها لما عدت أن وجود الدشرة ليس قائما على مخلفات الماضي كالأولياء و الدراويش بقدر ما هو مرتبط بالحاضر الذي قام فيه الشباب بدور أساسي من أجل بناء المستقبل ان ((الجازية اثبتهت للمتطوعين ان الدشرة ليست فقط الاولياء و الدراويش و الماضي. هي بالدرجة الاولى الشباب الذي يسبغ على الحياة لونها المشرق)).(2)

مظاهر الاختلاف :

ان حضور الجازية في الرواية حاسم باعتبارها امرأة غير قابلة للتأثير أو المقاومة ((قالت ان خطابها تحيق بهم الكوارث قبل ان يتربع حلم الزواج في رؤوسهم)).(3)

الجازية امرأة قاصرة في الشرع و القانون :

جاءت قارئة اليد الى الجازية و قالت لها أنها امرأة محكوم عليها بالقصور شرعا و قانونا فقد ((جاءت الى البيت، و أنا صغيرة ، امرأة غريبة الاطوار، تقرأ اليد، أنبأتني انني أكل عشبة ، تنبت في جبلنا لا يعرفها أحد، تبقيني صغيرة حتى اليوم الذي اتزوج فيه زواجا حلالا، وأن أزواجي الأولين لن يكونوا شرعيين، سيكونون أزواجا حراما . و ان كل واحد منهم يلاقي حتفه عندما يظن أن الحياة استوت له .... ثم يمر زمان لا شمس فيه ، يشبه الليل و ليس ليلا أعيش أزماته واحدة، واحدة ثم أتزوج بعدما يموت كل أبنائي المولودين من زيجاتي الحرام ...)).(4)

و قد حكم على الجازية بالفشل في زواجها الشرعي بسبب عدم بلوغها سن الرشد.

و قد أشار الكاتب من خلال هذه الرموز في الاسطورة ، مسألتين أساسيتين، احداهما تتمثل في موقف القادة السياسيين الذين يصدرون الحكم على الشعب بأنه لم يبلغ درجة كبيرة من النضج الفكري الذي يتطلبه بناء الدولة في الوطن و الاخرى تتعلق بغياب السلطة المستمدة من ارادة الشعب باعتبارها من الشروط القانونية لاسترجاع موقع سيادته وقيام الاستقرار الاجتماعي و السياسي.

(1) ـ م،ن، ص : 96 .
(2) ـ م،ن، ص : 124 .
(3) ـ م،ن، ص : 152
(4) ـ م،ن، ص : 76 ، 77 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجـازيـــة بنـــت شهيـــد :

جـدّر المؤلـف الجـازية الاسطـورية فـي الواقـع الجـزائـري عنـدمـا جعلهـا بنت شهيـد، مـرتبطـة بالتاريـخ الشـوري مـن خـلال والدهـا الـذي ((قتل بألف بندقـيـة))،(1) و قـد استخـدم بـن هـدوقـة هذا العدد الضخم من البنادق لتشكيل بعد اسطـوري للوالـد الشهيد إذ، ((عنـدمـا قتـل، حـرم الاعـداء دفنـه علـى النـاس، فـأكلتـه الطيـور! لـم يـبـرق النـاس أن يقـولـوا عـن أعظـم رجـل أنـه أكلتـه الطيـور ... قالـوا : دفـن فـي حناجـر الطيـور))،(2)

الحـريـــة :

الحـريـة مبـدأ أسـاسـي، ارتبطـت بـه الجـازيـــة الاسطـوريـة فـي الروايـة، انهـا ((خيمـة حائمـة فـوق رأس جبـل، مـن يستطيـع قبضهـا؟))،(3)

الأرض :

و عـدّت الجـازيـة كـذلـك رمـزا لـلأرض فتـأسست علاقـة الجماعـة بهـا علـى التفانـي فـي العمـل و التضحيـة فـي سبيلهـا، و مشـاركة أفراحهـا و أحـزانهـا. ((نحـن حرثنـا و تعـذبنـا أيـام القـر و هـو جـاء ليحصـد الغلـة ! جـاء ليتزوج بالجـازية ! لا يخـاف أحـدا و لا يخشـى أحـدا لأنـه جـاء مـن طـرف الحكومـة ...))،و قـد استمـدت أصلهـا مـن احـدى الشخصيـات الوطنية التـي قـدمت أروع البطولات فـي تاريـخ الجـزائـر القـديـم ((ان جدتهـا الأولى الكاهنـة))،(5) كمـا شكلت المثل الأعلـى الـذي يتطلـب من النـاس التضحيـة بالنفـس مـن أجـل تحـرره مـن جميـع أنـواع قيـود العالـم الخارجـي. و لـذلك((يقتل في سبيلها الرجال))،(6

و هكـذا ارتبطـت الجـازيـة فـي الروايـة ببعض الملامـح التـي يمكـن ان تتفـق مـع الشخصيـة التاريخيـة المعروفـة فـي السيـرة الهلاليـة. غيـر أنـه يتبيـن لنـا مـن خـلال توظيفهـا الفنـي انهـا تحـولت الـى اسطورة. و يبـدو أن تحـويل هـذه الشخصيـة الـى رمـز عمليـة واعيـة استطـاع المؤلـف من خـلالهـا تقديـم الحـدث الاجتماعـي ضمن علاقـة بيـن الفـرد و الجماعـة قائمـة علـى بنـاء درامـي و تعبـر عـن دلالـة فكريـة ومعرفيـة قويـة.

---

(1) ـ الجـازيـة و الـدراويـش ، ص : 154 .
(2) ـ م،ن، ص : 154 ، 155 .
(3) ـ م،ن، ص : 172 .
(4) ـ م ، ن ، ص : 96 .
(5) ـ م، ن، ص : 64 .
(6) ـ م،ن، ص : 174 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاذكـــار :

أورد المؤلف مجموعة من النصوص الشعبية يعبر عنها عادة بالاذكار، ساقها على لسان الدراويش باعتبارها نبوءات صادرة عن قيم الطريقة الدينية.

النص الأول :

((ريح الشمال قتلت أولادنا بلا قتال إ يا ويل الويل و السروال الطويل، و غزالة هايمة في الليل إ جراد و حصاد، و سبع شداد ا ملاء الجبل ما يسيل الى أعلى، و بنات الدشرة بأولادها أولى إ يا ساكن قرية الصفصاف لا تخاف إ سبعة يغباو و سبعة ينباو إ أضرب آ الزرناجي اضرب إ جيبها من روس الجبال العالية، و اللي عنده صفصاف يغرس قدامه دالية)).(1)

ان العمال الجزائريين الذين هاجروا الى الشمال، قتلوا بطريقة غير طبيعية لأنهم يقومون بالأعمال الشاقة، و ان الفتاة ذات السروال الطويل المتطوعة من المدينة الى الدشرة متعرضة للموت لأنها هائمة في الليل. كما أن الحياة الفلاحية في الريف متميزة بسنوات الكوارث الطبيعية كالجراد و الجفاف و الجوع.

ان زواج بنات الريف بأولاده أولى من غيرهم الذين يعتبر زواجهن بهم أمرا بعيدا على غرار الماء الذي لا يستطيع أن يسيل الى أعلى الجبل.

ان الاحداث الخارجية لا يمكن أن تؤثر في ساكن الدشرة اذا تمسك بالاولياء السبعة الذين هم رمز القيم التي لا تتغير و ان عليه أن يزوج الصفصاف الطويل اذا كان في متناوله، بالدالية حتى تلد العنب و هو العمل الذي يعد بمثابة حث الأولاد على الزواج و يطلب من الزرناجي مزيدا من الطبل و العزف .

النص الثاني :

((ياويلي ،ياويلي إ السباع تخاف من الكلاب و الاعدا صاروا احباب إ يا ويلي، يا ويلي إ الابطال هربوا، و الانذال غلبوا إ يا ويلي، يا ويلي ا الساعة جات، و فرات إ الساعة جات و اللي ما عاش في الحياة ما يعيش في الممات)).(2)

---

(1) ـ م ، ن ، ص : 85.

(2) ـ م ، ن ، ص : 87، 88.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعيش المجتمع العربي الاسلامي وضعا اجتماعيا و سياسيا متدهورا يعمل على التخلي عن القيم الانسانية كالفعل الثوري و روح التضحية، و على تكريس مواقف الضعف و الخيانة و الهزيمة. الشي يسعى المتعاونون مع الاستعمار من أجل ترسيخها في ربوعه، و هي تعتبر بمثابة علامات قيام الساعة، يتطلب فوز الانسان فيها دورا ايجابيا في الحياة بالدرجة الاولى.

النص الثالث :

((قل لي، و الساعة كيفاش) - (أشراطها جاءت)- (وين هي ؟) - (الشمس) - (واش بها ؟) - هربت من الشرق خائفة) - (من آش خائفة ؟) - (خايفة من اللي اجتمعوا و فرقونا) - (ايه ،ايه حق) قل لي و اشراطها الاخرين ؟) - (السبعة يغبنوها الزايدين) (حق) و أشراطها الاخرين ؟) - (الدابة تخرج من تحت الصدوم، يرجو الناس في الشيء، اللي ما يبلغوهش و يتعبو في الشيء اللي ما ينالوهش. و يعملو في الشيء اللي ما يا كلوهش)) - (كيفاش عاملة هذا الدابة ؟) - (رأسها رأس ثورو عينيها عينين خنزير، و أذنها أذن فيل، و قرنها قرن ايل، و عنقها عنق نعامة، و صدرها صدر سبع، و لونها لون نمر، و خاصرتها خاصرة هر، و ذيلها ذيل كبش، و قوايمها قوايم بعير، بين كل مفصل و مفصل اثناش ذراع)))(1)

ان علامات قيام الساعة قد حانت. فالقادة السياسيون المجتمعون على مصالحهم هم الذين فرقوا الأبطال. و الخائنون و العملاء هم الذين يتعرضون بالسوء للقيم الوطنية، و في هذه الحالة يسعى الناس من أجل غايات لا يمكن أن تتحقق، و سيبذلون قصارى ارادتهم من أجل آمال غير قابلة للتنفيذ بسبب العراقيل و الاحباطات، و سيقدمون على أعمال لن يستفيدوا من نتائجها و ثمارها.

من علامات يوم القيامة في الفكر الغيبي ظهور دابة تتجمع فيها مجموعة من الاعضاء الجسدية، تتغلب على معظمها القوة و الشذوذ و الغرابة في الصورة .

---

(1) — م ، ن ، ص 88، 89 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النص الرابع :

((يا ويل الويل! زيد، و اشراطها الآخرين ؟))
- (' الدجال الاعور، اللي مكتوب بين عينيه كافر! وراه سعبين ألف من اليهود! كل واحد منهم في يدو سيف ذهب، و على راسو تاج من تيجان العرب!) - (يا ويل الويل! و اشراطها الاخرين ؟) - (اولاد قريش ما يبقى فيهم ريش! ') - (و من يرد علينا كل هذا الهموم ؟) - ((الله الحي القيوم! اضرب آ الزرناجي، اضرب)).((1

تعرض الكاتب الى بعض أرباب الشروة و السلطة من العرب الذين يغلب عليهم المظهر الديني المزيف و ما يمثل من التدجيل و التضليل،فهم يزعمون دائما الالتزام بالفعل الثوري عملا بالحديث النبوي الشريف ((لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي، يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله)).(2) بينما بقيت مواقفهم لا تتجاوز الشعار السياسي الذي يعد القصد منه تمويه الحقيقة و تكديس الأموال و الذهب، و يراقب اليهود أنفسهم نسبة كبيرة من هذه الشروة في الغرب(3)و من أهم نتائج هذه الحالة ان مصير أمة قريش سيؤول حتما الى الهلاك لأن الحل ليس في متناولهم و لذلك يصبح الله الملجأ الوحيد لهذه الهموم مادام الانسان غائبا في الصراع الاجتماعي و السياسي.

و هكذا تميزت هذه المجموعة من النصوص المعروفة بالاذكار التي جرت على ألسنة الدراويش بالعفوية و الشاعرية و تصوير للعواطف و اثارة للمشاعر و التنوع في الافكار و المواقف التي تتطلبها حاجات الجماعة الشعبية . كما تقيدت هذه النصوص بالزخرفة اللفظية التي جعلت بعض ألفاظها خالية من الدلالات.

اذن ارتبط الأدب الشعبي في الروايات بالتجربة أو الممارسة التي اعتمد عليها الانسان الشعبي في حياته العملية و علاقاته مع غيره من الناس:

و عبر المثل و الشعر و الاسطورة و الاذكار عن القيم الاجتماعية و السياسية و دعت جميع هذه العناصر الشعبية الى التغيير الجذري من أجل التطور.

---

(1) م ، ن ، ص : 89 .

(2) - عبد الله محمد ابن اسماعيل البخاري ، فتح الباري، شرح صحيح البخاري (لبنان : دار المعرفة ، ج 6) ص : 103 .

(3)- لقاء مع المؤلف نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

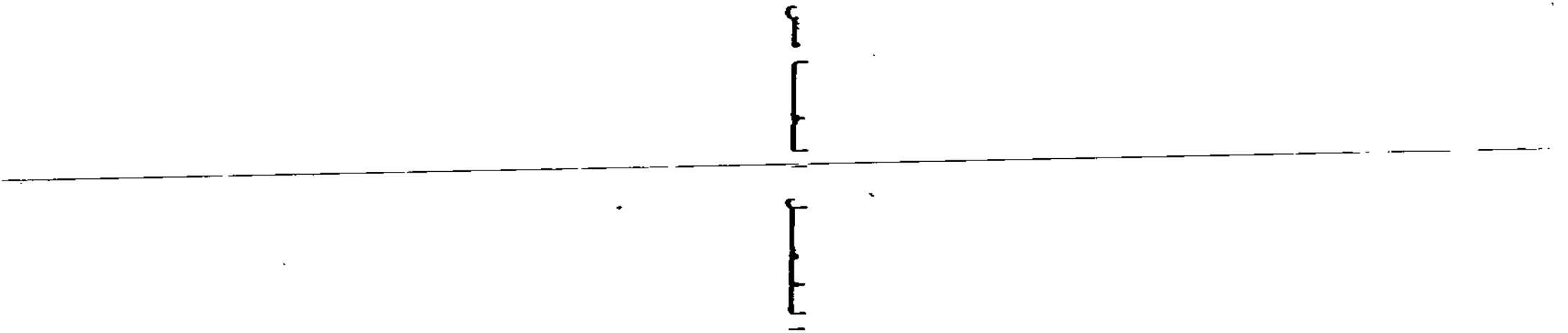

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- توظيف الفنون الشعبية في الروايات -

اعتبرت الفنون الشعبية قديمة ، اذ رافقت بدايات الانسان و تطوره من خلال صراعه مع القوى الخارجية من أجل البقاء .

و قد ظلت الفنون الشعبية في نطاق الدراسات العلمية ، أكثر عناصر التراث الشعبي تأخرا ، ولذلك عانت عهدا طويلا من غموض موضوعها رغم المجهودات التي بذلها العلماء . و ((كان من أوائل دارسي الفولكلور الذين حاولوا تحديد مدلول هذا المصطلح " الفن الشعبي " ألويس ريجل Alois Riegel ... و قد اعتبر أن السمات الاساسية المنتج الفني الذي يمكن ان يعتبر فنا شعبيا هي أن يكون : مصنوعا داخل البيت من أجل الاستخدام الخاص (تمييزا له عن الانتاج التجاري) .)) . 1

و من ثم تتضمن الفنون الشعبية التي نتناولها في هذه الدراسة كافة الاساليب التي توظفها الجماعة ، من رجال و نساء ، في البيئة الشعبية لاشباع حاجاتها المادية ، بواسطة المهارات التي انتقلت اليها عبر العصور .

و اذا كانت الفنون الشعبية قائمة على الجمع بين الناحيتين الجمالية و العملية ، فانها في ظل ظروف البيئة الشعبية الواقعية تغلب عليها المنفعة .

اعتبرت النخبة الفنون الرسمية أكثر أهمية . و كان لآراء هذه النخبة أثرها العميق في انعزال الفنون الشعبية و افتقارها الى كثير من شروط تطورها . و مهما كانت مبررات هذه النخبة ، فان الفنون الشعبية متوفرة على امكانات كبيرة للتعبير ، اكتسبتها من خلال التاريخ الطويل لما احتوته من رموز و دلالات و تصورات و قيم دارت حول الحياة الطبيعية و الاجتماعية و السياسية . ومن ثم فان التمييز بين الفنون الشعبية و الفنون الرسمية غير وارد مادامت العلاقة بينهما قائمة على التكامل. وقد ارتبطت هذه الفنون الشعبية منذ العهد القديم بحاجات الانسان

---

(1) - الجوهري ، ص : 79 ، 80 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليومية سواء أكانت مادية أم معنوية كتقديم الحماية للجماعة من الأخطار و الأمراض التي هددت وجودها بواسطة الطقوس الدينية و السحرية . 1

و تمثل الفن الشعبي المادي في المعمار و الحرف اليدوية كالطبخ و الصناعات المنزلية كالفخار و النسيج و الفنون الزمانية كالموسيقى.

اما من حيث الطريقة فالتسجيل هو الغالب على الانتاج الفني ، حيث يلتقط الفنان الشعبي بعض عناصر او ظواهر البيئة ، حيّة أو جامدة . كما يحتل الاسلوب الزخرفي ساحة كبيرة في هذا النوع من الفن الشعبي ، و هو يبرز بوضوح من خلال الاشكال الهندسية ذات الالوان المختلفة .

و يعتبر الفنان الشعبي انسانا بسيطا لايتوفر عنده رصيد من التعليم ، و كذلك لا يتقيد بقواعد المعرفة العلمية ، و لا يعتمد على نموذج مباشر بقدر ما تكون تجاربه و تعاليم أجداده مصادر أساسية لفنه الشعبي الاصيل . : 2 .

---

(1) الحيدري ، ص : 65 .

(2) حسين علي شريف ، " الرمز في الفن الشعبي التشكيلي " مجلة الفنون الشعبية . (2 أفريل 1965 ،)ص : 98 ، 99 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صناعة الفخار :

صناعة الفخار حرفة يدوية مارسها الانسان باستمرار في حياته العائلية و الاجتماعية منذ القديم . و اعتمد من حيث المواد الاولية في صناعة أوانيه على مادة الطين التي تستمد من الترسبات الغرينية المتراكمة على شواطئ الانهار و القنوات ، حيث يتركب الطين من مواد كيمياوية ومن صخور ناعمة و أملاح الالمينيوم و الماء ، و من مواد قلوية و حوامض حجر الصيوان . تساعد هذه العناصر كلها على عمل العجينة و تكسب الطين مرونة كبيرة و قابلية جيدة في تشكيل أواني الفخار . و قد تضاف الى العجينة مادة التمبر Temper لتقوية الألوان ، و الرمال أو الجبس أو الفحم المسحوق ، و تحتاج صناعة أواني الفخار أيضا الى بعض الادوات كالاحجار لصقلها و تنعيمها . و تستخدم القضبان أو أغصان الاشجار لضرب الطين و عجنه ، و كذلك بعض المواد اللاصقة المستمدة من النباتات التي تضاف الى العجينة ، كما تعتمد صناعة أواني الفخار أساسا على الأحجار المتنوعة في عمليتي الحفر و الزخرفة و على الدولاب اللوبي ذي الطبيعة الخشبية التي توظف فيها اليد أو الأرجل لاعطائها شكلها النهائي . . 1 .

و تعتبر صناعة الفخار من أهم أنواع الفن التشكيلي الشعبي التي وظفها بن هدوقة في الرواية . و تمثل كل من العجوزين رحمة و ربيحة ، الفنان و الحرفي الشعبي معا في الريف، و ذلك لما تجمع هذه المهنة من خيوط رمزية ، منها مايدل على تمجيد العمل و الرفع من شأنه ومنها ما يدل على التصاق الانسان بالارض ، التي كره العمل فيها سكان القرية ، و ذلك لكون الانسان خلق من تراب ، ومن التراب تتكون مواد رزقه ، ثم يعود الى التراب بعد موته ... ثم منها ما يدل على المجال الذي تمارس فيه الرؤية الفنية ، و الاحساس المرهف في صنع الرسوم و دقتها)) 2 . فالتراب الذي ارتبطت به العجوزتان رحمة و ربيحة هو المادة الاساسية التي تمارسان بها صناعة الفخار . فهي لاتمثل عند كل منهما ((مجرد وسيلة لكسب القوت في الحياة ، بقدر ماهي أكثر من ذلك باعتبارها مبرر وجودهما)) . 3 .

---

(1) — الحيدري ، ص : 79 ، 80 .
(2) — بشير ، يحيى محمد ، الشخصية في الرواية الجزائرية ، 1970 ـ 1983 . (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، 1986) ، ص : 105 ، 106 .
(3) — TALBI , BOUbA . Du vent du Sud à la mise à nu l'itinéraire d'un écrivain Abdelhamin BENHADOUGA . Collectif. Colloque national . Alger : O.P.U,1983. Page , 98 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقالت ربيحة ((انني لو ملكت ما ملك قارون لما انقطعت عن الفخار)) . (1)

و ان قول رحمة يثبت ذلك : ((لا أخاف الموت و لكني لا احبه . أرأيت؟ لو متّ لبقيت هذه الاواني بلا اتمام)).(2) فبقدر ما يطمح الفنان الى التحرر و ما يحققه منه ازاء ذاته ، يجد مجالا واسعا للتعبير ، لأن التحرر يؤدي الى اثراء ادراكه .. اذ الارتباط بالحاجات اليومية الآنية يجعل رؤيته محدودة . (3)

ان العجوزين رحمة و ربيحة تبحثان من خلال فن الفخار عن التوفيق بين قيمتين ، احداهما تتصل بالوظيفة النفعية و الاخرى بالوظيفة الجمالية . فالفنان الشعبي عندما يؤلف رسما ، لا يقصد منه المتعة الفنية فقط، وانما يريد ان يبلغ الى جانب ذلك فائدة عملية أو تعليمية . فالوظيفتان النفعية و الجمالية عنصران مرتبطان في الفن الشعبي ، و ان تعذرت قدرة الناس على ادراك الهدف التعليمي من عمل العجوز رحمة الفني ، فانهم يوظفون الفخار لسد حاجياتهم المادية المباشرة . ((فخارها ان لم يذكر الناس بأحداث مرت بهم فهو على حال يكفيهم حاجتهم فيما يستعملونه للطعام و الشراب)) (4)

كما ان العجوز ربيحة " لعبت دورا مهما في حياة البشير حين ساعدته على التكيف مع ظروفها القاسية ، بما قدمته له من أوان فخارية للأكل و الشرب و في حياة عائلته التي كانت تطعمها مما تكسبه من بيع الأواني .)) . (5)

و قد وردت في الرواية أنواع كثيرة من أواني الفخار ، كالصحيفة ، و القصعة ، و الاكواب ، و الجفنة ، و الجرة ، و القدر ، التي كانت تصنع من الطين الخام .

وكشف المؤلف كذلك عن مراحل صنع أواني الفخار ، ان ((التراب يجب أن ييبس ثم يبل ثم يبنى أواني ... ثم بعد ذلك يأتي صقلها ، ثم تبقى أياما لتيبس ثم ترقم و تزخرف ثم توضع في الفرن ..)) (6)

---

(1) — نهاية الامس ، ص : 164 . (2) — ريح الجنوب ، ص : 123 .
(3) — سامي الدروبي ، علم النفس و الادب ، (القاهرة ، دار المعارف ، ط 2 ، 1981) ، ص : 164 .
(4) — ريح الجنوب ، ص : 150 .
(5) — بويجرة ، ص : 110 .
(6) — ريح الجنوب ، ص : 64 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما البناء ذاته فيتطلب انشاء قاعدة الآنية ثم هيكلها ، ثم انجاز بقية اجزائها و بعد ذلك الشروع في الزخرفة و النقش و التلوين ، و عند الانتهاء من هذه العناصر كلها تأتي عملية حرق الآنية ، و يبدو أن اللون الأسود هو الغالب .

و اذا كان العمل الفني الذي تقوم به العجوز رحمة ليس وسيلة للعيش بقدر ما يمثل غاية ، و أنه ليس وليد فترة معينة يزول لمجرد غياب ظروفه الموضوعية ، فالتطور أهم خاصية تميز به عبر البحث المستمر عن مواطن نقصه من أجل الوصول به الى أرقى أنواع الاشكال . ان العقل الذي اعتمدت عليه لتجسيد أثرها الفني في صورة محسوسة لم يتوصل الى النموذج الذي يناسب شعورها العميق ، حيث طمحت دائما الى المزيد من الانتصار عليه وذلك كقولها لزوجها الميت ((مازلت لم اهتد الى صنع الاواني التي حدثتك عنها في الماضي . كلما أصنع آنية جديدة ، أجد في النهاية أن شيئا ينقصها ... ليست يداي هما اللتان لم يهتديا الى صنع ما أريد ، انما عقلي هو الذي لم يجد الصورة التي تطابق احساسي . أحب أن أصنع أواني اذا رأيتها من بعيد لا تفرق بينها و بين الاواني القديمة و لكن اذا اقتربت منها و أمعنت النظر فيها وجدتها جديدة في البناء ؟ في الصقل في الزخرفة ؟ في كل شيء)) . (1)

قدم المؤلف من خلال العجوز رحمة صورا عن العمل الفني المثالي الذي ألهم احساسها ، فراحت تبحث عن أرقى اساليب الوصول الى التناسق العام الذي يحافظ من حيث الخصائص على التوازن بين القديم و الجديد

انها مضت في اكساب الأواني الفخارية مهارة البناء الى المدى البعيد . فاعتمدت في ممارسة هذا العمل على احساسها الذي يعد مصدر النزعة المثالية . و ((هذه المثالية ليست محض نتاج لتفكيرنا ، لكنها موجودة موضوعيا في الذات الحية نفسها)) . (2) غير أن العقل يفتح مجالا لمجموعة من التصورات و المفاهيم ، يأخذ العمل الفني من خلالها أبعادا تترتب عنها دلالات تثير في نفوسنا مشاعر الاعجاب فتعبر بذلك عن مراحل تطوره و نضجه الفكري .

---

(1) - ريح الجنوب ص: 22 .

(2) - هيغل ، فكرة الجمال ، ترجمة جورج طرابيشي (بيروت: دار الطليعة للطباعة و النشر ط2 ، 1981) ، ص: 49 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد ظهرت معاناة العجوز رحمة من خلال التجربة القائمة على الخطأ و الصواب ، التي أعطت مادة الفخار أشكالا لا تتطابق مع احساسها بالوصول الى النموذج الفني الراقي الذي يتطلب بدوره استثمار الطاقات و الصفات المعنوية كالصبر و المثابرة و التطلع الى الكمال . ((ليت العمل ينتهي هنا ! لأن الفن يعطي لها أحيانا ألوانا و أشكالا غير التي كنت أنتظرها ، و حينئذ أجد نفسي مضطرة للاعادة . و هكذا أبدأ و أعيد أبدا ، و أنا سعيدة بذلك لأن نفسي تحدثني أنه لابد أن يأتي اليوم الذي أصل فيه الى الاتقان الذي أنشده و أجد الصورة المثلى التي أبحث عنها)) . (1)

و شخص المؤلف العجوز رحمة من خلال حالة درامية تمثلت في الهذيان ((.. أنا آنية أنا فخار ، من يشتريني ؟ ..)) (2) . انها بمثابة الفنان الشعبي الذي يتعامل مع فنه بمحبة كبيرة رغم وعيه البسيط الى درجة التلاحم العضوي الذي دام الى أن فارقت الحياة . و في ((هذيان رحمة الأخير دلالة قوية ... على قوة و عمق هذا الرمز الذي استطاع الروائي أن يكشفه بكلمات معبرة عن تدفق شحنات عاطفية مجللة بخيبة الامل التي اصيبت بها من الواقع الذي كان يشهد تصدعات غريبة))، (3)

وطرحت العجوز رحمة من خلال هذا الهذيان الصراع القائم في العمل الفني بين الواقع و المثال . اذ ميزت بين نوعين من الأواني ، الأول ما يزال في طور المادة الخام ((انتم لستم أواني ، انتم مازلتم طينا)) . (4) و النوع الآخر الذي تجسد في ذاتها ، امتلك جميع مقومات البقاء ، و مايمكن أن يقوم به ((من وظائف لاسعاد الانسان و لتقوية علاقته بالأرض التي هي مصدر الماء و الزهر و الطعام)) . (5) سواء التي تعلقت بالفوائد العملية ((أنا آنية أصلح للماء للطعام للزهور)) . (6) أم بالقيمة الجمالية ، ((انها تصهرني لازداد جمالا)) . (7) .

---

(1) - ريح الجنوب، ص: 64 .
(2) - م ، ن ، ص: 141 .
(3) - بويجرة ، ص: 106 .
(4) - ريح الجنوب، ص: 141 .
(5) - بويجرة، ص: 106 .
(6) - ريح الجنوب، ص: 141 .
(7) - م ، ن، ص: 141 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و ارتبط العمل ذو الطبيعة الفنية عند العجوز رحمة ، بمجموعة من الشروط الذاتية و الموضوعية التي تجعله في صورته المثالية ، كالاحساس بالجمال و التجربة و المعاناة و الانعزال عن العالم الخارجي ((أنتم لستم مثلي لم تعرفوا العطش ، لم تعرفوا النار ، لم تعرفوا الشيخوخة و الوحدة ، لم تعرفوا الحمى ...))، (1) .

و من هنا يستطيع الفن أن يلعب دوره العميق في الحياة .

---

(1) ـ م . ن.ص:141 ، 142 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعرض المؤلف من خلال تداخل العجوز رحمة ، الى تفسير الرمز الشعبي في الرسوم ، الذي ارتبط بالظروف الصعبة التي مرت بها القرية ، وبمعاناة سكانها في الماضي البعيد .

و يلعب الرمز الشعبي دورا هاما في التعرف على الفن التشكيلي الشعبي و الدلالة على الزمن الذي وجد فيه و حياة الجماعة التي استمد منها . فالرمز لغة يوظفها الفنان الشعبي للتعبير عن حاجات أهل بيته المحلية ذات الطابع النفسي و الاعتقادي و الفكري . كما انه يختار الرمز من حيث هو وحدة فنية لكي تجعل انتاجه ذا معنى خاص و تربطه بشخصيته و قيم جماعته في وقت واحد . و الرمز قد يمثل حيوانا أو نباتا محبوبا أو مكروها عند الناس ، و قد يكون ايضا شكلا يعد خلاصة تجربة أو موقفا من حادث تأثرت به الجماعة ، أو تقليدا شائعا عندها . كما قد يكون خطا واحدا مجردا أو أكثر من حيث العدد تعرفه هذه الجماعة باسم معين و يصبح متداولا بين افرادها على امتداد الزمن . غير أن هذه الاشكال سواء أكانت رسما أم نقشا لا تتطور الى مستوى الرمز الا اذا تضمنت قيما اجتماعية و بقيت فترة طويلة قبل الانتشار و النضج . ان لكل فئة متخصصة في حرفة ما رمزا في فن معين و مع ذلك هناك رمز مشترك في أكثر من فن . (1)

اتخذت رسوم العجوز رحمة ((خطوطا مستقيمة أو متكسرة ، متوازية أو متلاقية ، ومن جميع تلك الخطوط تبرز في النهاية رسوم جميلة الهندسة و أشكال معبرة عن ذكريات و أحداث ....))، (2)

يكشف الرسم الأول ((سوق الزرع بلا سنابل)) . (3)

و هذا دلالة على سنة القحط و الجفاف اللذين تعرضت لهما القرية .

وكشف الرسم الثاني ((الشمس المظلمة التي لها مخالب)) . (4)

عن وضع اجتماعي متدهور شهدته الجزائر خلال عهد الاستعمار ، و كان سببا في انتشار وباء التيفوس الذي أدى الى هلاك عدد كبير من الناس .

---

(1) ـ علي شريف ، ص : 96 ، 97 ، 98 .
(2) ـ ريح الجنوب ، ص : 129 ، 130 .
(3) ـ م ، ن ، ص : 130 .
(4) ـ م ، ن ، ص : 130 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و اختار بن هدوقة من خلال عاهة البكم ، أم رابح راعي الغنم لتجسيد اثر هذا الوباء الخطير على الجماعة الشعبية ، و أراد أن يكون هذا البكم تعبيرا عن عزلة هذه الأم و انفرادها في حياتها التي تميزت بالعمل الدائب و المحبة و الصبر الطويل ، و أبرز المؤلف أيضا مشاعر هذه الام و احتجاجها عندما قررت أن تواجه المجرم لحماية ولدها من الموت ، و دفعها هذا الحدث الرهيب لأول مرة الى الصراخ الذي أجتاح البادية ، و تمثل هذه الصيحة رفضا قاطعا لظلم الاقطاع و تسلطه ، و ظهور فترة جديدة في حياة الجماعة الشعبية قائمة على الكرامة و الحرية .

و تضمن الرسم الثالث في الرواية ((اطار الغربال أو الطبل و في وسطه شكل منجل .)) . (1) و يتناول مرحلة حاسمة مرت بها القرية بسبب الظروف الطبيعية القاسية كالجفاف ، التي دعت الحاج حمودة ، المتميز أكثر من غيره من السكان بالخير و الفضيلة ، الى ان يقدم نفسه ضحية من اجل تأمين الخصب و الاطمئنان . و من ثم كان الحاج حمودة نموذجا انسانيا فريدا ، و موته ، اذ ((عثر عليه ميتا غرقا في بركة ماء)) (2) شهادة قاطعة على ارتباطه بالقيم الروحية التي تجسد انشغالات الجماعة و تطلعاتها الى حياة أفضل ، في نطاق تصور جديد للعلاقة مع الطبيعة .

و يمكننا أن نلاحظ أثر هذا الحدث على نفوس الناس ، ولا سيما العجوز رحمة ، التي اعتبرت هذه التجربة الفردية التي حملت دلالة نكران الذات و السمو بها الى ذروة العطاء ، ظاهرة نادرة جدا في هذا العصر .

و هكذا يمكن القول أن المؤلف تعامل مع صناعة الفخار تعاملا متنوعا حين تناولها ، إذ ارتبطت بمجموعة من الرموز ذات دلالات لا تخلو من تحليل لظروف الانسان الشعبي و صراعه مع الطبيعة ، و تصوير تفاعله مع المثال في ميدان الفن و دوره في الوجود الاجتماعي .

و اذا ارتبطت بعض هذه الرموز بتسجيل أحداث الثورة في الماضي البعيد فان ذلك لم يكن هروبا من الواقع بقدر ما توصل المؤلف بها الى

---

(1) - م ، ن ، ص : 130 .
(2) - م ، ن ، ص : 131 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعبير عن ابعادها الانسانية التي تخدم حاضر الجماعة الشعبية و مستقبلها .

— العمارة الشعبية —

يعد فن البناء و العمارة جزءا أساسيا من الفنون التشكيلية الشعبية . و هو يلعب من حيث الحجم و الاسلوب و الموقع دورا أساسيا في حياة الانسان الاجتماعية و الاقتصادية . و يتحدد فن البناء بالتنظيم و التأثير الذي يمارس في الساكن به أو المشاهد له . و لذلك ليس كل ماهو جاهز للاسكان مندرج بالضرورة ضمن العمارة . ان ماهية الفن يعبر عنها نمط البناء الذي يتمثل في بيت أو معبد أو مؤسسة في قرية أو في مدينة . فالمجتمعات التقليدية المتميزة بنمو تقني و علمي بسيط ينعدم في محيطها نوع من العمل الفني المتكامل في عناصره ، بينما نجده متوفرا ضمن الفنون التشكيلية في الدول التي بلغت مستوى عاليا من الحضارة . كما تلعب المظاهر الخارجية عند بناء البيوت و الاكواخ في المجتمعات التقليدية كالشوارع و الساحات العامة ودورا لتجمع و مؤسسات العبادة ، دورا هاما في الفن المعماري حيث ترتبط باساليب البناء و الالوان و الزخرفة ذات الأثر الروحي العميق . (1) .

يكشف فن البناء المعماري عن بعدين متلازمين ، أحدهما جمالي و الآخر عملي . انه يتمتع بقدرة كبيرة على اشباع حاجات الناس المادية ، و توظيف خيالهم و تنظيم فكرهم و شعورهم . ان هدف الفن المعماري ليس التعبير عن العالم الحسي بقدر ما هو انشاء عمل معماري مميز من حيث النضج الفني و الوظيفة العملية . (2) .

من الواضح ان ابن هدوقة شديد التأثر بالعمارة ، كما كشف عن ذلك تعدد آثار هذا الفن التشكيلي في رواياته ، و قد ساعده هذا التوظيف المعماري من خلال عناصره الجمالية و العملية معا ، على التعبير عن دوره في تشكيل الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية في الريف و المدينة .

---

(1) — الندوي ، ص: 66 ، 67 .
(2) — م ، ن ، ص: 68 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و تعد القصبة أهم وحدة معمارية يكشف المؤلف في رواياته عن اجزاء عالمها الخارجي باعتبارها من اقدم الاحياء التاريخية في عاصمة الجزائر . فقد ((كانت مدينة الجزائر في العهد العثماني تنقسم الى احياء سكنية ، منها حي القصبة القديمة للعرب ، أما حي القصبة الجديدة أو العليا فللانكشارية ، و الدايات ، و اصحاب المناصب في الدولة ..)) . (1) غير أن القصبة تعرضت الى الهدم ابان الاستعمار الذي ادخل عليها تعديلات كثيرة ، تبعا للنموذج الغربي و لاسيما انها كانت تمثل رمزا للكفاح الذي قام به الشعب من أجل حريته و لذلك ((لم يبقى من القصبة كما كانت عليه في عهدها السابق الا آثارا قليلة))،2

و تتمثل أهم عناصر العمارة لحي القصبة الواردة في الرواية ، في النوافذ الضيقة الملتوية ، و يدل هذا النمط من التصميم على أن ((الترّدب عنصر اساسي في التمدن الاسلامي التقليدي . يرتبط ظهوره بطراز من السكن تنتظم فيه الحياة حول ساحة داخل الدار فقط ، فتجعل بذلك ظاهر البناء .)) (3) . و من هنا دفعنا المؤلف الى اكتشاف ما بداخل هذه ((البيوت التي تبدو بائسة حقيرة))،4 من حيث احياؤها الشعبية المعقدة و نوافذها الضيقة ، و ظاهرها الذي يغلب عليه الاهمال ، لما تتضمنه من ((عائلات قديمة لم تغادر بيوتها ، فحافظت على ما تحتويه جمالا و فنا و جوا . لكنها عائلات في معظمها فقيرة ...))، (5) . و يظهر الفقر عنصرا حاسما في البناء المعماري للقصبة اذ ((على الرغم من أن النساء المسلمات يحجبن عن الرجال الأباعد ، فان الاسر التي تنتمي الى الطبقات الفقيرة التي لا تستطيع أن ان تسكن وحدها ، تجتمع في دار مشتركة ، على أن يخصص مسكن لكل عائلة و يبقى الرجال في معزل عن النساء)) . (6) .

الحي عنصر اجتماعي في المدينة ، فقد كان في حي القصبة سكان اصليون يكونون بحكم الزمن أسرة واحدة ، سواء من حيث الذوق أو السلوك العام .

---

(1) ـ احمد السليمان ، تاريخ مدينة الجزائر ، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، 1989)، ص : 23 ، 24 .

(2) ـ م ، ن ، ص : 104 .

(3) ـ ANDRE Raymond - grandes villes arabes à l'epoque ottomane Paris edition : bibliot.arabe SINDBAD 1985 ; page : 186

(4) ـ بان الصبح، ص: 295 .

(5) ـ م ، ن، ص: 296 . (6) ـ السليماني ، ص : 36 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان ((كل من لايسكن القصبة فهو اجنبي عنها)) . (1) . ذلك أن الاحياء معدة للسكن و من ثم لاتحتوي الا على قدر قليل من النشاطات الاقتصادية ، فسكان الحي يتوجهون الى قلب المدينة لاداء عملهم ... المكان خاضع للمراقبة و لا يمكن لشخص واحد ان يدخل الحي)). (2) .

غير ان المؤلف حاول التعبير من خلال دليلة ، عن واقع جديد في القصبة ، حيث ((نزح السكان الاصليون الى المدينة الأوربية و جاء سكان جدد من جهات أخرى فقراء و غير متحضرين ، فافسدوها ...)) (3) . و من ثم كثرت المغامرات و الاختلاسات . فقد ((ودت دليلة لو تبكي مما كانت فيه من سخط و غضب على الذين سخروا منها ، فاكروا لها غرفة في دار مغلقة)) . (4)

التجأت دليلة الى القصبة تبحث عن سكن تأوي اليه ، تحت تأثير ظروف عائلية صعبة ، لأن الاسعار في هذا الحي القديم رخيصة .

و لاحظت دليلة باعتبارها نموذجا للمرأة المتعلمة ، ان هذا البناء القديم في القصبة ، تميز بالنوافذ الضيقة و خلا من الكماليات ((بصورة تكاد تكون مماثلة في كل بيت . و خطر ببالها ان هذه النوافذ الضيقة لأن البيوت مجعولة لاقامة النساء . فلو كان الرجال هم الذين يسكنون بالبيوت لجعلت النوافذ واسعة يقينا)) . (5) . فاعتبرت بذلك هذا الضيق حالة فكرية غلب عليها التمييز الخلقي بين الرجل و المرأة في آداء الوظائف ، حيث ارتبط الاول بالنشاط الذهني و اقتصرت الثانية على العمل المنزلي .

و لعل في وصف المؤلف لبعض جوانب العمارة لمدينة القصبة دلالة على أن ((هذا النمط المعماري العائلي ... و كأنه يقدم اطارها المثالي للحياة الاسلامية . فهو يتكيف بشكل ظاهري مع التصور الأبوي للعائلة التي يؤلف لغرضها وسطا مغلقا ...)) . (6) . و يشارك في تكوين الروابط بين هذه القيم الاجتماعية و الدينية التقليدية و الانسان الشعبي .

---

(1) — دليلة ، ن . ص : 296 . (2) — ريموند ، ص : 302 .
(3) — دليلة ، ن . ص : 295 ، 296 . (4) — م ، ن . ص : 299 .
(5) — م ، ن . ص : 295 . (6) — ريموند ، ص : 276 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحمام الشعبي :

يعتبر الحمام أيضا من النماذج الشعبية التي قدمها المؤلف في مجال العمارة .

فالحمام بنية أساسية في المدينة العربية الاسلامية ، يستخدم في تشييدها الأجر و الحجر و الرخام و هي مواد تتحمل الماء ، أما من حيث تنظيمها الداخلي الذي ورد في الرواية ، فانه يتمثل في ((القاعة الاولى التي هي بشابة المدخل)) . (1) و المدخل أو الدركة (المقدمة من الحمام) تكون عبارة عن مكان للاستراحة أو الانتظار قبل الدخول . و قد اهتم بها المؤلف بشكل خاص باعطائها مظهرا جماليا خلابا ، استخدم في ذلك الفسيفساء التي هي عبارة عن مكعبات صغيرة من الرخام أو الزجاج ، تلتصق بعضها بالبعض ، بواسطة الملاط ليكوّن شكلا هندسيا نباتيا او زخرفيا ، و تكون عادة بالألوان المتنوعة ((كانت حيطانها مزخرفة الى النصف بالفسيفساء الملونة ذات الأشكال الهندسية و الزهرية المختلفة)) . (2) كل هذا حتى يتاح للمستحم أن يحلق بخياله في عالم هذه المشاهد التي تثير مشاعره . ثم ان ((القاعة ليست في استواء واحد)) . (3) لأنها تحتوي على عدة أقسام . و كذلك ((هناك البهو الذي تحيط به أقواس على شكل هالة)) . (4) و تقوم هذه الاقواس الداخلية على الطابع القديم المتأثر بحاجات العصر الذي يتمثل في ((الفن المعماري الأندلسي المكيف بالذوق الجزائري)) . (5) و يدل هذا الاثر الماضي على العهد الذي ((بدأت تؤم مدينة الجزائر جماعات من المهاجرين الاندلسيين الذين جاءوا الى شمال افريقيا بعد ضعف ، وسقوط دويلاتهم في شبه جزيرة ايبيريا ... و تركز البعض منهم في مدينة الجزائر ، وكان لهجرتهم اثرها الواضح على عمران المدينة حيث زادوا من سكانها ، و نقلوا اليها على أكتافهم ما وصلوا اليه من تطور حضاري في العمارة و التنظيم العمراني بصفة عامة)) . (6)

---

(1) ـ بان الصبح ، ص: 52 .
(2) ـ م ، ن . ص: 52 . (3) ـ م ، ن . ص: 52 .
(4) ـ م ، ن . ص: 52 . (5) ـ م ، ن . ص: 52 .
(6) ـ عبد القادر حليمي ، " أصول النشأة لمدينة الجزائر " مجلة الاصالة (الجزائر : مطبعة البعث) العدد 8 جوان 1972) ص : 17 ,

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و قد أبرز المؤلف هذه الاقواس في شكل هالة ، تمثلت طبيعتها في اكليل صغير دائري شعاعي ، و يرجع أصل معناها الى ((ان الفنانين الذين يرسمون الشخصيات التي لها قدسية خاصة ، يحيطون رؤوسها بهالات كأنما يشع منها النور ، دلالة على النقاء و الطهر و البركة)) . (1)

وجد ممر ايضا لذهاب و أياب الناس ، وانتقال هؤلاء من قاعة لأخرى داخل الحمام دون ازعاج الغير . و قد امتدت على كلا جانبيه ((مصطبتان فسيحتان للاستراحة بعد الخروج من الحمام و لنزع الثياب قبل الدخول اليه))20

قامت هذه النماذج من الفن المعماري في الحمام على مصادر تاريخية ذات أصول حضارية متنوعة .

تعرض المؤلف كذلك في رواياته الى العمارة الريفية ، و سنعتمد بحكم المنهج ، الى جمع عناصر المسكن الريفي المتفرقة عبر نصوص هذه الاعمال للاعتماد في دراستنا على وحدة معمارية ريفية نموذجية .

يخضع المسكن الريفي من حيث أسلوبه و نوعية بنائه الى ظروف البيئة الطبيعية و الاجتماعية و الاقتصادية المحلية التي تفرض على الانسان الشعبي اعتبارات معينة تتمثل أساسا في اختيار المواقع الجبلية الوعرة لبناء المسكن مراعاة للاراضي الزراعية المحدودة ، و في مواد البناء البسيطة ، و أحوال الطقس التي تتطلب منه الوقاية من شدة الحرارة و البرودة ، ثم في النشاط الاقتصادي الذي يعتمد على تنظيم للعمل الفلاحي بكل مكوناته من حيوانات و أدوات و محاصيل زراعية ، ذات الكمية أو الحجم الكبير . و تتمثل أيضا في قواعد نمط البناء التي أنشأتها الجماعة .

---

(1) ـ عبد المحسن صالح ، " بين الظواهر الطبيعية و التفسيرات الخيالية " مجلة الدوحة (قطر، مطابع علي بن علي، العدد102 . 1984) ، ص: 65 .

(2) ـ بان الصبح ، ص : 52 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للمسكن الريفي ميزة خاصة في طريقة بنائه ، تتمثل في وقوعه في أرض بعيدة عن ازدحام الطرق بالمارة ، و هو محاط بسور عال ، يكون حاجزا بين الناس و بين حركة النساء الجارية بساحة المنزل . (1) .

و يعتبر المسكن الريفي بناية قديمة ، تشمل أطوار حياة الانسان الشعبي ، و يسد الحاجيات الضرورية للعائلة . و يلعب الحجم دورا هاما في تحديد الفوارق بين مختلف مساكن الريف . فكلما زاد عدد أفراد العائلة الواحدة ، و شاركهم الحيوان و العتاد الفلاحي ، زادت كذلك مساحة الارض التي يقيمون عليها . (2) .

كما احتوى المسكن الريفي على تنظيم داخلي متميز بعدد من الغرف ، المستقلة ، منها حجرة الضيوف ذات الباب الخارجي القائم على التمايز الجنسي بين الذكور و الاناث سواء أكانوا أجانب أم افراد من العائلة ((ترك ابن الجبايلي عابدا في حجرة الضياف التي لها باب خارجي ... و دخل الى الحجرة العائلية يخبر زوجته ..))، (3) كما ان النوافذ عبارة عن فتحات مستطيلة في أعلى الجدران أدت أغراض التهوية أو صرف الدخان الذي كانت كثافته في أغلب الاوقات سببا في فقدان ألواح السقف لونها الأبيض الاصلي ، حيث ((تلحفت بثوب كثيف من الأدخنة المتصاعدة اليها)) . (4) و استمرت هذه الاخشاب الضرورية التي صنع منها السقف و الابواب من الاشجار التي نمت على أطراف الحقول ، و لا سيما العرعر ((أما السقف فهو عيدان بنيت من شجر العرعر)) . (5) و ذلك دون مراعاة هيئتها ماعدا الحاجة اليها .

ووردت مادة الجبس الخام التي تستخدم في تبييض جدران السكن الريفي من الداخل و الخارج ، مثلما تميزت بذلك حجرة الضيوف التي تناول فيها البشير طعام العشاء ((حتى الحيطان شهباء دكناء مرشوشة بجبس محلي)) . (6) وهو عمل تمارسه غالبا النساء .

وتقع الغرفة المنفصلة حول ساحة مشتركة يطلق عليها عادة اسم : المراح . و هي مساحة خالية ، تتوسط المسكن حيث تجري معظم الاشغال اليومية .

---

(1) ـ بوتفنوشت / ص : 39 . (2) ـ غيث ، ص : 288 .
(3) ـ الجانية و الدراويش، ص : 46 . (4) ـ نهاية الامس،ص : 25 .
(5) ـ م ، ن ، ص : 25 . (6) ـ م ، ن ،ص : 25 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و يدخل هذه الساحة الجماعية القريب وحده من باب خاص ((و قام ففتح الباب المؤدي للمراح ، الباب الذي لا يلجه الا القريب)) . (1)

و يعتبر الباب الخارجي آخر عناصر المسكن الريفي الذي يشتمل على ألواح من خشب كبيرة الحجم ، على شكل هيئة مستطيلة ((و كان الباب ألواحا من خشب قديم ، تمسكها بعضها مسامير خشنة ، صدئة من القدم ، و بين اللوحة و الاخرى انفراجات تتسع لدخول اليد فضلا عن الريح !)) . (2) أما الطريقة التي يغلق بها فانها تتم بواسطة ((عمود ضخم مستند عليه من الداخل)). (3)

لا تبدو مظاهر الزخرفة أو النقش على السكن الريفي ((الا الخطوط المتقاطعة أو المنحنية تشكل على هيئة دوائر أو مستطيلات أو مثلثات)) . (4) و يعود سبب عدم الاهتمام بالجمال الفني في المسكن الريفي الى اعتباره حيزا للعائلة و مكوناتها المادية فقط .

قام النظام العائلي الممتد التقليدي في الريف على بنية معمارية فرضت على نفيسة طريقة في العيش ، قائمة على الانعزال في الداخل ، و توفر الحد الادنى من حرية التحرك ، و عدم التواصل مع الناس في العالم الخارجي . فقد ظلت نفيسة تتحرك في حجرة ضيقة المساحة ، ((طولها ثلاث أمتار و عرضها كذلك)) . (5) ضوؤها خافت ينبعث من ((كوة خارجية مطلة على جزء من البستان ، ارتفاعها سبعون سنتم ، و عرضها خمسون سنتم)) . (6) و حاولت في لحظات التوتر النفسي القصوى ، التعبير عن احساسها بالعزلة و الصمت الرهيب الذي خيم على البادية من جهة ((... الصمت ، الصمت ، الصمت ، أكاد أجن من هذا الصمت)) . (7) و الرغبة في التغلب على هذه القيود و الحواجز من جهة اخرى ، فقد بقيت علاقات نفيسة محدودة مع أفراد عائلتها ، و أزداد حنينها الى فضاء خارج البيت أكثر انسانية . كما ارتبطت هذه البنية السكنية بمجال زمني ساكن ، أصبح فيه احصاء ألواح سقف الحجرة عند نفيسة أمرا

---

(1) — الجازية و الدراويش، ص: 61 .
(2) — ريح الجنوب، ص: 148 .
(3) — م ، ن، ص: 106 .
(4) — غيث ، ص: 294 .
(5) — ريح الجنوب، ص: 08 .
(6) — م ، ن ، ص: 08 .
(7) — م ، ن ، ص: 08 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محتوما للسيطرة على الرتابة ((7 ، 14 ، 21 لوحة ... كم عددت هاته الألواح عددتها و أعدها بالرغم مني ما دمت أحيا هنا)) . (1)
فتحولت بذلك الى كتلة جامدة ، حصر نشاطها بين نقطة النهاية و العودة الى البداية من جديد ، دلالة على ركود الحياة .

و من خلال ذلك كله ظهر المسكن الريفي من حيث أسلوب بنائه و توارثه و تنظيمه الداخلي على انه بنية مغلقة خالية من المظاهر ذات الطابع الفني و مرتبطة أساسا بالحاجيات الضرورية للحياة .

اذن استطاع بن هدوقة ابراز دلالات جديدة من تصرير العمارة الريفية و الحضرية و لكن كاد أن يضحى بالجانب الفني عند استعراض جوانب من عناصر الحمام و القصبة و مظاهرهما عندما حاول التذكير باصولهما و بالقيم الاصيلة المتوارثة التي ضمنت بقائهما بتدخله المباشر و ادلاء ارائه فيها .

---

(1) — م ، ن ، ص: 09 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللبـــاس الشـعبي :

أورد المؤلف مجموعة من الملابس التي اندرجت أساسا في نطاق الفن اليدوي . منها ما احتفظت المدينة باستعمالها كالطربوش و القبقاب ، و منها ما اشتركت المدينة و الريف في استخدامها مع وجود فرق بينهما في مادة هذه الملابس ، و أساليب صناعتها و تعدد أنواعها ، و هي التي تمثلت في العمامة و العباءة و الشاشية و المنديل و الجبة و العراقية و البرنوس .

و من الواضح ان هناك تداخلا بين النوعين من اللباس الشعبي ، الريفي و المدني ، اذ يمكن ان يكون من بقايا الفئات العليا ، و غيرت العامة منها قليلا . و من المعروف ان الأفراد الذين يمارسون العمل الفلاحي يميلون الى تقليد القديم و المحافظة عليه ، بينما يقلد التجار و الموظفون الازياء الجديدة و يعتنون بجمال المظهر . (1)

و لقد ظل الريف لفترة طويلة من تاريخه معزولا عن مظاهر التمدن و اقتصر في لباسه الشعبي على الحاجة الى ستر الجسم . و يشكل اللباس عند العجوز رحمة عاملا من عوامل هذا التمايز ، حيث أتصفت مناديلها على سبيل المثال بقدر كبير من البساطة ((وكان رأسها مغطى بمناديل حشيفة من قماش مربوطة ربطا وثيقا بعصّابة من (شاش) صار لونها الابيض رماديا لشدة ما تعرضت للدخان)).2 بينما تميز منديل صاحبة الحمام في المدينة بمادة الحرير ((تشدّ رأسها بمنديل حريري أخضر)) . (3) و حسن المظهر ((تتخلله خيوط بيضاء على الطريقة الجزائرية القديمة)) . (4) و تمثل لباس الشيخ علاوة المتميز بمادة الحرير، و طريقة علماء الدين الجزائريين من حيث استعماله في ((بدلة عربية مطروزة من النوع الرفيع الثمين لما يقتضيه التطريز من وقت و خبرة ... و عمامة صفراء حريرية يشدها على طربوش على طريقة لباس علماء الدين الجزائريين ، و عباءة حريرية أو (قمراية) و من قماش جيد على كل حال . و العباءة التي يلبسها الليلة هي قمراية تونسية من النوع الجيد)) . (5)

---

(1) ـ الجوهري، ص : 312 ، 213 . (2) ـ ريح الجنوب . ص : 148 .
(3) ، (4) ـ بان الصبح، ص : 56 .
(5) ـ م ، ن ، ص : 151 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعتقد الشيخ علاوة أن اللباس التقليدي يمارس تأثيرا قويا على عائلته ، لأنه يعطي فرصة كبيرة لظهور شخصيته و من ثم فان ((السيطرة على أولاده تستلزم هذا النوع من المظاهر)) . (1) ولعل الشيخ علاوة متأثر بالعائلات التي نالت رصيدا وافرا من المعرفة في المؤسسات العلمية و الدينية التي انتجتها الحضارة العربية الاسلامية .

---

(1) - م ، ن ، ص : 151 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاثـــاث الشعبي :

أدى الأثاث هـو الآخـر في نطـاق الفـــن التشكيلـي الشعبي دورا هامـا في الروايـــات .

و عكس الاثاث الظروف الجغرافيـة و الايكولوجيـة و الاقتصاديـة التي اعتـمـد عليهـا الانسـان الشعبي في مجـال التأثيث بالمواد المتـوفرة في البيـئـة المحلية و يعود الاختـلاف بيـن العائلات في الريـف من حيث عدد الاثاث و نـوعـه ، الى الحـالـة الاجتماعيـة ، كما يتميـز عادة بالبسـاطـة لأن مطالب الانسـان الشعبي محصورة في انجاب الاولاد و الحصـول على أرض جـديـدة . (1)

وظـف بن هدوقـة نوعيـن تقليديـيـن من الآثاث ، احدهما ريفي و الآخـر مدنـي . استخـدمت العائلـة في الريف الحلفـاء بسبب ارتباط قدرتها الاقتصاديـــة بالمردود الزراعي الضعيف ، كما ظهـر ذلك عنـد العجـوز رحمـة التي ((اخذت سجادة قديمـة من الحلفاء ، كانت في فناء الدار فوضعتهـا في مكان ظليـل و نامت فـوقـهـا)).(2) و كذلك الحجـرة التي نزل البشيـر فيهـا ضيفـا ((كان الفراش حصيـرا من حلفاء)) . (3) و نـجـد في متناول البيت الريفي الصـوف أيضـا ، فقـد اخـذ رابـح ((غطاء خشنـا مـن صـوف راه معلقا في وتـر بالحائط فطـرح نصفـه فوق الحصيـر ، و ثنى نصفـه الآخـر فـي شكـل وسـادة)) . (4) كما تستخـدم الصـوف لنسج الحنابـل خاصـة . أما مادة الحلفاء فتصنـع منهـا القفف مثـل أحـد سكان هـذه القريـة الذي كان جالسـا ((بصدد نسج قفـة من الحلفـاء)) . (5)

واستخدمت كذلك العائلـة الريفيـة الصندوق الخشبي الذي يؤدي باستمرار وظيفـة اجتماعيـة ، اذ يـرافق العروس عنـد الزفاف الى بيت زوجهـا ، انـه الأداة التـي تحافظ فيـه هذه الاخيرة على الاشياء الثميـنـة على امتداد الزمـن . فهـو يتميـز من حيث الحجـم بالانخفاظ و التسطيـح او الاستواء ، ثـم الصغـر . كما انـه متعـدد الالـوان ، حيث تمتزج فيـه الزخرفـة الزهريـة مع التجميـل العربي الاصيـل . (6) .

((ثـم قامت بجهـد بالـغ و اتجهت نحـو صندوقهـا الاسـود الذي تحفظ فيـه كـل امتعتها و ماضيهـا . و هـذا الصنـدوق اشتراه لهـا أبوها يـوم آن زفـت الى زوجهـا عروسـا عندمـا كان لهـا أب و كان لها زوج ... و كان حينئـذ هـذا الصندوق اخضر اللـون ، جميلا و كانت بـه رسـوم مختلفـة ، تمثـل ورودا و اسماكا مذهبـة ، و دوائـر هندسيـة كثيرة ..)) (7)

(1) ـ غيث [illegible] . (2) ـ ريح الجنوب ص: 138 . (3) ـ نهايـة الامس . ص: 25 . (4) ـ ريح الجنوب ص: 120 . (5) ـ م ، ن ص: 115 .
(6) نسيب ، 32 ، 33 . (7) ـ ريح الجنوب ص: 138 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترتبط العجوز رحمة بماضيها الشخصي ، عن طريق هذا الصندوق و بقدر ما دل على سعادتها ، و جمالها و قوتها في هذه المرحلة السابقة من حياتها ((و كانت هي حينئذ فتاة عروبا تحمل عمرها في صدرها الممتلىء و في شفتيها الباسمتين ، و في عينيها الممتلئتين احلاما و آمالا ، و في صوتها الصافي العذب ...)) . (1)

و عبر ذلك هذا الصندوق ضمن تداخل تا ريخي ، على مجموعة من العناصر المتناقضة المتنوعة ، تمثلت في الشباب و الشيخوخة و القوة و الضعف ، و الجمال و القبح ، شاركت في تكوينها ظروف حياة العجوز رحمة الصعبة ((فأين هي تلك الفتاة من هذه العجوز المحطمة ، و اين هو ذلك الصندوق الاخضر الجميل من هذا الاسود المشقق)). (2) . و لعب الصندوق ايضا بالنسبة لرقية دور العودة الى الماضي ، فمثل بذلك موقف الحلم و الهروب من الواقع المعيش المتميز بالحرب فكلما تطلعت الى المستقبل اصطدمت من جديد بهذه المأساة التي عاشت فيها القرية و كانت ((تجلس الى صندوقها الاخضر المذهب " اين تضع امتعتها " و أثوابها وكل ما تملك و تغتني فتسبح في ذكريات تلك الفترة الجميلة من حياتها عندما كانت خطيبة و تصل بها الذكريات الى يوم عرسها)) . (3) و تعد هذه النظرة الى الخلف ضعفا فنيا لا تبرره ضرورة في الرواية ، ذلك ((بالرغم من كونها تعيش أوضاعا بلغت حدودا قصوى من التعاسة لم تستطيع ان تنجز فعلا ثوريا ملموسا متجاوزة بذلك ضعفها لأن الكاتب لم يستطيع تطوير العناصر الثورية لديها و تعميقها أكثر)). (4)

ورد كذلك المشرد المصنوع من خشب و احتوى على عنق و قائمة طويلة ، و يستعمل عادة طعام الكسكس ((كانت الايدي تمتد الى الكسكس الموضوع في مشرد (صحن) من خشب يشبه بعنقه الطويل و قائمته كأسا ضخما من كؤوس الشمبانيا)) . (5)

أما الاثاث الذي وظفته العائلة في المدينة ، فأورده المؤلف في أعماله أيضا ، و هو النحاس و الزرابي ، و الموائد و المناضد و الصناديق و السرر

---

(1) — م ، ن ص : 138 ، 139 .
(2) — م ، ن ، ص: 139 .
(3) — نهاية الامس ، ص : 86 .
(4) — الاعرج ، ص : 261 .
(5) — نهاية الامس ، ص: 25 ، 26 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الخشب المنقوش . ثم ان ((أثاث الصالون لم يكن من فن واحد ، الموائد الخشبية المنقوشة من تلمسان ، المتكآت من سوريا ، و كذلك المناضد العالية المطعمة بالعاج ... السرر الخشبية المنقوشة كانت من فن مغربي . الصناديق التي وضعت بالجهات الاربع للصالون ، لتعطي بعدا للمقاعد عن بعضها من فن جزائري . فوق كل صندوق علق بالحائط سيفان متقاطعان من السيوف القديمة ، فيها الجزائري وفيها الاوربي)) . (1)

و يغلب على مظاهر هذا الاثاث التنوع و المزج بين النماذج العربية و الغربية ، و هو الموقف الذي قصد به الشيخ علاوة ابراز الاعجاب و التباهي .

كما نجد بعض الصور المعلقة في اماكن من حيطان صالون اسرة الشيخ علاوة ((فوق السرير الذي يجلس عليه الشيخ علاوة علقت صورة تمثل علي بن ابي طالب جالسا و الى اليمين وقف الحسن و الى اليسار الحسين . فوق السرير الذي تجلس عليه العجوز كلثوم علقت صورة تمثل ابراهيم الخليل و هو يستعد لذبح ابنه بينما أقبل عليه ملك بكبش فداء . فوق مقعد عمر علقت صورة تمثل فارسا عربيا في مبارزة مع جندي من جيش الروم ، قطعت ساقه فحملها باليسرى و سيفه باليمنى و هو في حالة هجوم على الجندي الرومي)) . (2)

ان اصناف هذه الصور عند اسرة الشيخ علاوة لم تتجاوز من الناحية الفنية قيمتها الأثرية أو التاريخية لبعض الاصول القديمة للحضارة العربية الاسلامية المستوحاة من الاساطير و السير الشعبية ، تمجد البطولات الفردية و ما يدور حولها من مواقف الشجاعة و التضحية و الفروسية و بما أن الشيخ علاوة رمز لمرحلة بناء مؤسسات الدولة منها الدستور و الميثاق ، فانه تميز من خلال صور الصالون التقليدي بالجمع بين اليمين و اليسار تعبيرا عن موقف ايديولوجي غير ثابت .

و اذا كانت العادات و التقاليد هي السبب المباشر في اختيار الشيخ علاوة لنماذج تأثيث الصالون ذات الطابع الفني القديم ، فانها أيضا تمثل

---

(1) — بان الصبح . ص : 148 .
(2) — م ، ن . ص : 148 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالنسبة اليه مجموعة من القيم الخلقية التي لا تخرج عن معالم الماضي الموروث و لا سيما القائم على علاقات الوقار و الاحترام، ((ان الشيخ علاوة و كذلك الى حد ما عجزوه، كانا يريان في تأثيث الصالون بهذه النماذج الفنية العربية في أغلبها تجسيما رمزيا لبعض معالم الماضي. أما الاولاد فكانوا يرون فيها ندرة و سذاجة لا تخلو من فن)). (1)

ان مجموع دلالات عناصر الاثاث في صالون الشيخ علاوة تعبر عن التنديد الصريح بهذه الشريحة البورجوازية في المجتمع المدني العربي الاسلامي، التي تسعى من أجل المحافظة على مكانتها الاجتماعية رغم التناقض القائم بينها و بين الجيل الجديد الذي يتعامل مع المفاهيم القديمة بكثير من الاستخفاف و السخرية و هو الموقف الذي جعله لا يعيش مع الواقع في وفاق تام.

و الجدير بالذكر ان الاثاث الريفي يتوفر فيه رصيد قليل من الجمال الفني كالزخرفة و النقش و الالوان، فهو يعتمد أكثر على الناحية الوظيفية التي يؤديها في حياة الانسان الشعبي اليومية لقضاء حاجاته المادية. غير ان الامر يختلف بشأن الاثاث المدني الذي يجمع الى حد ما بين الناحية الوظيفية و الناحية الجمالية معا كالاواني المصنوعة من النحاس و الزرابي، و مع ذلك قد نجد أنواعا من الاثاث و الادوات المادية التي لا تعتمد مباشرة على البيئة المحلية، عند العائلات الريفية ذات المركز الاقتصادي الذي يسمح لها باستعمالها مثل ابن الصخري فقد ((كانت الحجرة التي دخلوها نظيفة، واسعة، مفروشة بزرابي وثيرة، وضعت فوقها مطارح من صوف عالية، مغطاة بأزر جميلة النسج و الزخرفة)). (2)

و كذلك بالنسبة لأسرة ابن القاضي الريفية التي تتمتع بقدرة اقتصادية حيث ((وضعت الطبق النحاسي فوق المنضدة)). (3) . و هذه النوعية من الاثاث تدل على الثراء الكبير الذي تميز به رجال الاقطاع في الريف الذين يسعون دائما من أجل توسيع ممتلكاتهم.

و اذا كانت الاثاث و الالبسة الشعبية التي قدمها بن هدوقة في رواية "بان الصبح" من خلال الشيخ علاوة حفلت بقسط وافر من النجاح في تصوير العقلية البورجوازية فانها مع ذلك لا تشكل غير رافد من روافد التراث الشعبي المتعددة في خدمة الفن. اذ كادت مظاهر هذه الاثاث و اللباس الشعبي الخارجية ان تطغى على الشيخ علاوة بحيث يظهر وسط أنواعها و ألوانها و أصولها التي استخدم المؤلف التقرير في استعراضها، مجرد مستهلك لها.

---

(1) ، بان الصبح،ص : 150 .
(2) ، نهاية الامس ، ص : 149 .
(3)، ريح الجنوب،ص : 11 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أدوات الزينة :

و ظف بن هدوقة أدوات الزينة التي أسهمت بدورها في تحديد الشخصيات الشعبية في الريف و المدينة .

و من المعروف أن الادوات التي تعلق على أجزاء جسم المرأة الشعبية مصنوعة من فضة . و تنتشر في مناطق الصحراء و الشرق الجزائري الممتد من سوق اهراس الى القبائل . و هي نوعان أحدهما متميز بالرسوم و النقش و الالوان المختلفة ، الا أنه ليس مرتبطا عندها و لا سيما في الريف ، بالاستمتاع بالجمال بقدر ماهي وسيلة للمشاركة في المناسبات المتعددة و القيام فيها بأعمال و نشاطات عملية و فنية محددة ، و التعبير عن عواطفها و افراحها و انشغالاتها . كالختان ((خرجن متتابعات ... أذرعهن و أعناقهن تحمل كل ما يملكن من حلي ... تتقدمهن عجوزان بادنتان . في رأس كلتيهما علق خلخال ضخم)) . (1)
و كذلك الزردة ((ما أن حلت الساعة الحادية عشر حتى كانت كل الجهات المحيطة بالساحة مكتظة بالناس ... الفتيات تزين بما يملكن من أدوات الزينة و التجميل القروية ...)) . (2)

و تختفي ادوات الزينة عند النساء في المناسبات الحزينة و لاسيما الموت ، للارتباط القائم بين الناس الذين يعيشون في بيئة واحدة . يشارك كل واحد منهم هموم الغير و متاعبهم . و خير مثال على ذلك وفاة العجوز رحمة حيث كانت اذرع النساء و ارجلهن ((لا تحمل اساور و لا خلاخل و لا تحدث بحركاتها أي ضجة حديدية)) . (3)

و تميز النوع الآخر من ادوات الزينة بخلوه من ألوان التجميل ، و يدخل في نطاق الحياة العادية على غرار رقية في رواية نهاية الامس التي مرت بظروف صعبة في القرية حيث ((كانت رقية جالسة على عتبة الباب ، يدها اليسرى على خدها ، و اليمنى في حجرها ... في ذراعيها سواران قسنطينيان من فضة ، تنظر الى الباب الخارجي النصف مفتوح ، لايقابلها من مكانها ذاك الا الربى الجرداء و الشعاب .)) . (4)

---

(1) — نهاية الامس،ص : 256 . (2) — الجازية و الدراويش ، ص : 202 .
(3) — ريح الجنوب ، ص : 173 .
(4) — نهاية الامس،ص : 223 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنفر المرأة الشعبية في الريف من كل اسراف في العناية بمظهرها الخارجي و المغالاة في عرض أدوات زينتها بالشكل الذي يتعارض مع احوال الجماعة . و هي تستخدم ادوات مستمدة أساسا من الطبيعة ، و لا تكلف نفقات كثيرة و لا تتطلب التكلف أو التعقيد كالكحل و الحناء و السواك الذي يتخذ من قشرة الجوز ((شفاههن تبدو قرمزية من حكها بقشرة الجوز الذي يتخذنه سواكا . عيونهن تظهر بهالات زرقاء من الكحل الذي اكتحلن به)) . (1)

---

(1) — الجازية و الدراويش ، ص : 202 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوشـــم :

و لعل الوشم أهم فن تقليدي شائع عند كثير من الجماعات الشعبية في المدينة و الريف معا ، اهتم به بن هدوقة اكثر من غيره من انواع الزينة السابقة . ((فالوشم نتاج و خزات ملونة في الجلد تنقش بواسطة عظمة مدببة النهاية أو ابرة مغموسة بمزيج يترك اثر على الجلد لا يسبب ألما و لا يمكن ازالته .)) . (1)

و هكذا حاول الانسان الشعبي الفرار من الوهم و الخيال لفرط احساسه بالعجز عن ايجاد حلول لعدد من المشاكل و المتاعب التي اعترضت وجوده . و كان الوشم أسلوبا من بين الوسائل الاخرى ، اختاره للتعبير عن جانب مجهول في شخصيته . و على هذا الاساس ارتبط الوشم بآثار و اشكال و رموز و اشارات مارسها على اعضاء جسده ، و نظر اليها على انها جزء ثابت و غير قابل للزوال . و اذا كان الوشم ظاهرة تسمح لنا بالدخول الى عالم الانسان الشعبي الداخلي فانها تقوم بوظيفة الزينة لاقترانها بالجمال الفني .

لعب الوشم دورا كبيرا في الكشف عن أبعاد شخصية صاحبة الحمام اذ ((رقبتها يحليها وشم ضخم من اقصى اليمين الى اقصى اليسار في شكل عقد عريض ... على لحيتها في الوسط من الشفة السفلى الى الذقن وشما في شكل صليب مزدوج يتقلص طوله كلما ضحكت المراة)) . (2)

و يتضمن هذا الوشم شكلين شائعين من حيث الاستعمال في المغرب العربي ، فهما يشيران من الناحية التاريخية الى تأثر مناطقه بالدين المسيحي ، حيث أقام سانت اغستان في الشرق الجزائري لهذا الشأن ، ثم ان تطور النهضة المسيحية في الغرب الى حركة الحملات الصليبية من القرن الحادي عشر الى الثالث عشر أدى الى تغلغلها في انحاء العالم العربي الاسلامي و منها شمال افريقيا .

و يتمثل الشكل الاول من الوشم في خط مستقيم ممتد من اليمين الى اليسار ، و ثانيهما في شكل صليب مزدوج .

---

(1) — بسلحاج ، ص : 13 .
(2) — بان الصبح ، ص : 56 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

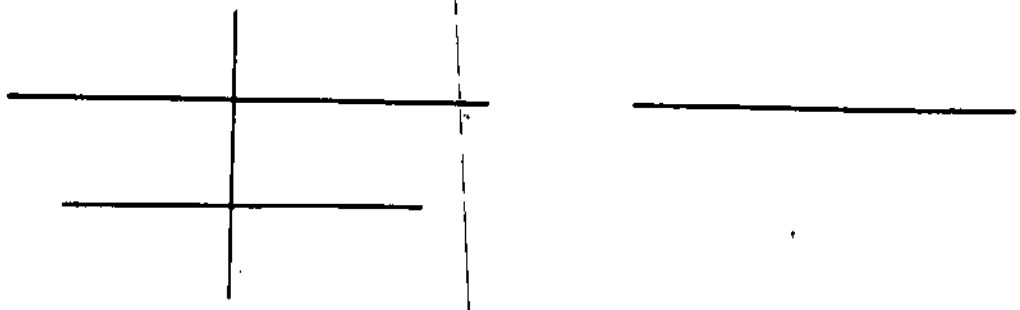

ان اجزاء الجسم التي ارتبطت بها هذه الرسوم تدل على جنس الانثى ، فالوشم عند صاحبة الحمام بقدر ماهو أداة للزينة و الجمال ، يدل كذلك على انه وسيلة لتأكيد شخصيتها . اذ انه من المعروف ان عملية الوشم لا تتم بدون آلام و مع ذلك تحملتها بالصبر الجميل . و من هنا عبرت هذه الاشكال الضخمة على ثقة هذه المرأة بنفسها التي مرت بتجارب قاسية في الماضي البعيد كالجهاد من اجل الوطن ((أنا لم ألد ، و لست أما لمجاهد . أنا المجاهدة وضعت قنبلتين يقهوة " الميلك بار " و " الكوكاردي " هاهي أوراقي !)) . (1) و انها بحكم المسؤلية التي تتولاها في الحمام ، و القوة البدنية التي تتمتع بها ((ضخامة جسمها جعلت فيه العرض يتساوى مع الطول ! و لولا احتفاظ و جهها بشكله الطبيعي الى حد ما ، و بتجانس اجزائه ، لكانت تبدو و كأنها فقدت فجأة عمرها و خرجت عن مقاييس الزمن الي مقاييس الاحجام !)) . (2) متفوقة على غيرها من أصناف النساء اللواتي تتعامل معهن باستمرار ((من لم تعجبني غطست رأسها في الحوض حتى تعود الى الطريق)) . (3)

و يمثل كل من الوشم الضخم و حجم الجسم الكبير و جهارة الصوت و الشرشرة اليومية ، جوانب سلبية من شخصية صاحبة الحمام ذات الطابع البدوي الذي يدل على تغلب بعض عناصر الذكورة عليها أيضا ، فيشكل بذلك عائقا هاما للتطور الحضري .

تم رجوع ربيحة الى الوراء باعتباره بعدا زمنيا حافلا بأجمل ذكريات تتمثل في الوشم المرسوم في جزء داخلي من جسمها ، و الطفولة ، و فراق زوجها ((و شمرت هي عن ساقيها تنظر اليهما بامعان . ثم لمست بيدها وشمة في ساقها اليمنى كأنها تخشى أن تزول من هناك . فبماذا تفكر ؟ في صباها ؟ فيمن رسم بساقها تلك الوشمة ؟ أو في حياتها الجافة منذ أن فارقها زوجها ؟

---

(1) ـ بان الصبح، ص:58 . (2) ـ م ، ن، ص:52 ، 53 .
(3) ـ م ، ن، ص:53 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا شك أنها تفكر في كل ذلك . ان من في سنها و حالها لايحيا بالامل و لكن بالذكريات))..(1) .

غير ان استرجاع هذا الماضي البعيد ارتبط عندها بالاوضاع الصعبة التي أحاطت بها في القرية و هي تتمثل في تحمل تهمة الخيانة التي وجّهها اليها الناس الذين اعتبروها أما لحركي ، و قد اراد المؤلف من خلال هذا النموذج أن يلفت نظرنا الى الحالات الانسانية التي صدرت فيها بعض الأحكام المطلقة الخاطئة من جراء مواقف أفرادها من حرب التحرير الوطني في الجزائر .

و هكذا استطاع المؤلف أن يستفيد من ادوات الزينة و لاسيما الوشم في رواية " بان الصبح " اذ ارتبط هذا العنصر الشعبي بذهنية صاحبة الحمام و اعماق شخصيتها ، كالاحساس بالقوة و الثقة و القدرة على الصبر و الشجاعة . غير أنه يشكل أحيانا مظهرا خارجيا مثلما نلاحظ ذلك عند ربيحة في رواية نهاية الامس التي تركن كلما لفت نظرها اليه في لحظات قصيرة ، الى عواطفها و ذكرياتها في الماضي البعيد .

---

(1) — نهاية الامس ، ص : 164 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطبخ الشعبي :

عرض المؤلف في بعض رواياته نماذج من الطبخ الشعبي الذي ارتبط أساسا بالنشاط الزراعي ، و أدى الطبخ الشعبي دورا هاما في تعميق انتماء الشخصيات للعائلة الشعبية و القيم الاجتماعية التي قامت عليها ذلك أن الانسان الشعبي لا يعلق اهمية كبيرة على نوع الطعام ، اذ يتوقف مباشرة عنده و لا سيما في الريف ، على فكرة الاصطلاء أكثر من التغذية .

ووردت أنواع اساسية من المأكولات الشعبية التي اختلفت من حيث المواد و أساليب اعدادها و مناطق انتشارها في الريف او المدينة .

و تعتبر "الزميتة" الطعام الاكثر ذيوعا في البادية . و أمعن بن هدوقة في وصف موادها الضرورية كالدقيق و السمن و البيض و الملح و الفلفل و كذلك طرق استعمالها و مراحله . ((اخذت صحفة من طين فوضعت فيها دقيق ... فاخرجت منه جرة سمن صغيرة و أربع بيضات ... ووضعت ثلاث ملاعق سمن في القدر ، ثم وضعت الدقيق فيها و قليلا من الملح . و كانت نار الموقد معتدلة ... أخذت الملعقة و شرعت تحرك البيض و الدقيق تحريكا متوانيا ... ثم أخذت حقة الفلفل فوضعت شيئا منه في القدر ، و زادت ملعقتين سمنا و استأنفت التحريك)) . (1)

عبر هذا الطبخ الشعبي في الريف عن شخصية العجوز رحمة الشعبية ، و مستواها البسيط في العيش الذي اقتصر على الحد الادنى الضروري للبقاء ، و ان اعداد (الزميتة) بيدها و تقديمها للراعي رابح لتناولها ، دلالة ذات أهمية كبيرة في تحديد نظرة هذه المرأة العجوز للفقراء ، القائمة على التعاطف الشديد معهم .

و يعد الكسكسي الطعام الذي يشترك فيه الريف و المدينة معا ، كما يعتبر القمح الذي اشارت اليه الرواية ، مادته الاساسية . و يقوم الكسكسي في الريف عادة على نوعين ، أحدهما جاهز ، و يتم تحضيره غالبا في فصل الصيف

---

(1) ـ ريح الجنوب ، ص : 124 ، 125 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقسط وافر ، للاستهلاك طيلة السنة . و الآخر جديد و يقدم في يومه و لا سيما عند وجود ضيف عزيز يحتل مرتبة عالية في تصور الانسان الشعبي .

و نلمس هذه العلاقة الوثيقة بين الكسكسي الجديد و الضيف في تعبير الاخضر بن الجبايلي عن هذا الموقف الذي اظهر تعلقه الشديد بعايد الضيف ، و تسخير العائلة لخدمته ((لا تستعملي الكسكسي الجاهز ، افتلي للعشاء كسكسا جديدا من قمحنا)) . (1)

و ادرج المؤلف كذلك نموذجا شعبيا من الطبخ الشعبي السائد في المدينة . و تمثل في (المعارك) و (المسمنات) ، ((كانت المسمنات لذيذة خفيفة ، بالرغم من الزبدة و العسل و المعجون)) . (2) و أكدت هذه المأكولات الاخيرة على كرم عائلة نصيرة و نمط حياتها الحضري الذين كانا لهما أكبر الأثر في نفس دليلة .

---

(1) — الجازية و الدراويش ، ص : 46 .
(2) — بان الصبح ، ص : 195 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموسيقى الشعبية :

ان المراد بالموسيقى الشعبية ، تلك الالحان التي توجد عند الجماعات التي تتميز بثقافة ذات طابع شفوي في الريف أو المدينة ، و تعبر عليها بصدق كبير .

و تتكون هذه الالحان من بناء ايقاعي بسيط ، و توظف عددا من الوحدات الخفيفة من حيث التركيب . (1) و لذلك لا يمكن ان نتعرض الى علاقاتها بعناصرها الاخرى التي تتمثل في النص الذي يتشكل من الشعر الشعبي ، و الحركات البدنية التي تلعب دورا هاما عندما يصاحب الرقص الغناء الشعبي .

و يبدو أن الطابع الجماعي من أهم خصائص الموسيقى أو الغناء الشعبي عند الشعوب التقليدية ، ((و من المحتمل ان يكون هذا الطابع الجماعي للموسيقى و الغناء قد بدأ " و لأول مرة " لدى الشعوب و القبائل الافريقية الزنجية و غالبا ما يبدأ شخصان أو أكثر بالغناء و لكن بصوتين مختلفين . و يبدو أن هذا اللون من الغناء هو الذي تطور الى الغناء الجماعي الذي تشترك فيه مجموعة من الافراد الذين يقومون بتأدية اغنية معينة)) . (2)

و تصاحب الموسيقى الشعبية في كثير من الاحيان معظم المناسبات الاجتماعية في حياة الانسان الشعبي التي ترتبط أساسا بميلاده و زواجه ووفاته .

لم ترد نماذج الموسيقى الشعبية في الرواية على أنها فن للتسلية و الترفيه ، بقدر ما كانت تعبيرا مباشرا عن العلاقة القائمة بين الانسان الشعبي و البادية ، ذات الطابع الجغرافي و الاجتماعي و النفسي الصعب اذ ((لا أحد يدري كيف كانت تبدو هذه القرية القفراء لزائريها لو لم يكن فيها هذا الراعي الطيب الذي يملأ سماءها أنغاما)) . (3) ذلك ان الموسيقى الشعبية تتطلب أساسا التفتح على العالم الخارجي الذي ((ينبثق من العلاقة الاجتماعية

---

(1) — أحمد موسى ، " الاغنية الشعبية : موسيقاها و علاقتها بالكلمات " مجلة الفنون الشعبية (العراق:العدد 5 ، فيراير 1968) ص 44 .

(2) — الحيدري ، ص : 87 . (3) — ريح الجنوب ،ص: 43 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين الفنان و المستمع او المشارك فهي علاقة اجتماعية بين شخصين كما هو الحال بين الشاعر و القارئ لشعره ، أو بين رسام و مشاهد لرسومه . ان هذه العلاقة الاجتماعية هي علاقة تفاهم و شعور مشترك و ما ينتج عنها من تأثير فكري و ديني و نفسي الذي يربط الفنان بالمجتمع)) . (1)

و اقتصرت الموسيقى البدوية في الرواية على عدد محدود جدا من الآلات مثل الناي الذي استخدمه الراعي رابح لأداء ألحان استمدت كل معانيها من حالات الحرمان و الآلام .

وقامت الموسيقى الشعبية في الرواية بوظائف متنوعة ، فقد كانت في البداية مصدرا للحياة في القرية . ((لو لا هذا الناي لظننا القرية خلت من سكانها منذ سنين)) . (2) كما كانت رمزا للفقر ((كأنها خلقت لتبرر الصمت الحزين الذي يخيم على القرية أو أنها عذر لما يبدو عليها من فقر)) . (3) و تمثلت أيضا في الجمال ((انها بصفائها و عذوبتها تجعل فراغ القرية أجمل مما أبدعه العمران)) . (4)

و أدت كذلك أنغام الناي دورا هاما في رسم البعد النفسي لشخصية نفيسة باعتبار أن الناي يمثل عندها قساوة الحياة في القرية ، فكانت اصواته تخفيفا عنها من الشعور بالوحدة و غياب الحرية . و اذا كانت نفيسة امتدادا للطبقة الوسطى بسبب مستواها الاجتماعي و الفكري في المدينة ، فان الموسيقى الشعبية ليست في هذه الحالة سوى ذريعة لتبرير عجز هذا القطاع الواسع من الفئة في المجتمع ، عن ايجاد حلول ناجعة للمشاكل و المثل الفردية التي تناقضت مع الواقع . (5) و ذلك عن طريق الوعي الرومانسي الذي تمثل اما في البحث عن جمال الطبيعة في الريف ، ((و غاصت وراء الانغام تستكنه ما توحي به من مكنونات الريف و اسرار جماله)) . (6) و اما في الاستسلام للاحلام و التصورات غير المعقولة . ((و تمثلت نفسها قد وصلت بعد تحليقها الى

---

(1) — الحيدري ، ص : 87 . (2) — ريح الجنوب ، ص : 26 .
(3) — م ، ن ، ص : 43 . (4) — م ، ن ، ص : 43 .
(5) — بورايو ، "توظيف التراث الشعبي في بناء الرواية الجزائرية" ، ص: 09
(6) — ريح الجنوب ، ص : 14 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ربوة عالية وراء السدم و استقرت عليها و اذا بها تجد نفسها جالسة الى جانب عازف الناي)) . (1) و اما تمثل ايضا في الانتقال من الحقيقة الى الخيال ((انسيت في المكان و الزمان و حلقت بها الانغام في سدم عليا لا آفاق لها و لا حدود)) . (2) و امتد اثر انغام الناي الحاسم على نفيسة الى حدوث الاغماء اذ ((كانت انغاما عذبة تشبه في بعض مقاطعها الأنغام التي سمعتها في حلم اغمائها الأول)) . (3)

و اذا انتقلنا الى رابح الراعي ، فان انغام الناي تكون تعبيرا عن العواطف و الآمال التي تسيطر على ذاته و يحاول من خلالها أن يعطي لحياته معنى . فقد ((كان في عزفه يعبر عن هذه العواطف و يعبر عن أخرى ليست واضحة في نفسه ، عواطف تتعلق بالمستقبل)) . (4) كما تدل على الغضب الشديد و سخطه على حالته الاجتماعية و الاقتصادية المتميزة بالجهل و الفقر من جراء النظام الاقطاعي القائم على شروط التعسف و الاستغلال التي يفرضها على الانسان مقابل تزويده بالقوت . و من ثم لا يجد من اختيار أمامه سوى الثورة من اجل حياة أكثر كرامة و حرية و عدلا . ((و شعر لأول مرة و هو يعزف أن الثورة لم تنته ! و اخذت الالحان تخرج من الناي حادة قوية ثائرة ... و الثورة التي كانت في راسه ، و في نفسه الذي يملأ جوف الناي ، و في الالحان التي تنطلق منه ، كانت ثورة سخط)) . (5)

و يبدو أن اثر الموسيقى الشعبية في الرواية على نفسيات كل من نفيسة و رابح ، مرتبط في تصورهما للتعبير في الحياة ، بالعاطفة اكثر من العقل .

كما ارتبطت الموسيقى الشعبية الحضرية ذات الطابع الاندلسي بمناسبة زفاف بنت عبد الجليل الذي يمثل مكانة مرموقة بين سكان مدينة الجزائر .

فقد نشأت الموسيقى الأندلسية داخل رصيد مشترك لبلدان المغرب العربي . و قد لعبت عاصمة الجزائر التي كانت تمثل السلطة السياسية في البلاد دورا حاسما في تطورها ، اذ هاجر اليها عدد كبير من أهالي مراكز ثقافية أخرى على غرار تلمسان و قسنطينة ، اثر الهجومات الاسبانية . (6)

---

(1) ، (2) — م ، ن.ص : 14 . (3) — م ، ن ، ص : 253 .
(4) ، (5) — م ، ن ، ص : 254 ، 110 . (6) — محمد قطاط ، " التراث الشعبي الجزائري " مجلة الحياة الثقافية (تونس ، عدد 1965 ، ص : 1966) ص : 1962 ، 1964 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واعتمدت الموسيقى الاندلسية ، ضمن حدود الوعي الرومانسي على الاعجاب بالطبيعة الجميلة و بسمو العلاقة العاطفية في الحياة .

كم بعثنا مع النسيم سلاما
للحبيب الجميل حيث أقاما
و سمعنا الطيور في الروض تشدو
فنقلنا عن الطيور كلاما . (1)

كما عبرت عن المدى البعيد الذي مارس حضوره بقوة على الحاضرين في الحفل ، فرجعوا الى فترات التاريخ العربي الاسلامي الذي تميزت فيها طبقة اجتماعية بالسلطة و الثورة في كل من بغداد ، و سرمن رأى ، بالعراق و قرطبة ، و اشبيلية ، فالاندلس حيث ((التقى الحضور في تلك السماوات العلى من الفن الاندلسي بالماضي روحا لروح كما تصوره لهم أخيلتهم ، و جالسوافي تلك اللحظات القصار الخارجة عن الزمن ملوك الاندلس في أبهاء قصورهم ، حيث الحور العين تتثني بين ايديهم في رشاقة و خفة . يضاحكنهم و يداعبنهم بالكلمات الحلوة تنسي الهزائم و تنسى الدسائس التي اخذت تنخر ملكهم . و يقدمن لهم بين الكلمات كؤوسا داهقات ...)) . (2)

ارتبط الغناء الاندلسي بمقطوعات الاستخبارات ((و اذا باستخبار رقيق ينطلق من الاوتار موتورا حائرا)) . (3) كما قام على عدد من النوبات كالزيدان و الذيل ((ظن الحضور أن المغني سيستمر في الزيدان و الذيل و لكنه فاجأهم ... لقد انتقل الى نوبة الذيل)) . (4) و يتضمن رصيد النوبات الجزائرية اثنتا عشرة نوبة و هي ((نوبات حديثة تتميز بخفة قوالبها الشعرية و الموسيقية الامر الذي يجعل الجمهور يقبل عليها في شغف كبير)) . (5)

كماوردت مجموعة من الآلات التي كانت في متناول فرقة العزف ، تتمثل في العود و القويترة و الرباب و الكمنجة و الطار و الطبلة الصغيرة . (6) .

---

(1) ، (2) — بان الصبح . ص : 205 .
(3) — م ، ن . ص : 204 .
(4) — م ، ن . ص : 205 .
(5) — قطاط ، ص : 143 .
(6) — بان الصبح . ص : 204 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان التعلق بالماضي وحلده و منه الفن الاندلسي القديم تعبير مباشر عن انهزام هذه الشريحة في التعامل مع التحولات الاجتماعية والاقتصادية و السياسة في الواقع الجزائري .

يبدو أن المؤلف وفق في جوانب كثيرة من استخدام الموسيقى الشعبية في رواية ريح الجنوب من خلال تصوير أجواء نفسية مختلفة في نطاق العلاقة القائمة بين الشخصيات و البيئة الطبيعية و الاجتماعية في الريف. بينما نجد بن هدوقة يقف على بعض أجزاء الموسيقى الاندلسية في رواية بان الصبح ليتولى التعريف بأصولها و مصادرها و اعطاء آراء فيها ، و في تقديرنا ان هذا النوع من التدخل يتنافى مع الفن .

و هكذا ارتبطت عناصر الفنون الشعبية أيضا بالعائلة لأنها مركز النشاط الاجتماعي و الاقتصادي ، كما اعتمدت في صناعتها على مواد البيئة المحلية التي تفترض حتما علاقة متفاعلة بين الانسان الشعبي و الارض .

و تعتبر البساطة من اهم المميزات الخاصة بعناصر الفنون الشعبية في الروايات ، سواء من حيث تعدد الحاجات أو اساليب اشباعها و لذلك ارتبطت بالوظيفة العملية ، كالايواء ، و الستر ، و الامتلاء ، و الاستعمال ، أكثر من معيار الجمال .

و اذا اقتصرت بعض عناصر الفنون الشعبية على الناحية الجمالية فان ذلك لم يتجاوز مطالب الطبقة البورجوازية في المدينة ، التي كانت بالنسبة اليها ، مجرد مظاهر للثراء و الافتخار . و لعل السبب الذي جعل هذه المنتجات الفنية لا تتعدى مقياس البساطة هو خضوعها لموقف خاص من الحياة في الريف .

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاتمة :

يظل موضوع هذا البحث مجالا مفتوحا بسبب طبيعته التي تحتاج الى دراسات متعددة .

و تتضمن هذه الخاتمة مجموعة من النتائج التي توصلنا اليها :

1.- ان العلاقة بين التراث الشعبي و الثقافة الرسمية قضية تاريخية و اجتماعية و اقتصادية أكثر منها فكرية . فالنشاطات التي يمارسها الانسان الشعبي قائمة على الصراع مع العالم الخارجي و التجربة الحسية قبل أن تكون تعبيرا عن موقف نظري من الحياة .

2.- يعد تصور كثير من الادباء ضعيفا في تناولهم للتراث الشعبي مما أدى بهم الى الانحياز للثقافة الرسمية .

3.- مر الادباء الجزائريون، و منهم عبد الحميد بن هدوقة في تأثرهم بالتراث الشعبي بمرحلتين :

الاولى كان الوعي فيها رومانسيا قائما على الهروب الى الطبيعة و الحنين الى الماضي و التعاطف مع الانسان البسيط و من هنا عجزوا عن تفسير حركة الواقع و تحديد عوامل تطوره و لم تؤد مجهودات هؤلاء الادباء الى ابداع آثار أصيلة .

و تميزت المرحلة الثانية بالوعي الذي تمثل الواقع من أجل تغييره و من هنا نجح عدد من رواياتها في توظيف التراث الشعبي.

4.- لم يوظف بن هدوقة التراث الشعبي كما هو مادة خام بل تناول جزئياته المتفرقة عبر الوطن و حولها لخدمة فنه . و على الرغم من الاختلافات الموجودة بين الروايات التي وظف فيها عناصر التراث الشعبي من حيث العدد و النوع و من حيث هي عملية واعية أو عفوية فان المحلية عند بن هدوقة ليست قاصرة على الموقع الجغرافي بل تشمل الفضاء الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

5ـ. ميز بن هدوقة في نظرته للتراث الشعبي ضمن رواياته بين النواحي الايجابية و السلبية مما فرضت عليه نوعا من الانتقاء و التوظيف و التحليل .

6ـ. عبر التراث الشعبي في الروايات عن احتياجات الانسان الشعبي و صراعه مع الطبيعة و مع القوى الاجتماعية التي اسهمت في انتاج مظاهر الضعف في عناصره الشعبية التي شكلت بدورها جزءا كبيرا من حياته .

7ـ. ارتبط التراث الشعبي في الروايات بعدد من أشكال الوعي بالطبيعة و المجتمع تعبر أساسا عن الصراع بين القديم و الجديد.

8ـ. اعتمد توظيف التراث الشعبي في الروايات على الرمز الذى أسهم في انتاج دلالات اجتماعية و فكرية و جمالية .

9ـ. وظف بن هدوقة التراث الشعبي بطريقة ضمنت انسجام الشخصية مع وظيفتها الاجتماعية في الروايات. اذ يوجد ارتباط بين القيم و المعايير الشعبية التي تنظم سلوك الشخصية و بين الدور الذي تقوم به .

10 ـ . ارتبطت قراءة الثورة الجزائرية بالواقعية في الروايات لما اثارته من قضايا و مواقف و انفعالات متنوعة قامت عليها أحداثها. و قد اضفى بن هدوقة على الثورة الجزائرية بمختلف صورها عن طريق توظيف التراث الشعبي طابعا انسانيا.

٤٢٠٤٣٤

11ـ. و لما كانت اللغة عاملا حاسما في نجاح توظيف التراث الشعبي فان بن هدوقة استخدم أساليب لغوية متنوعة ،كما رفع اللغة العامية عن مستواها المتداول بين الشخصيات في البيئة الشعبية الى لغة مهذبة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

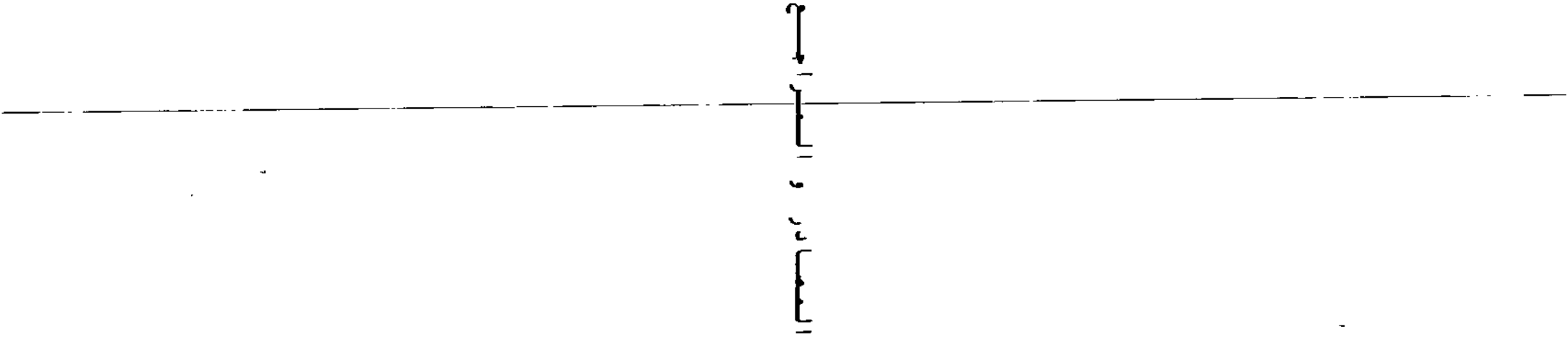

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— المصادر :

01 — بن هدوقة ،عبد الحميد . ريح الجنوب . الجزائر:الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط 4، 1980 .

02 — ———— نهاية الامس. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط 3، 1978 .

03 — ———— بان الصبح . الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 2، 1984 .

04 — ———— الجازية و الدراويش. الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجع العربية :

1- ابراهيم ، نبيلة . قصصنا الشعبي من الرومانسية الى الواقعية . بيروت : دار العودة ، 1974 .

2- ابن خلدون ، عبدالرحمن. المقدمة . بيروت: دار احياء التراث العربي ، ط 4 .

3- ابوزيد ، أحمد . دراسات في الفولكلور . القاهرة : دار الثقافة للطباعة و النشر ، 1972 .

4- الأعرج،واسيني . اتجاهات الرواية العربية في الجزائر . الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 .

5- البخاري ، عبد الله . محمد،ابن اسماعيل . فتح الباري شرح صحيح البخاري . لبنان دار المعارف ، ج 6 .

6- بدران ، ابراهيم . الخماش ، سلوي دراسات في العقلية العربية . 1 - الخرافة . بيروت: دار الحقيقة ، ط 2 ، 1979 .

7- بلحاج ، نادية . التطبيب و السحر في المغرب . الرباط : الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، ط 1 ، 1986.

8- [illegible] . سيرة بني هلال . الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، 1988 .

9- بوشحيط ، محمد . الكتابة لحظة وعي . الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 .

10- بويجرة ، محمدبشير . الشخصية في الرواية الجزائرية 1970 - 1983 . الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1986 .

11- الجوهري، محمد . علم الفوكلور . القاهرة: دار المعارف ، ط 3 ج 1 ، 1978.

12- حمادي، صبريمسلم . اثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة . بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1،1980 .

13- الحيدري، ابراهيم . اثنولوجيا الفنون التقلدية . سورية : دار الحوارللنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1984 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

14 ـ خريتو ، نجم . النرجسة في ادب نزار قباني . بيروت : دار الرائد العربي ، 1983.

15ـ خورشيد ، فاروق . ذهني ، محمود . فن كتابة السيرة الشعبية . بيروت: منشورات اقرأ ، 1980 .

16ـ الدروبي ، سامي . علم النفس والادب . القاهرة : دار المعارف ط 2 ، سنة 1981 .

17ـ دكروب ، محمد . الأدب الجديد ... و الثورة . بيروت: دار الفرابي ، ط 2 ، 1984 .

18ـ دياب ، فوزية . القيم و العادات الاجتماعية . بيروت: دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، 1980.

19ـ رسام ، أمال . المرأة العربية ـ الدراسات الاجتماعية عن المرأة في العالم العربي . بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط 1 ، 1984 .

20ـ زيغور ، علي . العقلية الصوفية ونفسانية التصو فبيروت: دار الطليعة ، 1979 .

21ـ السليمان، أحمد . تاريخ مدينة الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية ، 1989 .

22ـ شربي ، هشام . مقدمات لدراسة المجتمع العربي.بيروت : الاهلية للنشر و التوزيع ، 1985 .

23ـ طوالبي ، نورالدين . الديزو الطقوس والتغيرات . الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983 .

24ـ عاطف غيث، محمد . دراسات في علم الاجتماع القروي . بيروت : دار النهضة العربية ، 1967 .

25ـ علي ، عبد الرضا . الاسطورة في شعر السياب . بيروت : دار الراعد العربي ، ط 2 ، 1984 .

26ـ غسان ، خالد . جبران الفيلسوف . بيروت : مؤسسة نوفل ، ط 2 ، 1983 .

27ـ قريش ، روزلين . القصة الشعبية الجزائرية ذات الاصل العربي.الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ، 1980 .

28ـ الكنز، علي . حول الازمة ، 5 دراسات حول الجزائر و العالم العربي . الجزائر:دار بوشان للنشر ، 1990 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

29 - مرتاض ، عبد الملك . الامثال الشعبية الجزائرية .الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1982 .

30 - منصور ، ابراهيم . الازدواج الثقافي و أزمة المعارضة المصرية . بيروت : دار الطليعة ، 1987 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المـــراجـــع المتـــرجمـــة :

1- الاشـرف ، مصطفـــي . الجزائر الامة و المحتمع . ترجمة حنفي بن عيسى، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1983 .

2- الكسيس ، كاريـــل . الانسان ذلك المجهول . ترجمة شفيق اسعـــد فريد. بيروت : مؤسسة المعارف ، ط 3 ، 1980 .

3- بن نبي ، مـالـك . مشكلة الثقافة . ترجمة الصبور شاهيـــن، بيروت : دار الفكر ، 1969 .

4- بوتارن ، قـــادة . الامثال الشعبية الجزائرية . ترجمة عبدالرحمن حاج صالح ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية 1987 .

5- بوتفنوشت ، مصطفـي . العائلة الجزائرية التطور و الخصائص الحديثـــة . ترجمة دمري أحمد ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجـامعية ، 1984 .

6- مجموعة من الاساتذة . الأدب و الانواع الادبية . ترجمة طاهر حجـــار دمشق : طلاس للدراسات و الترجمة والنشـــر ، ط 2 ، 1981 .

7- المرنيسي، فاطمـــة . نساء الغرب . دراسةميدانية . ترجمـــة فاطمة الزهراء أزرويل ، الرباط : الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، 1985 .

8- هيغـــل . فكرة الجمال . ترجمة جورج طرابيشي ، بيـــروت : دار الطليعة للطباعة و النشر ، ط 2 ، 1981 .

9- ويلك ، رينيـــه . نظرية الادب . ترجمة محي الديـن صبحـي ، واريـن ، أوستيـن . بيـــروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشـــر ط 2 ، 1981 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصحف و الدوريـــات العربيـــة :

1- الادريسي، علـــي . من عوائق بناء اتحاد المغرب العربي . جـــريدة الشعب ، (العدد 111) 1986/11/23.ص:83.

2- أركـون، محمـــد . الاســـلام والعلمنـة . دراسات عربية ، بيروت : دار الطليعـة ، (العدد 5) ، 1986 .ص:83 .

3- بورايـــو، عبدالحميد . توظيـف التـراث الشعبي في بناء الرواية الجزائرية. مجلة آمال، الجزائر: (العدد 51 ـ 52) 1980 . ص : 13 .

4- ـــــــــــــ . المكان والزمان في الرواية الجزائـــرية . روايـــة ســور اللوز . مجلة المجاهد ، الجزائـــــر: (العدد 1394) 1987 . ص : 65 .

5- ـــــــــــــ . المكان والزمن في الرواية الجزائرية . مجلـــة المجاهـد، (العدد 1396) 1987: ص:59 .

6- بوعلـــي، ياســـين . الدين و العصبية وحكايات شهرزاد ، المعتقـــد الشعبي. دراسات عربية ، بيروت:دار الطليعـــة (العددربيع السنة العشرون)1984. ص: 99 .

7- حـــرب ، علـــي . نحو اعادة قراءة الاشكالية التوحش، التمدن مجلة الدراسات العربية ، بيروت: ر الطليعة (العدد4) 1983 . ص : 09 .

8- حليمـي، عبدالقادر . أصول النشأة لمدينة الجزائر. مجلة الاصـــالـــة ، الجزائر: مطبعة البعث (العدد8). جـــوان 1972 . ص : 17 .

9- سيد محمـد، أحمـــد . البحث عن الشخصية من خلال الامثال الشعبيـــة . مجلة الثقافة، الجزائر: الشركة الوطنية للنشـــر والتـوزيـع ، (العدد 65) 1981 . ص: 56 .

10 شـاكر، مصطفـــي . الأبعاد التاريخية لأزمة التطور الحضاري العربـي مجلة الاصالة، الجزائر: مطبعة البعث ، (العدد23) ، 1975 .ص:226،227،228 .

11- شعلان ابراهيم، احمد . الاسرة في المثل الشعبي.مجلة التراث الشعبـــي، بغداد:دار الحافظ للنشر،(العدد6ـ7)1981.ص:116 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

12- الشناوي، فهمي . الطب الشعبي يعود من جديد التداوي بالأعشاب حقيقة أم خيال . مجلة الدوحة ، قطر : (العدد110) 1985. ص: 43 .

13- صالح، عبدالمحسن . بين الظواهر الطبعية والتفسيرات الخيالية . مجلة الدوحة ، قطر :مطابع علي بن علي ،(العدد 102) 1984 : ص : 65 .

14- عجال، نورة . الحمام كمجال نسوي . المسار المغربي . الجزائر: 1988 . ص : 60 ، 61 .

15- علي شريف، حسين . الرمز في الفن الشعبي التشكيلي . مجلة الفنون الشعبية ، 2 أفريل ، 1965 ،ص: 98،99 .

16- العمراني، مبارك . دور الثقافة في التنمية الاقتصادية . مجلة الفكر، تونس: الشركة التونسية لفنون الرسم ،(العدد 4) 1986 . ص : 75 .

17- غالي، شكري . الشخصية الثقافية في عالم متغير نموذج تطبيقي في البيئة التونسية . المستقبل العربي، لبنان:مركز الدراسات الوحدة العربية ، (العدد94).1986 . ص: 82 .

18- الفاروقي، نائلة . العلم والاسطورة . مجلة الفكر العربي المعاصر،بيروت: مركز الانماء القومي ، (العدد13)1981.ص:72،73،74.

19- قطاط ، محمد . التراث الشعبي الجزائري. مجلة الحياة الثقافية، تونس: (العدد142) 1984 .ص:141، 142 .

20- محمد أديب، العاصري . الادب المعاصر والتراث . مجلة الادب ، بيروت: (العدد10) . ص: 37 ، 38 .

21- محمد الأمين، أحمد . الشعر الشعبي في سيدي خالد . مجلة آمال ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (العدد53)-1981 . ص: 27 ، 28 .

22- موسى، أحمد . الاغنية الشعبية موسيقاها وعلاقتها بالكلمات . مجلة الفنون الشعبية ، العراق : (العدد5) فيراير 1968 . ص: 44 .

23- موسى، محمود أحمد . دور نظام التعليم في تنشئة الطفل العربي. مجلة المستقبل العربي ، لبنان : مركز دراسات الوحدة العربية ، (العدد100) 1987. ص:153 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

24 ـ الناقوري ، ادريس . مشكلة المضمون في الرواية المغربية . مجلة الادب ، لبنان : (العدد 10) 1977.ص:103

25 ـ النوري ، قيس . واقع البعث الثقافي العربي و آفاقه . دراسات عربية ، بيروت : (عدد 03) 1990. ص:28،29

26 ـ الوهابي ، منصف . رموز و فضاء في فن العمارة العربي ـ السوق ـ الجامع ـ الحمام ـ المزار . مجلة فكر و فن ، برلين : الطباعة ، Fbruckman - KG - Glaphische , Munchen , 1985 . PAGE : 66 : ص

اللقاءات :

حوار مع الكاتب عبد الحميد بن هدوقة بتاريخ 1990/02/19

حوار مع الكاتب نفسه بتاريخ افريل 1992 .

القواميس :

المنجد الابجدي . لبنان: 1956 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المـــراجـــع الأجنبيـــة :

1. - BOUTEFNOUCHET, Mostefa. La culture en Algérie, mythe et réalité. Alger : S.N.E.D., 1982.

2. - CALLONA, Fanny. Savants paysans, éléments d'histoire sociale sur l'Algérie Rurale. ALGER : O.P.U., 1987.

3. - DU, jardin. des mères contre les femmes maternité et patriacat au Maghreb. Paris : édition la découverte, 1986.

4. - LACHRAF, Mostéfa. Ecrits didactiques sur la culture, l'histoire et la Société. ALGER : Entreprise ALgérienne de Presse, 1988.

5. - NAGIB, YOUCEF. Eléments sur la tradition orale, ALGER : SNED, 1981.

6. - OUHADI, Omar. Analyse du Roman Algérien gaziya et les derwiches de Abdelhamid Benhadouga. PARIS : Université de la Sarbonne.

7. - POUGOL et LABOURIE, R. Les cultures populaires. TOULOUSE : INEP, EDOUARD Privat, 1979.

8. - RAYMOND, André. Grandes villes arabes à l'époque Ottomane. PARIS : édition bibliothéque arabe, Sindbad, 1985.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المـــــراجـــــع العربيـــــة :

1 - PALEC, BOUBA . Du vent au Sud à la mise à nu l'itinéraire d'un écrivain
Abdelhamid BENHADOUGA . Collectif. Colloque National.
Alger : O.P.U , 1985 . Page , 98.

2 - YELLES - CHAOUCHE , Defense et illustration des cultures populaires.
Mourad Oran : Unité de recherche en anthropologie sociale et
culturelle. U.R.A.S.E. 1985 . Page , 1 - 2.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس البحث وموضوعاته

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفحـــــة

المقدمة 03

التمهيد .

— محاولة تحديد التراث الشعبي 08

1 - السياق التاريخي 08

2 - السياق الاجتماعي و الاقتصادي 13

3 - التطور التاريخي للمتعارضات 18

4 - السلوك الشعبي و مستوياته 26

5 - عوامل تطور اشكال التعبير الشفوي 28

. الفصل الاول .

— توظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائرية ... 34

1 - توظيف التراث الشعبي و أنواع عناصره في الرواية الجزائرية .. 34

2 - توظيف التراث الشعبي و شروطه في الرواية 37

3 - توظيف التراث الشعبي و أساليبه في الرواية الجزائرية ... 39

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

ـ توظيف العادات و التقاليد في الرواية 46

1 ـ مراسيم الميلاد 48

2 ـ مراسيم الختان 51

3 ـ مراسيم الزواج 54

4 ـ العلاقات العائلية 65

5 ـ مراسيم الوفاة 72

الفصل الثالث

ـ توظيف المعتقدات الشعبية 79

أ ـ الشعوذة 83

2 ـ الطرق الصوفية و مراسيم الزردة 92

3 ـ التداوي الشعبي 100

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

- توظيف الأدب الشعبي في الروايات 105

1 - المثل الشعبي 107

2 - الشعر الشعبي 116

3 - الأسطورة 122

4 - الأذكار 127

الفصل الخامس

- توظيف الفنون الشعبية في الروايات 131

1 - صناعة الفخار 133

2 - العمارة الشعبية 140

3 - اللباس الشعبي 148

4 - الأثاث الشعبي 150

5 - أدوات الزينة 154

6 - الطبخ الشعبي 159

7 - الموسيقى الشعبية 161

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— الخاتمة 166

— المصادر 169

— المراجع العربية 170

— المراجع المترجمة 173

— الدوريات العربية والصحف 174

— الملتقيات و القواميس 176

— المراجع الاجنبية 177

— الدوريات الاجنبية 178

— الفهرس 180

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit